الأرضة
بزرج علوى
ترجمة : علاء منصور
مراجعة: إبراهيم شتا
187

المشروع القومى للترجمة

الأرضَةُ

تأليف

بُزُرْج علَوى

ترجمة

علاء منصور

مراجعة

إبراهيم الدسوقى شتا



٢٠٠٠

هذه ترجمة عن الفارسية لرواية :

مـوريـانـه

إهـداء

إلى أستاذى المرحوم الدكتور إبراهيم الدسوقى شتا

رائد دراسات الرواية الإيرانية فى العالم العربى .

مقدمة المترجم

يعد بزرج علوى أحد كتاب الجيل الجـديد الذين أظهروا مقدرة فائقة فى هضم (التكنيكات) الأوروبيـة وتطبيقـها فى إبداع الأعـمال الفنيـة التى حافظت كـذلك على محتـواها (الإيرانى). ولد سنة (١٩٠٧) ثم أوفد إلى ألمانيا للدراسـة الجامعـية عام (١٩٢٢) . وحـين عاد إلى ايران انضم إلى حزب ماركسى غـير معترف به فاعتـقل عام (١٩٣٧) وظل بالسجن حتى احتلال الحلفاء لإيران فى (١٩٤١) حين أعلن العفو العام ، وأطلق سراح عدد كبير من السجناء السياسـين معه فكانت هذه المجموعة الماركسية نواة حـزب (تودة) الشيـوعى بإيران . ويرتبط نشاط علـوى الاجتمـاعى والأدبى منذ بدايته بسياسـة هـذا الحـزب أشـد الارتباط . وبعـد سقوط (مـصـدق) هاجـر علوى إلى أوروبا وعـمل أسـتـاذاً زائراً بجـامـعـة هامبـولدت بألمانيـا الشـرقية ، وظل بألمانيا حتى وفـاته عام (١٩٩٧) .

وتتكون أعـمال علوى الأدبيـة الأسـاسيـة من ثلاث مجـموعـات، من القصص الـقصيـرة تدور فى الأغلب حول آرائه السـياسـية وتقص تجـربته وتجربة زملائه فى السـجن . واسم المجموعة الأولى (جمدان) أو حـقيبة السـفـر - ١٩٣٤) و (ورق پـاره هاى زندان - ١٩٤١) أى (جـذاذات أوراق السجن) وهى حكـايات عن المساجين مـسجلة على صناديق السكر الفارغة وعلب السجـائر أو أى جذاذة ورق وصلت إلى المؤلف أثناء وجوده فى السجن . ثم (نامه ها) أو الخطابات عام ١٩٥٢ وتعد أحسن القصص

القصيرة التى ألفها إيرانى إن لم تكن أحسنها قاطبة وتشبه بعض أعمال الكتاب الغربيين العظام وبخاصة همينجواى فى الأسلوب والاختصار فى الألفاظ وحسن الحبكة والاتزان والأصالة وفوق كل ذلك فى أسلوب الإثارة والتشويق . وللمؤلف أيضا (سه وپنجاه نفر) أى (ثلاثة وخمسون شخصاً) صدرت عام ١٩٤٢ ورواية تسمى (جشمهايش - ١٩٥٢) أى (عيناها) وغيرهما . ويقص فى العمل الأول ماحدث له ولرفاقه من أول يوم سجنوا فيه حتى العفو العام والمعاملة القاسية التى لقوها من الحراس وكفاحهم من أجل أن يبقوا أحياء . ويدور العمل الثالث حول نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية السيئة بإيران وترجمت إلى الألمانية عام (١٩٥٩) وصدر للمؤلف بالألمانية مجموعة تحوى خمس عشرة قصة عام (١٩٦٠) تحت عنوان (الجدار الأبيض):(للتفصيل راجع النثر الفنى فى الأدب الفارسى المعاصر تأليف حسن كمشاد وترجمة د. إبراهيم الدسوقى شتا . مصر ١٩٩٢ - ص (١٧٣ - ١٩٠)أما روايته (الأرضة) فهى أقرب إلى أشهر رواياته (عيناها) فى المبنى والمعنى إذ أنها فى الحقيقة تاريخ لحركة المعارضة الدينية بقيادة الخمينى على نظام الشاه من خلال نقده لجهاز مخابراته الرهيب (السافاك) الذى يعد سبباً مهماً فى القضاء على هذا النظام . ويصور المؤلف فى الرواية الفساد السياسى والإدارى والاقتصادى للشاه وحاشيته ورجال حكومته من خلال اعترافات رجل بدأ بسيطاً فى جهاز المخابرات وانتهى إلى أعلى مناصبه قبيل سقوط الشاه وفرار البطل نفسه إلى أوروبا للاختفاء بعد أن أصابه الثوار بطلقات نارية فى قدمه . لكن ما يعاب فى تعبير علوى فى هذه الرواية تعمده إلى استخدام

المصطلحات العامة والتركيبات والألفاظ غير الفصيحة على نحو ملفت . وقد تزرع فى بداية روايته على لسان البطل أو الراوى بأنه رجل عامى لايحسن التنميق فى التعبير بل إنه لم يكتب قبل اضطراره لكتابة مذكراته هذه غير قلة من الخطابات . لكن علوى فوق تأريخه لهذه الحقبة الهامة من تاريخ إيران المعاصر والتى انتهت بحدث الثورة الإسلامية الجلل يبدى مقدره فائقة فى حسن الحبكة والاتزان والإثارة والتشويق بما يبوئ روايته هذه (الأرضة) مكاناً سامياً بين مؤلفاته والروايات الإيرانية المعاصرة الأخرى .

السافاك لماذا ؟

كان الشاه يدرك أنه زائل لا محاله لفساده وفساد أسرته وتزايد حركات المعارضة ضده ، تيقن هذا بعد هروبه إثر ثورة الشعب مع مصدق رئيس الوزراء فى معركة تأميم النفط إلى ايطاليا وعودتهم بحماية أمريكا إلى إيران وإسقاط مصدق بمؤامرة أمريكية إنجليزية عام ١٩٥٣ ، بدأ مع فترة حكمه الثانية ما يسمى بالحكم الأسود ، وأسس لإرهاب شعبه جهازه الأمنى المسمى بالسافاك . كان هدف الشاه من إنشاء هذا الجهاز يغاير أهداف أجهزة الأمن العالمية من الحفاظ على أمن الشعب الداخلى ومواجهة الاختراقات الخارجية مثل الـ سى آى إيه الأمريكى والـ كى جى بى السوفيتى . كان يهدف به إلى حمايته هو ضد الشعب والمعارضة . ومع ان السافاك كان يخضع إسميا لسلطة رئيس الوزراء مباشرة ورئيسه فى درجة نائب رئيس الوزراء إلا أنه فى الحقيقة كان يأخذ أوامره من الشاه مباشرة ويعمل أفراده مستقلين ، بل كان رؤساؤه يتجاوزون سلطة الشاه وأوامره فى كثير من الأحيان .

اسـمـه :

الساقـاك أو ساواك كل حرف منه يدل على كلمـة فارسيـة ، فالسين ملخـص كلمـة سـارفان بمعنى جـهـار والألف الأولى يدل (امنيت) أى الأمن ، والواو واو العطف ، والالف الثانيـة بداية كلمة (اطلاعات) أى استخـبارات والكاف بداية كلمة (كـشور) أى البلاد . فمعنـاه جهاز أمن البلاد واستخباراتها .

تاريخ تأسيسه :

فى عـام ١٩٥٣ عقب حـوادث ثورة مـصدق لتـأمـيم النفط الايرانى وموته وقيام حزب « توده » الشيـوعى بدور اساسى لقلب نظام الشاه بتأييد من الاتحاد السوفيتى الذى كـان ينتظر العودة إلى ايران تأكد للشاه أن عدوه الأساسى هم الشيوعيون والروس فأسس جهازه لقمع كل حركات المعارضة وأعلن عدم شرعـية حزب توده وعين الجنرال تيمور بختـيار كأول رئيس له من ١٩٥٣ حتى ١٩٥٧ .

وأسس الشـاه فى عـام ١٩٥٨ جهـازا آخـر باسم جـهـاز التفـتيش الشـاهنشـاهى ومكتب المعلومـات الخاص واوكـل رئاستـه للجنرال حـسين فردوست ، وكانت مهمته البحث فى مصادر الفساد بين المسئولين فى الدولة ورفع تقارير التـحقيـقات مباشرة إلى الشاه ولكن هذا الجـهاز لم يقم بدور مؤثر فى اجتثاث الفـساد من البلاد بسبب تغاضى الشاه عن المفسدين .

مهمة السافاك :

كانت مـهمة جهـاز السـافاك الحـفاظ على النظام الشاهنشـاهى بكافة الوسـائل ، ولكن الشـاه يرى أن مهـمـة جهـازه الأمين مـلاحـقة الخـونة

والجواسيس ومثيرى الفتن ، كما كان له دور فى مراقبة القادة العسكريين . ولما كان من الضرورى أن يخضع جهاز السافاك لقضاة المحاكم باعتباره جهاز للمعلومات ومكافحة التجسس إلا أن هذا الامر لم يكن ينفذ بل يوكل به لرجال الشرطة .

ولما كانت الأساليب التى يتبعها السافاك غير مشروعة فى مجملها لهذا كان الشاه يدعى أن السافاك لا يخضع لقوانين العدالة فى إيران لأنهم يطبقون قواعد غربية .

تاريخ السافاك :

مر السافاك بأربع مراحل من بداية تأسيسه إلى سقوطه وحل هياكله و إحلال جهاز (ساواما) محله ، وهو الجهاز الأمنى الجديد للثورة الإسلامية الإيرانية .

المرحلة الأولى :

وهى مرحلة التأسيس والتى كان فيها تحت رعاية المستشارين الأمريكين والإسرائيليين ، وكان هؤلاء المستشارون يتدخلون فى مجريات تحقيق المحققين الإيرانيين عن طريق جهاز اتصال سرى ، فيجرمون المشتبه فيه أو يبرءونه . وكان عدد أعضاء السافاك فى هذه المرحلة لا يتجاوز أول الامر ١٥٠ فردا ، والمهمة الموكولة هى ترسيخ نظام الشاه وضرب المعارضين بشدة ، ولما كان بختيار يرتبط بالأمريكيين بعلاقة حميمة فقد ظل على رئاسة الجهاز حتى ١٩٥٧ حيث أقاله الشاه بأمر من الأمريكيين أنفسهم .

المرحلة الثانية :

بدأت بتولى حسين باكروان رئاسته وكان هدف الشاه تطهير الجهاز من أتباع بختيار وإحلال أوفياء له محلهم وتنظيم السافاك بحيث يعمل على الحفاظ على العرش والنظام . ولكن باكروان لم يستطع أن يقوم بالمهمة خير قيام لضعف شخصيته ، فأقاله الشاه ، وأحل محله نصيرى الضابط الوفى للشاه وخلال هذه المرحلة التى استمرت إحدى عشرة سنة وصل عدد السافاك إلى خمسة آلاف عنصر بارز فضلا عن آلاف الجواسيس .

المرحلة الثالثة :

وهى مرحلة تسلط الجهاز واتساع نطاقه وتحكمه فى كثير من شؤون البلاد ، وقد شاعت السمعة السيئة للجهاز خلال هذه المرحلة .

المرحلة الرابعة :

وهى مرحلة السقوط والتى بدأت بعزل نصيرى ومعتضد ورئاسة مقدم ، وانتهت بثورة ٢٢ بهمنى ١٣٥٧ أو فبراير ١٩٧٩ أو الثورة الإسلامية . وقد بلغ عدد العاملين بالجهاز فى هذه الفترة الأخيرة نحو خمسين ألف موظف وثلاثة ملايين جاسوس فى الداخل وفى الخارج .

وسائل التعذيب لانتزاع الاعترافات

تمادى السافاك فى استعمال وسائل تعذيب تخطت الحدود الإنسانية ضد المشتبه فيهم ، فقد استخدم ألوان تعذيب أشد وأنكى من القتل ، تناولت الجسد والروح فدمرت أجساد الأبرياء والمعارضين وذواتهم وحطمتهم من الداخل . وأسهبت المصادر فى ذكر ألوان التعذيب التى

جرت على الشعب الإيرانى ، واعترف بهـا الشاه نفسه فقال إن « لدينا من وسائل الضغط النفسى ما يفوق وسـائل التعذيب فى العصور الوسطى » . وقد تنافس السـافاك والشرطة فى أعمـال التعذيب لانتزاع الاعـترافات فى أبكر وقت قـبل أن يقضى المتـهم نحـبه . ومن آلات التـعذيب البـدنى : السوط الكهربائى والعـصا الكهربية والكماشـة الحديدية والمخزاز والكرسى الكهربى وغيرها ، وكانت تستورد من إسرائيل فى عهد بختيار .

القضاء على ثورة سياهكل فى فبراير ١٩٧١

هاجمت جماعة مسلحة أقسام الشرطة والبنوك في سياهكل قرب بحر الخزر وقتل عدد من الجانبين وفر المهاجـمون إلى الغابات ، وقبض السافاك على كثيـر من المهاجمين وأتباعهم ، وأعـدموا خمسة عشـر . وكان الثوار الفدائيـون يرفعون شعـارات دينية ولما لم يجدوا سوقـا لهم وسط الفلاحين اتجهوا إلى القيام بالنشاط داخل المدن .

مذبحة طهران عام ١٩٦٢

لما أعلن الشاه قوانين الإصلاح الزراعى أو ما سـماه بالثورة البيضاء . وسيطرت الدولة بها سيطرة تامة على الإنتـاج الزراعى واستولت على كثير من الأراضى الخاصة وأممت المراعى والغابات فـتشرد آلاف الزراع والرعاة ، بـدأت المعارضة الدينية فى المدرسة الفيضية « بقم » ثانى أيام عيد الأضحى (١٣٨٣ هـ) فارتدى جنود الجهـاز الثياب المدنية تحت قيـادة رئيسه والذى كان يتولى رئاسة سافاك طهـران أيضا . وهجموا على الطلاب وقتلوا عدداً من المشـايخ . هدأت الأمور ظاهرياً لمدة شـهرين حـتى حل يوم تاسـوعاء وعاشـوراء عام ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٣ حين اشـترك الآلاف فى الاحـتفالات

الدينية وتحول بالتدريج العزاء إلى ثورة للفلاحين تهتف بالموت للشاه وسب أمريكا وبريطانيا وبحرية الانتخابات وتوزيع الأراضى على الفلاحين الفقراء . ثم تقدم من قرية ورامين جماعة تلبس أكفانها إلى طهران ، فأصدر الشاه أوامره إلى الجهاز بإطلاق النار بهدف إخافة الشعب والفصل بين جموع المتظاهرين ورؤسائهم من المشايخ ، لكن الأمر تحول إلى مذبحة جماعية بتدخل من رئيس الجهاز وكان يجمع قيادة قوات الجيش والشرطة والسافاك ، وقتل أكثر من عشرة آلاف وقبض على عدد كبير ، وجرت اعمال ابتزاز الاغنياء منهم ، وتجمع عدد من العلماء فى ضريح الشاه عبد العظيم بجنوب طهران ونادوا بآية الله الخمينى إماما لهم فاعتقل الجهاز كثيراً منهم ، وتحرك الخمينى وآية الله شر يعتمدارى لمهاجمة الشاه فى ذكرى مولد فاطمة الزهراء ، ودعيا إلى الإضراب ليوم واحد فأصدر رئيس الوزراء قرارا بنفى الخمينى إلى تركيا بتهمة التحريض ضد مصالح الأمة وانهيار استقلالها وأعلنت حالة الطوارئ فى الجهاز والجيش . تجمع الناس فى المساجد للاعتراض على قرار نفى الخمينى وإلغاء قانون الحصانة السياسية للعسكريين الأمريكيين . وأطلق النار على رئيس الوزراء وكانت الضربة مصوبة إلى قطب الجهاز لأنه هو الذى أوصله لهذا المنصب .

اغتيال بختيار

بلغ الجهاز فى عهد بختيار قوة فاقت الشاه نفسه ، وكانت أحكامه أكثر نفاذاً من أحكام الشاه وكانت جميع إدارات الدولة والوزارات والشركات التجارية والبنوك تحت إمرة بختيار ، وكان يعمل لديه ألف وخمسمائة مدنى ، ولم يقل عدد الجواسيس عن خمسين ألف ينتشرون فى سائر بلاد إيران فضلا عن الغرب . وكان مكتب السفير المتقل فى جنيف

يضم على الأقل ألف جاسوس . ولما أقيل بختيار وكان ذا أطماع واسعة يرنو إلى رئاسة الوزارة نفى إلى أوروبا وبدأ حملة علنية ضد الشاه وجند المعارضين من الدارسين بأوروبا ثم توجه من أوروبا إلى بيروت وبغداد وواصل الهجوم على الشاه بدعم حزب البعث العراقى ونسب إليه اغتيال رئيس الوزراء السابق الذكر وإطلاق النار على الشاه وقتل حراسه وإثارته الطلاب فى أوروبا وسدهم الطريق أمام الشاه أثناء زيارته لألمانيا الغربية ، فدبر السافاك خطة اغتياله ببغداد خلال عام (١٩٧٠) . أعلن عن اختطافه فى طائرة إيرانية إلى بغداد وعدّ بختيار ذلك من انتصاراته على الشاه واصطفى المختطفين حراسا شخصيين له وفى إحدى رحلاته للصيد أرداه أحدهم قتيلا ، وكان حادث اختطاف الطائرة مدبراً من قبل الجهاز .

مذابح الجهاز للثوار عام ١٩٧٨

عجل الجهاز بنهاية الشاه المتوقعة بإيقاع المذابح بمؤيدى الخمينى الذى لم يكف فى منفاه عن مهاجمة الشاه بشأن احتفالات البذخ على مرور ٢٥٠٠ سنة على الملكية فأمر الشاه بنشر مقاله شائنة بحقه فاندلعت ثورة فى «قم» تؤيد شيخها ، وقتل الجهاز عددا منهم فى (٩ / ١ / ١٩٧٨) وبعد هذه الواقعة فى (١٨ / ٢) تظاهر عدة آلاف من أهالى تبريز فى ذكرى الأربعين لضحايا حادثة «قم» فهبت الثورة وهاجم المتظاهرون مبانى حزب الشاه (البعث) والبنوك ودور العرض ، فأطلق السافاك النار على المتظاهرين ، فقامت في آخر مارس ١٩٧٩ مظاهرات فى طهران وأصفهان استجابة للمشايخ فى ذكرى أربعين قتلى تبريز فقتل السافاك والشرطة أعدادا منهم . وعلى هذا الأساس كان يتوالى انعقاد مراسم الأربعين فى ذكرى قتلى الثوار بالمدن ويتوالى قتلهم بيد الجهاز . وتصاعد التوتر بين الشعب

والشاه وسافاكه حين اعتدى رجال الأمن فى ١٠ / ٥ / ٧٨ فى «قم» على بيوت رجال الدين ومنهم آية الله شريعتمدارى وقتلوا منهم عددا ثم قامت مظاهرات فى طهران فى ذكرى ضحايا «قم» هؤلاء ، وتوالت الثورات فى أصفهان وقم وشيراز وطهران فى الشهور التالية ، واشعلت النار فى سينما ركس بعبدان يوم ١٩ / ٨ / ١٩٧٨ وأحرق فيها أكثر من ستمائة شخص وتفحمت أجسادهم وسرت شائعات بين الأهالى أن السافاك هو الذى دبر مسبقا لهذه الحادثة لأن أبواب السينما كانت موصدة من الخارج ولم تبلغ قوات الأمن إدارة الأطفاء متعمدة إلا بعد نصف ساعة من الحريق ومنع المسئولون مساعدة الاهالى لإنقاذ المحبوسين بداخل السينما وكان قصد السافاك إلقاء التهمة على المشايخ . ولفت ظلال الغموض الحادثة تماماً ، ودعا الخمينى لقلب نظام الشاه ، وبدأت مسيرات الشوارع واعتصم الناس بالمساجد والمنازل وطالبت الجرائد بحل السافاك ومعاقبة من قاموا بأعمال التعذيب وإطلاق سراح السجناء السياسيين وبعودة المطرودين إلى إيران .
وحين قام أكثر من مليون متظاهر إيرانى بمظاهرة عظمى فى ميدان جالة بطهران ظن نائب رئيس السافاك ان هذه فرصته لكى يقفز إلى الرئاسة العامة للجهاز فأمر بإطلاق النار على المتظاهرين فسقط نحو أربعة آلاف من القتلى فى يوم الجمعة الأسود ٨ سبتمبر ١٩٧٨ وكانوا تجمعوا لتأبين قتلى أول سبتمبر الذين حصدتهم قوات الأمن بعد خروجهم من مسجد الزهراء متظاهرين ، وتناقل الناس أن ثلاث طائرات مملوءة بالكوماندوز الإسرائيليين وصلت طهران يوم ٧ سبتمبر ليقوموا مع السافاك بهذه المهمة . ولم يكتف نائب الجهاز بما فعل فسلط بعض الأوباش لإشعال النار فى دور السينما والبنوك والمؤسسات الاقتصادية حتى يلقى تبعة ذلك على الثوار ليعجل بنهاية الشاه والملكية فى ثورة فبراير ١٩٧٩ .

الأرضة

بُرُزْج علَوي

أنا أحد رجال السافاك . لست خجولاً من أنني اخترت مثل هذا العمل ولست فخوراً بذلك . إنه أيضاً عمل كسائر الأعمال الأخرى . أيكون موظفو وزارة المالية كلهم لصوصاً أو أولئك الذين يرسلون من محاكمهم الناس إلى السجون جماعات بذنب أو بدون ذنب أو إلى المشنقة أهم جميعا سفاكو دماء . إن العمل في إدارة حكومية واحدة ليس في حد ذاته جريمة . وهل يحدث أن تعيش في بلد خالل من الحراسة ؟ ألايوجد في أمريكا الحرة جهاز الاستخبارات الأمريكية ؟ ألا توجد المخابرات البريطانية في بريطانيا ؟ وفي فرنسا (الركن الثاني) وفي روسيا (كي . جي . بي) ؟ لابد أن هذه الأجهزة توجد في كل مكان آخر . وأنا على استعداد اليوم أيضاً إذا تيسّر ليّ أن أعمل لحساب أي شخص مهما كان . كون العمل شريفًا أو غير شريف إنما يتعلق بما يرتبط به من ظروف . نعم أنا تقاضيت الرشوة . أليس تقاضي الرشوة رائجاً في إدارات الشرطة والقضاء ؟ إن الرشوة موجودة في المحاكم وفي الجيش أيضا ، فلماذا لاتروج بدورها في جهاز أمن البلاد واستخباراتها (السافاك) ؟ لكنني لم أعذب أحداً ، لم أقتل أحداً . وسبب ذلك أني افتقدت الكفاءة لفعل ذلك . لكني رأيتهم يؤدبون المخربين . دعنا من هذا .. أنا رأيت أشياءً كثيرة . وأعرف أشياء كثيرة . حتى الأمس لم يكن بمقدوري أن أحكي عنها وأكتبها . لم أكن استطيع أن أبرز للآخرين مايعتمل في فكري وشعوري . لكني اليوم أتمتع بالحرية . زالت عن فمي الكمامة . لدى في البلد الذي أحيا فيه الآن هذه الحرية على الأقل وهي أن أسطر علي الورق ما أضمرته سنوات . لا أحس بأدني خجل وأنا أفصح عما أرتكبته من أعمال الشر . قصدى أن يتقبل القُرّاء ما أكتبه ويتصل بالآخرين . والآن وأنا أحطم نفسي لماذا لا أفضح الآخرين . كنت أعمل في الصفوف العليا للسافاك .

بدأت من القاعـدة . لم أكن من أولئك الذين يرمون بالفـتات إلى من هم دونهم . فى السنوات الأولى فـقط كان يـصلنى حينا جـزء من العظم الذى كان يأكل لحـمـه السـمين الرقيـق أولئـك الرؤسـاء ولايـصـل أمثـالى إلا فضلاتهم . لم يـكن منه ما يقيم الأود . فقلت لا تصـبح الأمور بهذا الشكل . لابـد أن أنال بـدورى نصيبًا . كـافحت لكى أصعد الدرجات . كان حظى لفـترات لايتجاوز أن املأ مـعدة امرأتى وولدىّ واشـترى سيارة وأسافر . مضت هذه المرحلة . لم يبق لىّ شئ آخـر فقد ضاع كل ماكنت ادخرته . الآن لا أملك حتى الأسمال البالية . أنا تعيس مهزوم ، بائس ، مشلول ، أصيبت قلمى برصاصة وأوشكت هذه الرصاصة أن تصيب قلبى أو رأسى . لم يعد لدى القدرة على السـعى . يدى هى التى تعمل فقط . عقلى أجوف . مع أن لدىّ شهادة جامعيـة فأنا مثلاً حاصل على الليسانس إلا أنى ليس لدىّ علمٌ يُـعتـد به . . لأكـتب كل مـا يصل إلى ذهنى . لا أعرف التنميق فى اللفظ ولم أتعلم توشية الـعبارة . لم أكتب طوال عمرى عشر رسائل . لم يكن لدىّ أحد أكتب له رسالة ، لاصديق ولا واحد من المعارف . كتبت بدلاً منها التقارير . الكتابة غدت الآن وسيلة لكسب لقمة العيش . لاتلـزمنى الفصاحـة والبلاغـة . يكفينى وحسب قلـيلون يقرأون ويدركون أن عليهم أن يدفعوا لىّ .

إن أردتم الحقـيقـة فأنا أسـود هذه الوريقات لأجـمع بعض المال وأصل بسفينة عمرى المحطمة إلى الساحل الذى لايبعد كثيرا . لايتصورنّ أحد أنى أتوقع فائدة جـزيلة . ثم إننى وحيد مـقطوع . ماتت زوجتى رحمـها الله قبل الثورة بسنوات . كانت واهنة مريضة . كـان يسيطر عليها الخوف دائماً من أن تتغيـر الأوضاع فيقـبضوا علىّ ويقتلوننى . ابنى وابنتـى أستقل كل منهما بنفسه . ابنى يقيم فى أمريـكا وتزوجت ابنتى وأنجبت وحياتها مأمونة

ولا يحب واحد منـهما أن يكون له قـرابة أوصلة مع واحد من السـافاك .
وأنا أيضـاً أخرجتهم من حيـاتى . إذا لم تكن مشكلة (رقية) لما عشت فى ر
هم قط . كـانت رقية يـوماً عدوى اللدود والآن هـى نصيرى ومـلجأى .
أحبها الآن وأحبها كثيراً لم أحب أحداً بعد والدتى رحمها الله أكثر منها ،
لا زوجتى ولا ابنى أو ابنتى . لايستطيع واحد منهما أن يسدى إلىّ عوناً .
لكن قدرتها لاتتـعدى أن ترسل إلىّ أحيانا رسالة وتستـفسر عن أحوالى .
عليّ أن أهتم أنا بنفـسـى . كان كـل منـا منذ أن كنا صـغاراً يراعى جـيداً
خاطر الآخر ، فـكنت أشاطرها البكاء حين كانت تبكى . كانت تـصغرنى
بأربع سنوات وتسـمع كـلامى . إلى أن أقـول لها : مـاذا تفـعلين الآن ؟
فكانت تجرى إلىّ وتتدلل . (رقى ، أى خيط تنسجين ؟) .

فرق القدر ما بيننا . أحاول اليوم وأنـا وحيد ومنفرد أن أجمع قليلاً من
المال بكتـابة هذه المذكرات وألا امـدّ يد الاستجـداء إلى من يستـحق ومن
لايستحق قلت مـن يستحق ومن لايستحق . أنا لا أمـد يدى ، عليهم هم
أنفسهم أن يأتوا إلىّ ويسددوا حسابهم .

حسنًا ، قلـت إننى حر ، ولكن ليس بقـدر الحرية التى تجعلـنى أكتب
على الورق كل ما أحب أن يـبدو بوضوح وصـراحة (ما إن ترفع العـصا
حتى يحسب القط السارق حسابه) لن أذكر واحداً باسمه ، فليس من وراء
ذلك فائدة . فـأنا أعلم تفصيلات حيـاة المحيطين بى ، أعـرفهم كلهم .
أعرف أين كـانوا وماذا فـعلوا وإلام وصلوا وأين وفى أى ظروف يعيـشون
الآن وأى شركـة أو مصنع أو مـحل بيع كان لهـم به علاقة واتـصال وكم
أسهمهم وباسمـاء من هى أملاكهم فى إيران وأوروبا وأمريكا وكم يبلغ دخل
كل منهم . أقول هذا لكى تفهموا من أى مصدر جمعت معلوماتى .

كان لى نفوذ وسلطة فترة فى جهاز السافاك فى أوروبا . كانوا يهابوننى

ويداهنوننى وكنت أعلم إلى حد ما أين يستثمر الأمراء ورجال البلاط والحكومة والأعيان ورجال السافاك أموالهم . كانوا يستشيروننى أى سهم يشترون وفى أى بنوك يودعون أرصدتهم أو مَنْ الرأسمالى الذى يشاركونه وأعرف الدقائق التى كانوا يخفونها عن أقرب الناس إليهم حتى عن زوجاتهم وأولادهم . أنتقيهم واحداً واحداً وأعلن مآربهم وأفشى أسرارهم وأثبت أخطاءهم وخياناتهم وشرورهم وجرائمهم إلى الحد الذى لايمكنهم التفوه بكلمة . قلت طبعا إننى لن أذكر اسماءهم . هم أنفسهم جميعا يعلمون من الذى أقصده وما الذى أرمى اليه . وليس بالضرورة أن أمد يد التطاول عليهم لأنهم سوف يبحثون عنى وينيلوننى جزائى ويحتفظون بكرامتهم . وهذه هى طريقتى نفسها وفنى فإذا توقح بعضهم ولم يرد أن يركع لىّ لنشرت جانبًا من أسراره تحت أسماء محرفّة فى إحدى الصحف التى تنبت اليوم لحسن الحظ كالفطر من الأرض فى أوروبا وأمريكا ، فإن كان اسم الواحد منهم مثلاً (باخترى) ذكرته (بخترى) . ولا أعتقد أن أحداً منهم مطلق العنان بحيث لايرضخ . هذه هى تجربتى التى خرجت بها بعد أكثر من اختبار حتى اليوم ونلت منها شيئاً .

كان أول من لفت نظرى إلى أن هناك عالماً آخر يخالف المحيط بى واحداً من الأقارب البعيدين لوالدتى واسمة موسى وكنت أدعوه (موسى جون) كنا نختلف كثيراً من حيث الثروة والمكانة . كنت أنادى أمى بـ (النينة) وكان ينادى أمه بـ (الهانم) . نشأنا سويا . كان منزلنا فى (كزركلانتر) ويبعد منزلنا عن منزله بزقاقين أو ثلاثة . كنا فى مدرسة واحدة . كان يسبقنى بثلاث سنوات دراسية . كنا نلعب سويا . كان موسى جون يتيم الأب وأمه ثرية . كان لهم حديقة واسعة تمتلئ بأشجار

الرمان والتفاح والكمثرى والخوخ وفيها حوض ماء كبير يمكن السباحة فيه . وكان منزلهم الرحيب يحوى حجرات متنوعة تمتلئ بالمرايا الكبيرة والنجف وبالخدم والحشم والبساتين . وكنا نحن فقراء مساكين . فأبى أصلاً لا أتذكره . وكان لنا فناء صغير فيه حوض مستدير تتحرك فيه بضع سمكات وكنت أنا وأختى رقية نحاذر كثيراً من أن تنشب قطط الجيران أظفارها فيها . كانت لنا حجرة حقيرة وبجانبها دورة المياه ثم المطبخ وكان الحوض على طرف منها وحجرة أكبر على طرفها الآخر كنا ننام فيها وقمت أنا بصنع سرير لىّ مستخدماً المنشار والقدوم وبعض الخشب . وكنت أكسر الباب والصناديق لكى أصنعه . لم يكن بمقدورنا اللعب إلا فى منزل موسى جون . لم يكن فى كوخنا الضيق الحقير موضع نلعب فيه . كان موسى جون أول من أضلنّى عن الطريق . كنا نعود معاً فى أغلب الأوقات من المدرسة إلى المنزل .

فى أحد الأيام توقف فى منعطف الزقاق وتحدث مع امرأة بضع كلمات . وكنت واقفاً بجانب وأرى أنها من تلك النساء اللاتى تأكلنى أنا أيضاً بعينيها أثناء ملاعبته لهن . سألته : من كانت هذه ياموسى جون ؟

- ماذا تريد أن تفعل ؟!

- لا شئ قط .

- سنرى هل تحب أن تتعرف إلى أختها ؟

وحيث إننا ركبنا الأتوبيس يوماً من المدرسة وذهبنا إلى بيت دعارة فقد ذقت ولأول مرة طعم حياة الأغنياء وتمنيت أن أصبح غنيا مثل موسى جون وألهو.

وما أن تلقيت بعض التعليم حتى أوجدت أمى لىّ عملاً . فعملت كاتبًا بسيطاً عند تاجر فى سويقة (حاجب الدولة) وكنت أجلب للزبائن الشاى والنارجيلة وأحمل الجرار إلى المخابز وكنت أعطى

والدتي مـا آخذه من أجـر . وأفلس حاجي نبي صـاحب العمـل ومات .
وكان ابنه (ميرزا على خان) موظفا فى المالية فأخذنى معه إلى إدارة المالية
ووظفت في المحفوظات . وكنت أحجل كيفما اتفق . والتحق موسى جون
بـ (مدرسة ثروت) وحصل على دبلوم . كان جـميل المنظر أسود العينين
والحاجب وحسن الكلام والهندام ومـتعجرفا أيضاً حينًا وكـثير الادّعاء لكنه
ظل معى كما كان . ورافقت مـيرزا على خان إلى ميناء (لنجة) فى أحد
الأسفـار للتفتـيش على ضرائب الصـيادين ومكثنا بهـا ستة شـهور فلم نر
سمكاً ولا صـيادين . وجدنا بدلا منهم مـهربين بقدر ما يتـقدر . وهؤلاء
لايجوز أن يؤخـذ منهم ضرائب فرجعـنا بدل الضرائب بقدر من الأقمـشة
الحريرية والسـاعات والأساور والذهب وما إليـها من البضائع الرخـيصة ،
أتيت بسوار ذهبى لأمي دخل ضمن جهاز رقية عند زواجها . وكنت نحيلا
جداً حين عدت من لنجة لايبدو منى غير الجلد والعظم . قبض على ميزرا
على خان وأودع السجن . ثم عمل جاسـوساً للسافاك ولا يزال يعيش فى
ناحية من إيران . طردونى من العمل وصرت شريدًا .

وحين عدت كان موسى جـون قد صار إنسانًا محتـرماً . صار صاحب
منصب وثراء وصاحب أمـر ونهى . لكنه ظل معى كـعهده القـديم . كان
يتـسم حين يرى ما فى يدى من ذهب . قال مـرة : لم يكن غير الفـتات
نصيبًا لك فتغاضيت ، ولم يتابع أيضاً تعليقه .

واستمرت بطالتى فترة . وجاء عام (١٣٣٧ هـ /١٩٥٨ م) حيث كان
السافاك يستقـر . أتى موسى جون يوما فى الأصيل لزيارة أمى . كنت أنا
ورقيـة جالسين على الحوض ، كنت أغـسل قدمىّ وأتفرج على الأسـماك
الحمـراء ، لم أكن أحـب أن أكـون ممتنًا له ولا أن يتصـور أننى عـاجز .
مهما يكن من أمر فأنا إنسان ذو نخوة . سمعته يسأل أمى :

- ماذا يعمل ؟

لا شيء ، عاطل . ساءت أحواله وهو فى لنجة . اتركه حتي يفيق ثم أجد أنا له عـمـلاً . اننا لم نمت حـتى الآن من الجـوع . مـازالت أيدينا تصل إلى أفواهنا . .

كانت أمي باعت قرطين ذهبيين كنت آتيت بهما من لنجة وكانت أمورنا مدّبرة .وحين أراد مـوسى جون مـغـادرة البيت توقف قليـلاً عند الحوض وقال : يارو « يعني ياصديقى العزيز» لن أذكر ، أسمى وأسباب ذلك كثيرة .

يارو ، هل يمحى كنف قدميك بالماء البارد ؟

فأجـبتة : أنت تغسل قـدميك بصابون « بالموليف » وتدهنهـا بعد ذلك بعطر « كوتى » . لكننا فـقراء مساكين نغسل بهـذا الماء العطن وليس آمامنا غيره . .

لم يطق سماع السخرية . قال : انظر ما أقوله لك . أنت سمعت أننى منذ أيام عـديدة أصبحت مـوظفا فى البـنك الوطنى . وسوف أسـافر إلى أردبيل بعد بضعة أسابيع لأعمل فى فرعها .

- صرت صاحب وجاهة ومكانة ؟ بهذه السرعة ؟

- مامعنى بهـذه السرعة ؟ لقد خدمت سنتـين فى وزارة المالية وانتقلت الآن إلى البنك الوطنى وأصبحت مـوظفا فى البنك الوطنى فى أردبيل وهو ليس منصبًا رفيعًا . سوف نتحدث فى هذا الموضوع سويًا .

واتفقنا أن أذهب إلى منزله بعد بضعة أيام .

تحـدث كثـيـرا عن أن على الإنســان أن يكون له مـعين فى هذه الأيام الصعبة حين لا ينفع أحد قط أحـدًا . يتلمس الإنسان من يأخذ بيده بحيث

ينهض بمفرده حين يقع . كل النـاس لديهم جعبة مليئة بالسهام ويقـصدون الناس بهدف أن يجندلوا كل حي « لما كنت أنت وميـرزا على خان في لنجة لم يقف أحـد معكمـا ولم يهـتم بكما إنسـان » . وقـال وكرر فـسألتـه :

- وأنت ياموسى جون هل لديك الآن معين ووجدت ظهراً لك ؟

- نعم كـما ذكـرت . وأنت عليك أن تتلمس نـفس الطريق وتجد مـا تستند عليـه . أمك لا يمكنها أن تكون عصـاك التى تتوكأ عليهـا ولـم أفهم جيداً مـاذا يريد أن يقول حرت وشردت هل يريد أن يوبخـني ؟ أو أنه حقا يعطف عليّ ؟. هل يقصد أن يكسب قلب أمى ، عندمـا كنا نسهر معًا هو لم يكن بعـد موسى جـون الذى ذهبنا معًـا إلى بيت الدعارة . كـأنة الآن رئيس بنك يوجه نصـحه إلى عمـيل وضيع كان بيده مـسبحة ذات حـبات غليظة ويقلد دون قصدية منه العظمـاء . ولـم أكن حتى ذاك الوقت سمعت بالسـافاك ولم يكن بإمكـانى أن أصدق أن عـملاً مـا يأتى من هذه الإدارة الحكومية . كـنت أفكر فى أن أفتح دكانًا بما بقى مما جلبتـه من لنجة . بل إن فكرى وصل إلى أن اعود إلى لنجـة واتابع ما انقطع من أعمال الـشهور الستة الماضـية . بل أنني ذهبت يوما لملاقاة ميـرزا على خان . كان يمتلىء بالعافيـة بعد أن قضى ثلاثة أشهر ونصف الشـهر فى السجن . لم يعط لما حدث له أهمية . وبدا سعيداً حين رآنى .

- ماذا تعمل ؟

لازلت عاطلا أريد أن أذهـب إلى ميناء لنجة . أتيت إلـيك لاستفـسر منك عن بعض أولئك الذين كانوا يتعـاونون معك . كان زعشير وشـبيريته يتعاملان معنا جيداً . كانا متـوافقين معنا وميزراً كعبى أيضاً الذى كان قليل التعليم ومع عماه لم يكن يصنع معنا شراً مع شراهته .

- أصبر فبـعد بضعة أيام أخرى سينتهى أمرى فـقد وجدت منفذاً نلج منه وبمجرد أن أخرج من هذه الورطة نكون معًا مره أخرى . وأنت لم يضق

بك الحال حتى الآن . لا أعرف إن كان يصدق أو يكذب . صممت على أن أسافر إلى ميناء لنجة لكن القدّر كان قد رسم لىّ دوراً آخر . جاء موسى جون إلى منزلنا ليودع والدتى .

- تعال غدا فى العاشرة تماماً إلى منزلى لأنى أريدك فى أمر .

أركبنى سيارة أجرة وقادنى إلى عمارة ذات طوابق عديدة . وقفت لحظة على الباب ودق هو الجرس ودخل . ظللت منتظراً هناك نصف الساعة. أتى شخص بعد ذلك وسألنى :

- هل أنت الذى كنت برفقة موسى خان ؟

فتح الباب وقادنى إلى داخل المبنى . عصّب عينىّ وصعدنا بالمصعد بضعة أدوار . أتى شخص آخر واقتادنى إلى غرفة وأقفل علىّ بابها . ومضت نصف ساعة . لا ، لاأدرى ، هذه الفترة كانت عمراً فى طولها وكان بنفس تلك الغرفة باب آخر وحاولت أن أفتحه . سمعت صوت قدم . أخذ قلبى يدق . كنت على وشك أن أصرخ صببت على موسى وأبية وأجداده كل ما أعرف من السباب . كان شئ بداخلى يصرخ فىّ ، يكمن فى هذه الغرفة كل شئ يتصورة العقل . أزيلت العصابة عن عينى. انفتح الباب ودخل رجل يلبس نظارة سوداء . رأيت بالغرفة منضدة وكرسيين سألنى : ما اسمك ؟ أنا الدكتور بيجن .

- فلم أحر جوابا .

- قال : اجلس .

كان على المنضدة ورق وبضعة أقلام ودواة حبر . داهمنى الخوف ، بان لىّ ما كان خافيا ، هنا السافاك . هنا يستجوبون الناس ويستخرجون منهم خبايا الأمور ، علىّ أن أرد شئت أم أبيت كل ما أتيت به من لنجة . هذا هو الحل ! ربما أخرج من هنا حيّا ، سألت نفسى : إذن ميرزا على خان انتهى أمره بدوره إلى هنا. لم يكن يقطر من سيماء جليسى أى غيظ أوغضب. قال :

- أنا الدكتور بيجن . سوف أتركك ساعة لتكتب تقريراً عن حياتك . لكن لاتنس التفصيلات . نحن نعلم عمومياتك . من هم أصدقاؤك . من الذين اختلطت بهم . اكتب أيضا أسماء معارفك . اسم أمك وأبيك وأختك . فيم تعملون ؟ من أين تعيشون . حتى تلك الأمور التى لاتبدو هامة فى نظرك عليك أن تكتبها بدقة وتمحيص .

- قلت : - سيدى الدكتور أنا لم أفعل شيئا . ولم أدخل أى جماعة أو حزباً سياسيا قال : أعرف هذا ، بل أعرف أفضل منك . تريد أن أبين لك مالا تعرفه أنت عن نفسك ؟ أعرف أنك لم تفعل شيئا ولم تحتل على أحد . ألم تأت إلى هنا حتى لاتخرج خالى الوفاض بل قاضيا حاجتك ؟ .

قال ونهض ولم يقفل الباب وكرر :

سآتى آذن بعد ساعة وآخذ الورق . وذهب وأمسكت بالقلم وخططت بضعة أسطر على الورقة الأولى وقلت لنفسى: ماذا أكتب وماذا لا أكتب ؟ حملت روحى على كفى وشرحت حياتى بالتفصيل فحين بلغت السادسة أسلمتنى أمى إلى مدرسة حكومية ولما كنت قصير القامة جلست على المقعد الأول . لم أكن طفلا غبيا كنت اتعلم كل ما أقرأه فى المدرسة . وتعلّمت حتى الصف الحادى عشر ثم رسبت فى الامتحان ولم أذهب من بعدها إلى المدرسة وتشردت أيامًا . ومضى على أمى ستة أشهر وهى لم تعرف أننى أهرب من المدرسة وألعب مع المشردين لعبة الطاب . وأوجدت أمى عملاً لىّ . فكنت أعمل أولاً فى سويقة (حاجب الدولة) عند حاجى بنى ثم وزارة المالية . اسم اختى هو رقية وصديقى هو موسى جون وقد تعلمت فى المالية على يد ميرزا على خان شغلى . تعلمت كل دقائق الشغل كيف أعطل أعمال العملاء وكم أتقاضى منهم كرشوة وأي مبلغ أعطية لميرزا على خان وكان نصيب ميرزا على خان ضعف نصيبى . كان

يقول إن عليه أن يعطى نصف نصيبه لرئيسه . كنت أسترق إليه النظر فأراه يأخذ مبلغا ضخماً من بعض دافعى الضرائب ويودعه فى حساب رئيسه أو على الأقل كان يظهر لىّ أنه يفعل هذا . كانت كل الناس ترجع اليه من لابسى الملابس الإفرنجية والقلانى والمعلمين والباعة المتجولين والتجار المفلسين وتجار التجزئة . . كان التفتيش على الدخول يتم كيفما اتفق وبدون قواعد (فى غيابه) بئر لا قاع له ويلفّون السبع لفّات . كان الأفنديات هم سادة الباعة الجائلين . ، وكانت السياسة المتبعة أننا (نوزعهم) بحثا عما لا يوجد نتعلل ونماطل ونجعلهم يدورون حتى تهد قواهم ويرسلون وساطاتهم . ثم يساومون ثم نتفق ونفصل الأمر . لم آخذ قرشًا واحدا حتي شهر قبل سفرى من ميناء لنجه قال : يجب أن يعطى كل شئ لرئيسه ، إنه يرتب لنا عملاً مجزيًا به سوف يعود علينا دخل وفير . وحدثت الأمور على هذا النحو . سافرنا . والى هنا لم تكن كتابة قصة حياتى عملاً صعبا . لم نحصل على دخل كبير يسترعى الانتباه لكننا أحدثنا ثورة فى لنجه . كان ميرزا على غسان يعرف ألف طريقة استحى من ذكرها . أحياناً كنت أحاول أن أحول دون مبالغاته فى تقديراته فكان يبتسم ويُعدني طفلاً ويقول : حين تكبر سوف تعقل - لو كتبت كل هذه الحوادث لضبطت متلبساً . كنت أتصور حتى ذاك اليوم أن رئيس هؤلاء (السافاكيين) يحلق مثل الشرطة الاحتيال وينجز أعمالة بدقة بنفسه . النهاية ، ملأت ثلاث أوراق وجلست أنتظر مترقباً نهضت من وراء المنضدة وكانت عيناي بدون عصابه وتمكنت من الوصول إلي النافذة وإلقاء نظرة على خارجها . لم أر شيئا ملفتا للنظر . فمشيت حتى سمعت صوت فتح أكرة الباب ثانية .

دخل الغـرفـة - هذه المرة - رجـــل كـان يقـدم نفـســه على أنــه الدكتـــور (جهانجيــر) بيده حقيبــة ، بهيئة هادئة تبدو منه ضحكة ضعيفة كاذبة تثير الاشمئزاز وبين شفتيه سيجارة . كان يمسك حقيبة جلدية صفراء ولا يمكن تحديد هيئته من النظارة السـوداء على عينيه . كـان يظهر ليّ أنه يقـصد استـمـالتي . لم احتـرم هذا الرجل كـثيـراً . أكان يريد خـداعى ويستخـرج منى الكلام ؟ هل وجهه مقبض أم بشـوش الطلعة ؟ كان يمكنه فى كل الأحوال أن يكون ممثلا بارعاً . أخافنى .

- اجلس ياسيد .

كان يبحث فى حقيبته عن شـئ ما . أخرج منها مجموعة من الأوراق ووضعها على المنضدة . كـان يريد أن يظهر ليّ أنه أخرجها بطريق الخطأ . فطنت للأمر . كـانت الأوراق أوراقى . وضعها فـوراً بداخل حقيبـته رفع الأوراق الثلاثـة التى ملأتهـا . ألقى عليهـا نظرة . توقف بضع ثوان على الورقة الثانية ولم ينظر أصلاً إلى الورقة الثالثة .

- كتبت كل شئ ؟

- قلت : (أجل) لكن حواسى كـانت فى مكان آخر . تلك الأوراق هى نفس الأوراق التى سبق أن أبديتها وأفرغت بها جيوب (الشيخ غضنفر) الذى تعالت صـرخاته إلى السماء . أثار جلبـة وزعيقا ، هددته مـا مقدار السمك الذى صـدته ؟ أين إيصال دفع ضرائـبك ؟ آذيته كثـيرا . لم ينطق بكلمة . والآن يواجهنى بها السيد الدكتور .

- إذن الشيخ غضنفر هذا لماذا اشتكاك إلى الشرطة ؟

- سيدى هؤلاء مهربون وأنا كنت أضبطهـم متلبسين وكانوا يلفقون ليّ التهم .

كنت أتحدث وكان ينصت مرة ولاينصت أخرى ويقرأ ماكتبت ، لكنه لم يدون شيئا . كان قلبي يخفق ، كنت أخشى أن يمسك الاستجواب بخناقي .

- أشخاص آخرون شكوك أيضا مثل كعبي وشبير وعاصم .

- كلهم ياسيدى الدكتور كانوا مهربين .

رأيت أنه لايهتم بأعمالى تلك . كان يسألنى وكنت أجيب وكان يخرج الأوراق من حقيبته ويقلب فيها . وفجأة قاطعنى قائلاً .

- وماذا تعمل الآن يابنى .

- عاطل . وشرحت له أن أمى تبيع سجاجيد المنزل وأثاث وأن حياتنا تمر بأى شكل .

وبمجرد أن قلت (وأفكر فى أن أذهب إلى ميناء لنجة) حدّ سمعه :

- ماذا تفعل هناك ؟ .

- اكتسب مالاً .

- تريد أن تصير مهربا ؟ .

- لا لكنى أقبض على المهربين وأسلمهم للشرطة .

- السيد ميرزا على خان . . وصى عليك (وإلا) موقفك .

- هذا من لطفكم .

- يمكنك أن تذهب حيثما تشاء . ميناء لنجة ليس مكانًا سيئا لكن بشرط . عليك أن تخبرني (بأى) شئ تراه مخالفاً للمصلحة العليا للوطن .

إذن كانوا يطلبون منى التجسس . فهمت ما يرمى اليه ، لكنى اصطنعت الجهل . عجيب ، إذا كان هو داهية فأنا أكثر منه دهاءً .

قلت : سيدي مامعني المصلحة العليا للوطن ؟ .

ففصل القول في موضوعات نعرفها جميعا . لو أن أحدًا شتم الشاه أو

لو أن آخر جاء بورقة أو شئ من الكويت والسعودية وباكستان وخاصة لو أن واحداً كان معه كتاب وقرأه ثم أعطاه لغيره . لو أن شيخاً أراد أن يعلم أولاد الناس دروساً غير القرآن وجزء (عمّ) ، لو أن شخصاً قدم إلى لنجة من المدن الأخرى وأراد أن يتصل بغيرة من الناس وحدثت مؤامرة ، لو أن واحداً لاقدر الله أتى بمسدسات وخناجر وسكاكين وباعها للشباب . لو أن بضعة أشخاص اجتمعوا تحت خيمة عدة ليال وتحدثوا معاً . ظل يتحدث وأنا لم أفهم بعد ماهى الجاسوسية وأيقنت أن مثل هذه الأعمال تتأتى منىّ . إذا هذا الشغل هو ما كان موسى جون يسمية المعين والحامى . قوى ظهرى النشاط ولم أذكر لأمى نوعية شغلى وأعطيتها من الأربعمائة تومان التى أقرضنيها الدكتور بيجين مائة وصممت على أن أصحح العزم وأتجه إلى لنجة بقصد أن أعاقب ميرزا كعبى . كان هذا هو الظاهر ، أما فى الباطن فكنت أشعر بالرعب . أحسست حين هبطت من هذا المبنى ذى الأدوار المتعددة أن الجميع ساخطون علىّ ينظرون إلىّ بغيظ فكنت أشجع نفسى (لايمكن إمساك الهواء) . ينبغى التفاهم والبقاء سالمًا . كنت اعتبر نفسى إذ ذاك موظفا بالسافاك . كل من يصطدم بى وجهت إلى عظام صدره ضربة لايتنفس بعدها . إنهم يجعجعون بلافعل وفكرت لمدة أيام عديدة هل أذهب إلى لنجة أم أبقى . هل لا يمكن التجسس هنا فى طهران . وفى النهاية حسمت أمرى (وصممت) على السفر حين تقدم زوج لأختى الصغيرة . أمرت أمى أن أبقى حتى يتم خير البر هذا . لم أكن رأيت حتى ذاك الوقت العريس . كنت سُمعت أن رقية لها علاقة مع رجل يكبرها بضع سنوات وأن هناك كلاماً حول الزواج . حين أتى العريس إلى منزلنا بقصد الخطبة الرسمية واستقبلته أمى فى حجرتى تراجعت مأخوذا . على حين غرة . غلبنى تصور أخذ يلمع كشرارة ثم يخمد بأننى رأيت هذا الرجل فى مكان ما .

لكنى لم أدرك من هو رغم سعي الحشيث . حينها عرفت أنه هو من كان اشترى منى بضاعة مهربة فى ثلاجة . لكن بدا مختلفا . أيقنت أننى صادفته مراراً أثناء بضعة شهور بطالتى بدون أن نتلاقى وجهاً لوجه. ثمة خاطر بدا لىّ كلمح (البصر) مصيبة لوكان راقبنى قبل لقائى بالدكتور بيجن ، والآن يريد أن يتفحص أحوالى ، يريد اختراق منزلنا . لكن هذا الوهم زال من تلقاء نفسه بعد الترحيب العادى . توامم أحدنا مع الآخر وصرنا أصدقاء كنا نقضى ليالى بصحبة أختى رقية ونشرب منفردين البيرة فى المقاهى وكنت أفشى له كل ما بقلبى .

الشئ الوحيد الذى أخفيته عنه معرفتى بالدكتور بيجن ومهمتى فى (لنجه) . أمضينا حوالى أسبوعين سويا الليل مع النهار وكان كلما أردت أن أعتذر له بالتأهب إلى السفر يمنعنى من مفارقته . وتأخر زواج رقية . وفى صباح اليوم الذى قررت أن أحمل فيه أمتعتى إلى محطة أتوبيسات خط الجنوب ، حين عدت إلى المنزل مساءً وجدت رسالة ملقاة داخل دهليز المنزل من عقب الباب . كان الدكتور بيجن يستدعينى فيها لملاقاته بنفس المبنى الذى ذهبت اليه برفقة موسى جون فى الساعة العاشرة تماما . ولم أدق الجرس حين فتح الباب رجل . يالغفلتى لقد كان هو خطيب رقية . تمزقت نياط قلبى . انعقد لسانى . ضحك ولم أنبس ببنت شفة . صعدت المصعد وسرت هذه المرة إلى حجرة الدكتور بيجن . انفتح الباب المغلق وتلاقينا منفردين بدون خطيب رقية .

لم تتزوج أختى لكنها حملت . أخفت ذلك عنى أمى . عولج الأمر وأسقط الجنين حين ذهبت لزيارتها بالمستشفى سمعت اتفاقاً من الممرضات أن حادثاً وقع لها . عرفنى بالتفصيل الدكتور بيجن أن الذنب كان ذنب رقية وليس ذنب الخطيب . طبعا لم أصدق كلامه لكن ماذا أفعل ؟ إما أن أقتل نفسى أو هذا الخطيب أو رقية .

ولم يكن لدى الجرأة على فعل أحد هذه الاختيارات . بدأت مهمتى من ذاك اليوم . لا أستطيع أن أفضل شرحها ولن أشرحها وإلا لن يكفينى ورق (لكتابتها) .

الخلاصة هى أن واجبى كان التسلل داخل صفوف الطلاب اليساريين . كان الطلاب يقومون بالجلبة فى الجامعة بلا داع كانوا لا يحضرون المحاضرات . بل إنهم أهانوا أحد أساتذة كلية الطب . لم يدعوه يدخل محاضرته لأنه كان يمجد الشاهنشاه . قالوا إنه يحاول بهذه الطريقة أن يتبوأ منصب رئاسة الجامعة . كان واجبى أن اكتشف من هم زعماء مثيرى الفتنة . نبهونى إلى أن هناك خلافى مأمورين آخرين يراقبان الوضع أيضاً ومن الممكن أن أقع فى دائرة الشبهة بسبب تشجيعى وتحريضى للطلاب على تمردهم فيعتقلنى ضباط الشرطة . لم أكن أخشى من أن أضع روحى على كفى . لا أضن عن بذل ما لدى من شجاعة . الهدف هوأن الجهاز - ولأول مرة سمعت هذه الكلمة من فم الدكتور بيجن - يعرف من المحرك الأساسى لهذه الاضطرابات وماهو التنظيم أو الحزب أو التجمع أو الجهات الأجنبية التى هم على اتصال بهم . الأمر الدقيق فى هذه المهمة هو أن أحاذر وأتحوط فى تنفيذها . لأنه لايستبعد أن يكون المحرضون أنفسهم من موظفى جهاز السافاك وهم الذين يلعبون نفس الدور الذى أنيط بالدكتور . وتقرر أن لا أتصل قط بهذا المقر السرى وانما أوصل تقاريرى عن طريق خطيب رقية - والذى كان اسمه الثانى (عريس) أختى - وألا أتصل إلا عند الضرورة ليلاً بالتليفون رقم . . . . فأقرع جرسه ثلاث مرات وأحدد الميعاد . وألا أبلغ تقريراً عن طريق التليفون مهما كان عاجلاً أو مصيرياً .

رتبت متطلبات المهمة من كل جوانبها . صرت أنا العبد لله الذى اسمى فى هذه المذكرات (يارو) طالبا وأدرس فى شعبة الاقتصاد ، ولم يكن هذا أمر سهلا فأنا الذى لم أتخط السنة الخامسة من المرحلة الثانوية ولم أنل أصلاً شهادة الثانوية. منحت بناء على توصية أحد الأساتذة وكان هو نفسه من ذوى النفوذ - السماح بحضور محاضرات الاقتصاد والتاريخ والآداب بسبب أنى طالب ذكى علاّمة ومكافح ونشط وأتعهد أن اجتاز فيما بعد امتحان الثانوية وأنال دبلومها هذا التعهد الذى لم أف به مطلقا . حقا دفعونى إلى العمل كأى طالب فاضطررت إلى تعلم ألفاظ لم أسمع بها حتى ذلك الوقت . كان الأولاد يقرع بعضهم بعضاً فى مناقشاتهم باصطلاحات كانت جديدة علىّ وكان لابد أن أحفظها أنا الذى كنت أريد أن أتدخل فى كل مناقشة . اصطلاحات مثل : الأيديولوجية ، الماركسية ، المجتمعات البشرية بالقوة . بالفعل ، ظاهرة ، شعار ، ليبرالية ورجعى وتقدمى كان يسهل تعلمها أما الصعوبة الأساسية إدراك موضوعاتها هذه المثيرة للجدل . كنت أقرأ بتدقيق الجرائد وإعلانات دعاية لطلاب وملازمهم السياسية وحينما كنت أتصفح كتبهم . دفعة واحدة وجدت نفسى أتحول إلى طالب ولم يعد يشتبة فى أننى طالب مزيف كنت أشاركهم مناقشاتهم علي نفس هذا الأساس وكنت أهاجم بشكل أشد من الجميع النظام خاصة الجيش والبلاط وبعض من نواب مجلس الشورى . ولم أتورع أن أذكر اسم الشاه وحاشيته فى كلامى الثارى وبعد بضعة شهور صرت أحسب من بين رؤساء الطلاب الثوار وكان يتبعنى جماعة من الطلاب . كان كل ما يجرى على لسانى يتلونه (شعاراً) وكنت اسمع أنهم يذكرون اسم (يارو) فى مناقشاتهم السياسية على أنه يفهم الدقائق ويعرف جيداً أين مربط الفرس . وهكذا أخذ رؤساء الجماعات السياسية يعرفوننى بأنفسهم . أتى واحد منهم وقال (يارو ، أنت بغير مبرر غير منضم إلى حزبنا . نقدمك إليهم إذا أردت) وانتحى بى آخر جانباً وقال :

- أصدقائي يودون التعرف إليك .

وأخذ ثالث يمدح لى وحسب (اتحاد العمال) ورابع يمجد (القوة الثالثة) دونت أسماءهم جميعاً وأبلغتها للدكتور يبجن عن طريق (العريس) . إن أهمهم شاب حسن الهيئة قصير القامة أسمة (أهارى) كان يجلس بالقرب منى ويشجعنى . كنت كل يوم أمدهم بشعار أكثر حدة وشدة ، وهكذا أنجزت العمل الذى رتبه القدر لىّ على خير وجه ، وبعد عامين كنت أنا شعلة ثورية .

ظلت اعتصامات الطلبة تزيد يوماً بعد يوم . وكان الأساتذة يقومون بالدفاع عن الطلاب أو يمتنعون عن إلقاء المحاضرات . أصبح رئيس الجامعة محل سخريتهم ولم تحل الأمور بالهدوء والسياسة وأخذ النظام بالجامعة يختل. ويوما بعد يوم انتهى الأمر الى (التعارك) بين المجموعات المختلفة شجوا رأس أحد الطلاب إلى حد أنهم اضطروا إلى نقلة إلى المستشفى . اقترح فى مثل هذه الأوضاع رئيس الجامعة على وزارة التعليم أن تستقبل وفد يعرض مطالب الطلاب . وكان من بين الممثلين (أهارى) الذى كان يعد المتحدث باسم الوفد ، استقبل الوزير الوفد ووعدهم بأنه سوف يتخذ سلسلة من الخطوات تحقق رضا الطلاب . كان من بين الطلاب الخمسة أربعة رضوا وباتوا يعتبرون أنفسهم منتصرين . كان الساخط الوحيد هو أهارى الذى كان يبدو عليه أنه عاد من عند الوزير مهزوما . أتى أهارى إلىّ وقال إن الوزير خدع الأولاد وسوف يمضى وقت طويل حتى يتحمس الطلاب ويعارضوا . فلا بد من القيام بفعل يجعل هذه الشعلة لا تنطفئ رأيته شابا يبحث عن الشهرة . حين خطرت فكرة جديدة فى بالى كان الوزير قد أمر بأن ينعقد مجلس الجامعة خلال أسبوع ويبحث مطالب الطلاب ويجد بل يراعى رأى الحكومة ومصلحة الطلاب معا .

كان موعد مقابلة وفد تمثيل الطلاب يوم أربعاء وتقرر أن يبحث المجلس طلباتهم ويوم السبت يقترح الحلول . صممت على أن أمنع هذا الصلح

جمعت بضعة طلاب من أولئك الذين يطيعوننى وخدعتهم واقترحت عليهم القيام بفعل خطير يقوّض الصلح من أساسه بدون أن أذكر لهم ما لدىّ من خطة . كانت الركيزة الأساسية لها أن أهارى معة الحق ولا يجب الانخداع بقول الوزير . عليهم أن (يوافقوا) فى الجلسة الأولى لمجلس الجامعة على مطالب الطلاب وهى إعداد وجبات الغذاء بثمن رخيص وتجهيز أماكن نوم أكثر للطلاب غير الطهرانيين وإلغاء الرسوم الدراسية وإطلاق حرية الدعايات السياسية فى محيط الجامعة وطرد بضعة من الأساتذة آهانوا الطلاب أثناء فترة الاعتصام . وطُرحت المطالب ووافق عليها أكثر المعارضين وتقرر أن تطرح قرارات الطلاب على مجلس الجامعة حتى يوم الأحد وإذا لم يوافق عليها حتى يوم الثلاثاء فسوف تقوم سائر الجامعة باعتصام وقدم المقترحات عميد كلية الحقوق وكان من المدافعين عن هذه (المقترحات) وشبت ثورة عظيمة . كان الجميع يتوقع حادثا خطيرا لذلك روعيت مصالح كل الطلاب خاصة الطهرانيين وكانوا هم الأغلبية التى تعجز عن تدبير المسكن والمبيت والمال الضرورى .

وخصّت الجرائد المؤيدة مقالاتها الرئيسية لحوادث الجامعة . وتأهبت الحكومة لأى حادث يطرأ . سألنى الخطيب ليلة الثلاثاء عما يريدون فعله ؟ كان يود أن ينتهز الفرصة ويبلغ الخبر لأصحاب الأخبار بالجهاز لكنى لن أرو غليلة وقلت (لا ادرى) .

قدحت زناد فكرى جيداً فيما احتاله من حيلة لأتورط بها في المعمعة . طالعت تلك الليلة الجرائد ، كانت صحف اليسار تحرض الطلاب على الاعتصام . وكان اليمينيون يوصون الحكومة بالحسم الشديد . وامتلكت زمام المبادرة .

حتى صباح الثلاثاء لم يجد جديد . ولما ذهبت إلى الكلية وجدت الشرطة قد أحاطت بالجامعة وكانت عربات الجيش تمتلئ بالجنود . ولكى يظهر رئيس الجامعة أنه لم يحدث أمر سئ فى مجال عمله نزل من سيارته واتجه إلى مكتبه واصطفت جماعة من الطلاب المعتدلين كانوا واقفين على جانبى الشارع وصفقت له ، وهتفت ترحيبا له ، وهتفت ضده أيضا جماعة أخرى وبعد مناقشة قصيرة مع عمداء الكليات توجه رئيس الجامعة إلى المجلس. أمسك أهارى بيدى وسألنى والآن ما الذى ينبغى أن نفعله؟ قلت : لاشأن لك بشئ فانا الآن من يصدر الأوامر. فقال : وما شأنك أنت لكى تلقى الأوامر. فقلت : وما شأنك ؟ ذهبت إلى الوزير وخارت قواك .

- لم يحدث شئ من هذا .

- اسكت الجميع يعلم أنك الكفاءة لابد أن تنفذ ما أقوله لك الآن هذا لمصلحتك وإلا قلت لجميع الطلاب إنك تلعب على أكثر من جهه تعتلى المنصة وتتكلم وتصدر الأمر . على مجلس الجامعة أن يتخذ قرارات بشأن مطالبنا حتى عصر اليوم .

ولقنته تفاصيل خطبته ونبهته : إذا غفلت عن كلمة واحدة أعتلى أنا المنصة وأكمل باقي الكلام . هكذا حرضته بإثارة غروروة وانخدع هذا الابله ولم يكد يتم النقطة الأساسية من كلامه وهى (سنقفل باب قاعة المجلس ولن نسمح بخروج الأساتذة منها حتى تتحقق مطالبنا) حتى قمت أنا وأتباعى لغلق أبواب القاعة ووضع الأقفال عليها ونزع أسلاك التليفون وصار جميع كبار الأساتذه وعمداء الكليات حتى الأساتذة المدافعون عن الطلاب سجناء وأسرى لدينا .

انتشر فى المدينة هذا الخبر كالبرق ، وكان أول من لاذ بالفرار من حرم الجامعة هو أهارى ، لم أعرف الى أين ذهب ، لأنه لم يرجع أصلاً إلى

الجامعة المهم أن هذه الحادثة شاعت فى طهران فى صورة تصريحات مبالغ فيها ، وأخذت أشكالا عجيبة وغريبة وهى أن صداماً وقع بين الأساتذة والطلاب وأن سقف قاعة المجلس سقط على رؤوس الأساتذة وأصيب عدد منهم . ولم تمر ساعات قليلة حتى أتانى (العريس) كالصيد المضروب برصاصة لكى أخرج من الجامعة بأقصى سرعة . فى الساعة الرابعة قامت الناقلات المشحونة بالجنود بمحاصرة الشوارع المحيطة بالجامعة وألقت زمجرة الدبابات العسكرية الفزع فى قلوب الجميع . وأخذ الجنود يلتقطون صوراً لكل من كان يخرج من باب الجامعة ولم يدعوا أحداً يدخل الجامعة . وقبضوا على بضعة أشخاص لجأوا إلى مقاومتهم وأودعوهم السجن . وفى الساعة السادسة انهال الجنود داخل حديقة الجامعة وحطموا باب المجلس وأطلقوا سراح الأساتذة . وكان هذا الإنجاز أضخم أعمالى حتى ذلك الوقت فى حياتى السياسية فى السافاك . ولحسن الحظ لم يرق دم أحد وانفتح طريق الجامعة أمام الجنود والحرس وحققت أنا النجاح .

وتم لقاء فى تلك الليلة بينى وبين الدكتور بيجن داخل إحدى السيارات ، كان علي وشك أن يأخذنى فى أحضانه . كان جالساً خلف عجلة القيادة وجذبنى إلى داخل السيارة وضغط على ساعدى .

- يالك من داهية فوجئنا به .

- أنا فى خدمتكم .

- حسناً فعلت . عليك أن تتوارى بضعة أيام . اترك طهران إن استطعت . فأردت أن أفضى اليه بتقرير عن المشاغبين كانوا جميعا من الشيوعيين فى نظر الجهاز ولاسيما أهارى . . وقطع علىّ كلامى قائلاً :

- وصلنا صباح اليوم تقريراً مفصلاً ونحن واقفون على تفصيلات الموضوع . فلا تهتم بهذه الأمور . انتظرنا حتى نطلبك . يجب أن تلقى ما تستحق من تقدير .

وربت على ظهرى وأنزلنى من السيارة ، وعدت إلى منزلى فرحاً منتشيا . واشتريت قدراً من النقل والحلوى والشيكولاتة لأختى التى كانت غاضبة منى بعد فشل زواجها (بالعريس) وتوجهت الى المنزل . صالحت رقية ، لكن ما بينى وبينها لم يعد قط كما كان قبل الخطبة . كان كل منا يحب الآخر حبا جماً . لا أعرف سبباً لتشاجرى معها منذ الطفولة . ربما كان الذنب ذنبي . كنت أكبرها بأربعة أعوام وكنت آنذاك أعتبر نفسى كبير الأسرة وفضلاً عن ذلك كنت الرجل العائل لها وأتوقع أن تسمع أختى الصغيرة كلامى . أو على الأقل تستشيرنى فى أمورها . حين سمعت أنها حملت وأجهضت جنينها تجاهلت الأمر تماماً. كانت رقية على علم بأننى أعرف الأمر برمته وأنني انسان بارد الشعور الى حد أننى غضضت النظر عن خطئها هذا . كنا إذا تواجهنا وتعاركنا ووصل الأمر إلى الضرب . كانت محبة الأخوين بيننا تعود إلى سابق عهدها . لا أعلم ربما شعرت بما أقوم به من أعمال . أما أمى التى كانت مصرة - لفترة طويلة - أن أتزوج كانت على العكس منها . تفاءلت بسعادتى وبالحلوى والشيكولاتة تصورت اننى راضٍ وقتها وبإمكانها أن تتشجع وتزوجنى . كانت ابنة الجيران بيلة فى فكرها والتى كنت أراها حينا أمام منزلها أو فى مرورى من زقاقهم وأرى كيف يظهر دلالها ودلها لى . وكان ممكنا - لولا جدت حادثة جديدة أن وأرى أتزوج فى الخامسة والعشرين من عمرى .

وذات ليلة حوالى الساعة العاشرة حين كنت فى العادة بالمنزل ، اذاكر دروسى وطلبنى رجل فدخلت رقية ، ولم يرد الرجل الذي لم تتضح ملامحة فى الظلام عن قوله :

- السيد الدكتور بيجن يطلبك .

غلبني الفزع من أن هذه المهمات لا بد لها من مثل هذه الأمور الخفية . أزال هذا فخارى أخرجنى رجل من المدينة بسيارته واقتادنى إلى أحد أحياء شميران وهناك حيث انفتح باب مبنى حديث لبناء ، سلمنى لشخص آخر فأرشدنى إلى صالة فخمة .

كانت الحجـرة باهرة النور . استقرت بواجـهة الحجرة منضدة كـبيرة . لفت نظرى بضعـة من المقاعد . فـوق المنضدة وضعت زهرية تحلق حـولها جالسين ضابطان عاليا الرتبة كـانا يتحدثان بالانجليزية . انفتح الباب ودخل رجل نشيط ، مـتعجل فنهض الضـابطان . لحق بهم ثلاثة آخرون بدوا لى أجانب . تقدم الضابط الأول إلىّ وصافحنى وحيانى . قال : هذا . . هو يارو . هؤلاء السادة يهنؤونك ويأملون أن تظل تؤدى الخدمة والولاء للشاه . اننا نمتدح أعمـالك الوطنية ولهذا فأنا أحب أن أوكل إليك مهـمة أفضل ؛ تشجـيعاً لك . ربما بجـرأتك ومعونتك تتـمكن من خدمة الوطن أكـثر مما سبق. وســوف يتحـــدث معك فى هذا الشأن الدكتور بيجن .

كان الضــابطان الكبيران والباقـون المصاحبون لهـذا المتحدث قد وقـفوا جمـيعـا يهزون رؤوســهم . ثم أستـأنف محـدثى كلامه : أنت مـحق فى شجـاعتك وحـسمك . لكن يجب أن تتـدرب وتكتسب مزيداً مـن التعلم وتتعرف على مراحل العمل المختلفـة وربما تكون المصلحة فى أن تسافر فترة للخارج لكـسب خبرات وتعود إلى وطنك أكثر استعداداً .

ومد يده ليصافحنى . قلت :

- أنا على أهبة الأستـعداد لتنفيذ أى أمر . صـافحنى الآخرون - ومن بينهم الشخصان اللذان أتيا برفقته بشعـرهما الأشقر وسحنتهما الأجنبية ثم ربت على ظهرى الضابطان الكبيران وأذنا لى بالانصراف . ولم أتمكن حتى الآن من أن أعـرف - بنـاء على عـلامـات اكـتافـهم - مـاهى درجـاتهم العسكرية . اعتقـد أن ذاك الضـابط كان (بختيار) .

كـان الرجل الذى أتى بى من بين ظلمـات الزقـاق إلى هذا المبنى يقف خلف الباب فأركبنى السيارة وأوصلنى إلى المنزل .

تعلقت عيون أمي وأختي رقية بالطريق وهما بالمنزل يركبهما الفزع . كذبت عليهم بأنه كان زفاف أحد أصحابي وكانوا دعوني وافتقدوني اقتنعت أمي التي تحسن تصديقي . لكن سوء ظن رقية زاد عن ذى قبل واتسعت الهوة بيننا .

كانت هذه أسعد ساعات حياتي ولم تتكرر هذه اللحظة للأسف مطلقا .

حدثت أحداث مختلفة ووقائع أدت بي إلى أن أرقى من هذه الدرجة ، طبقاً للإقدام على الأمور بدون تقدير العواقب . ولكن الحظ كان حليفي . لم أكن مخلصاً لهم من أعماق قلبي . وكلما توغلت في العمل أرى أنني لست معهم بقلبي وروحي . فالدكتور بيجين كان شديد الخداع . كنت أحب الشاه وأعده قبلة العالم . أخذت أشعر تدريجاً أن الناس يتحاشونني . كانوا ينفضون من حولي في أى مجتمع أوجد فيه . ، في المقاهي والطرقات وفي أحاديثي مع البقال والباعة ، ولا يميلون إلى محادثتي . كان جيراني يحسدونني لأني أن الذى لم أكن معروفاً لديهم حصلت فجأه على وظيفة في الجهاز الإدارى وها أنا أسد رزقهم . وكان البعض ينافقني . (رجب بي قبا) الجاحظ العين وكان شغله النقل في الأطباق الكبيرة حينما كان يراني يأخذ في علقي .

كان قد سمع أن أموري تحسنت وأنني في سبيلي الى نقل أمتعتي وتوقع مني أيضا أن أساعده (سيدى لحم كتفي من خيرك لن نقصر عن أى خدمة تطلبها) .

وكان مشهدى رازى صاحب البقالة على الناصية حين أمر على دكانه يقول لي : (متى نحتفل بزواجك ؟) كانت ابنته في الرابعة عشر وينتظر أن يزوجها لي . كان الناس على اختلافهم يظهرون ودهم لي . وكان يفهم من هيئاتهم وسلوكهم أنهم يحسدونني أو يعقدون عليّ آمالاً تخصهم .

عكفت شهورا عديدة على دراسة الملفات بالمحفوظات قسم طلاب الجامعة . وبلاشك كنت قطعت على نفسى العهود لهم بأن أكون أعمى وأبكم وأصم . وألا يأخذنى التعجب من أى معلومة وألا أفشى سراً ، ولاقدر الله ، أمام أحد . وكان الهدف هو أن أتعرف ضمن دراستى للملفات المحفوظة على أسلوب عمل المشتبه فيهم وأسلوب التحقيق والتهديد والترغيب والتأديب والعقاب . رأيت أشياء لم يكن يصدقها قط عقلى . استطعت من خلال التقارير والأقوال المنسوبة إلى الطلاب والتى كنت أنا نفسى سمعتها بأذنى منهم أن أحدد وأعرف الأشخاص برغم أسمائهم المزورة أو الحركية فى ملفاتهم . شعرت بالخوف حين تيقنت من أن أناساً مثلى كانوا يترددون على الجامعة وكتبوا بدقة متناهية عن نشاطى فيها . وحين قرأت نفس كلماتى على لسان انسان له اسم حركى (إذا غفلت عن كلمة واحدة أعتلى أنا المنصة وأكمل أنا باقى الكلام) لم يخالجنى شك من أن أهارى الثائر من الجواسيس وأن المؤامرة التى كان من المقرر أن ينفذها قمت أنا بتنفيذها . لم أر أهارى من بعد ذلك . نقلوه إلى جامعة شيراز وتقرر أن يقوم بتحريض الطلاب والإيقاع بهم . لم أره حتى بضع سنوات تالية حين تقابلنا فى الحزب وطبعا لم أذكر له ماذا يعمل أو بأى اسم ورقم كان ينفذ تكليفاته فى الجهاز وانكشف لى أن على أن أتحرى الأمور جيدا وأننى لست الوحيد وأن آخرين يراقبوننى . واجهت الكثير من هذه العجائب وحصلت منها الخبرات وزدت حنكة بالعمل .

أما ما أفزعنى كثيرا وأثار حرصى وكان يهز أعماقى إلى حد أنى كنت أود الهرب الى الخلاء منهم وأضحى بعطاياهم حتى لا ألقاهم فقد كان حين تصفحت ملفات الحىّ الذى أقيم به . كان عقلى يقفز من رأسى . أحدهم صرخ متألماً أن الخباز باع خبزه الفاسد فاعتبر جواسيس الحى أنينه عداوة

للشاه . وآخر اشـترك ابنه فى مسابقـة دخول الجامعة ولم يـنجح فقال فى موضع مـا (كل شئ يأخذه الأغنياء ولايصل الفقـراء والمساكين شئ) . وكتب ثالث فى رسالة إلى صديقه أنه لن يشـترى من جيلان شرانق الحرير لارتفاع ثمنهـا ويصل جنوب رجال الدولة مازاد على ثمنها . تـرجم كتاب التقارير كلمـة رجال الدولة : بالشاه والبلاط وأقارب الشـاه . وامرأة رابعة طلبت أن تسافر إلى أوربا عن طريق السياحة الروسـية الداخلية فاستدعيت المسكينة إلى الجهاز وسـألوها من الذى تريدين زيارته فى موسكو ومنذ متى وأنتِ شيـوعية . وهذه المرأة المسكينة التى لا تعـرف أى شئ مطلقاً تنازلت عن فوائد السفر ولم تسافر إلى أى مكان فى الدنيا غير كربلاء والنجف .

لو أردت أن أورد نماذج لهذا لسودت مـئات من الصفحـات وما عادت علىّ بأى فـائدة . ولا بد أن أعـمل حسـاباً لهـولاء الخطيـرين الدواهى . ارتعدت فرائصى حين قـرأت من بين المشتبه فيهم اسم رقـية أختى . كانت رقية تعمل إذ ذاك فى (سوق الفردوسى) لم تكن بائعة لكنها تولت بسبب تلقيها بعض التعليم الإشراف على مجموعة من البائعات .

جريمتها هى أنها شوهدت فى دور السينما والمسرح خلاف أمها وأقاربها الآخرين بدل أن تذهب للمسجد وأماكن قـراءة الروضة وضريحى شاه عبد العظيم (إبن بابويه) ، خاصـة أنها صودفت مع إحدى البائعـات فى مقر حزبى .

كان اسم هذا الشاب (فرزان) وأشير فى ملفه إلى وجوب وضعه تحت المراقـبة المشـددة . ولم أجرؤ على الخـوض فى هذا الموضوع مع أخـتى . كنت متنبهاً إلى أن هذه البنية مستقلـة بنفسها وتلبس مثل الفتيات المتطورات وتهتم بمظهرها إلى أقصى درجة ممكنة .

وذات ليلة سألت رقية فى المنزل فى حضور أمى : رأيتك برفقة فرزان فى الشارع . هل تعرفينه جيدا ؟

- وما شأنك ؟ لا تدس أنفك فيما لايعنيك من شؤونى ؟

فصرخت أمى : ماذا ، أخوك الأكبر فى مكان والدك ، أليس من حقه أن يسألك من الذى تمشين معه ؟ ، فأجابت أختى برفق ولكن بعناد : -

- هلا سألته يا أمى عن الشغل الذى يعمل فيه ومن أين ينفق ثلاثمائة تومان شهريا على البيت . يقول إنه يعمل فى التجارة فلماذا لم تر بضاعتة مطلقا ؟

فرأيت وجوب السكوت ، لأن الموضوع سوف يطول .

لكننى صممت على أن أتحرى عن فرزان . لم أجد فى الملفات ما يستلفت الانتباه . فكرت أن أتتبع فرزان داخل الحزب ، بل أمسك عليه غلطة . لكن ملفات الأحزاب التى تملأ رفاً كاملاً لم تكن تحت تصرفى . فكرت أن آخذ إذناً من رئيسى لدراستها . كان رئيسى المباشر هو الدكتور بيجن . طبعا سرعان ما أدركت أن اسمه هذا مزيف . هو نفسه مزيف وكذلك شهادته للدكتوراه . كان يحبنى وحينما كان يرى أنى أتجاوز الحد كان يوجه إلى نصحه (لا تفعل ما يجعلهم يسيئون الظن بك) . فاتحته فى هذه الفكرة . قلت (ذكرت أختى رقية فى الملفات وأحب أن أعرف إلى أين يوصل هذا الخيط) فأجاب :

- لاتنزعج فقد تم التحرى بالحد الكافى عن رقية وهى لم تدخل أى تنظيم .

قلت : تعرفت إلى شاب اسمه فرزان يعمل معها فى المعرض ويقال انه ينتمى إلى حزب .

فأجاب : كان فى حزب ولكنه لايذهب إليه . اشترك مرة أو اثنين فى مقر حزبى ولم يقصده مرة أخرى .

- وماذا تراه صالحاً ؟ .

- انتظر بضعة أسابيع أخرى حتى نرى ما يمكن عمله .
ويعد بضعة أسابيع زف إلىّ الدكتور بيجن بشرى ساره .
- ذهب بنفسك وادخل الحزب . وسوف أضع تحت تصرفك الملفات بعدها بفترة .

لقد كنت طالباً وكنت أجدّ فى الاستذكار وأقوم بمطالعةٍ المصادر التى كان يوحى بها الأساتذة ومع أنى كنت لا أفهم كثيراً من الموضوعات لكننى كنت على وشك أن أتعلم . لم يكن الالتحاق بتجمع الطلاب الحزبيين يشكل مشكلة . ومضت بضعة أسابيع وانفتح الطريق أمامى لمنتدى الحزب وصرت نائب رئيس الحزب وارتفع شأنى وكانت السيطرة على هذا وذاك سهلة كشرب الماء . وفى أحد الأعوام قمت بجولة داخل مقرات الحزب ومجلس المدينة . ولجنة التفتيش ولم أجد ما يستدعى الاهتمام . فلم يكن لديهم ما يشفى غليلى . وأرسلت مرة فى مأمورية لشيراز فتقابلت مع أهارى الذى اكتسب نفوذاً هناك وأصبح موضع ثقة . ولم يبدو على وجهى قط أنى أعرفه . تيقنت هناك أنه من صغار العاملين بالجهاز ولم ينهِ بعد دورة اختباره حتى ينال رتبة أعلى ثم أنه صار معلوماً أنى تفوقت عليه فبعد حادثة الجامعة وحبس الأساتذة وأنا الذى تخلصت منه تصرفت مع أهارى بمودة وقدمت نفسى له على أننى متطرف مائة فى المائة ، فباح لى بمكنون قلبه وافصح لى عن أنه لايوجد فى شيراز ما يفى بتطلعاته وأنه يتمنى أن يعمل فى العاصمة لأن بها ألف طريقة للترقية لكن فى شيراز يوجد كثير من أمثاله لايقومون بأمرذى بال . فوعدته لكى استغفله جيداً أن أرتب طريقة فى طهران له تجعلهم يطلبونه فى عمل أكثر أهمية فى إدارة جريدة أو فى المجلس النيابى وخدع فعلاً . كان أهارى طالباً فى شيراز وموظفا فى الحسابات فى مجلس المدينة ويتمتع عند أصدقائه ورفاقه

الموجودين داخل أكثر من حزب بسمعة طيبة وصلق . ولم يكن أحد منهم يذهب به الظن إلى أنه مخـادع غشاش . ظهر لى خداعـه وانكشف حينما اطلعت على تقـريراته التى أرسلها من شيـراز وخدع بهـا زملاءه المخلصين أولئك .

وبعد بضعة شـهور استدعى الحزب أهارى إلى طهران بـسبب إخلاصه وأمانته وعـهدوا إلية بإدارة إحدى الصحف النصف حـزبية وصار في نفس الوقت عضوا فى اللجنة المالية . وكانت أمور حياته مقضية بالراتبين اللذين كان يتقـاضاهما من الحزب ، لكن هذا لم يكن يفى بتطلعـاته . وما دونته الآن وأكتبه انما هو من واقع ملفات الجهاز وسجلاته. حين عدت من شيراز كان أول سؤال للدكتور بيجن هو (ماهو تقييمك لأهارى ؟) قلت (خدع الجميع) . فأخرج ملفه من درج مكتبه وأعطاه لى .

لم أره بعد ذلك حـتى قرأت مـره في الصحف أنه مـوجود فى باريس ويعد فيـها رسالته للدكتـوراه . ما الحيلة التي بها استطاع أن يقـذف بنفسه داخل باريس ؟ مررت مراراً على مكتب الجهاز فى (جنيف) حيث تتجمع كافة الوثائق المتعلقة بماضى للطلاب .

طرق أهارى كل باب حـتى ارتفـع أمره . كـان كل الكـلام فى اللجنة الماليـة للحـزب عن ضائقته المالية . لم تكن الأقـاليم تساعد العاصمة بأى مـال وكـان أغلب الرصـيد مـخـصصـاً للإدارة والإنفـاق على طبع أوراق الدعايـة . أجرى محـاولات أكثـر من مرة وطلب مـالاً من البنوك ، لكن رؤساء الحزب عارضوا هذا العـمل ولم يجدوا الظرف مناسبًا له . ثم طرح اقتراحًا ماليًا فى جلسة سرية حضرها بضعة أعضاء من اللجنة المالية وهو أن يتبرع كل المشتركين فى الحزب بأجر يوم من دخولهم ، بهدف القضاء على الضائقة المالية . وتدخل هذه التبـرعات صندوق الحزب . فوضعت فى كل مكان في فناء مقر الحزب فى طهـران وفى كل غرفة منه علب من الكارتون

ليضع فيها كل مشترك ما يحب وما تصل إليه قدرته من مال . استمر جمع الإعانات هذا ثلاثة أيام وقيل إنهم جمعوا عشرة آلاف تومان . أدخل في اليوم الأول الرؤساء والكبار أوراقهم النقدية بالصناديق وأخذ يتدافع الأفراد للتبرع على أنه انتصار للحزب . كلف اثنان من جانب اللجنة المالية من بينهما أهاري لحراسة الأموال المحصلة . كانت تودع في خزانة الحزب وكان مفتاحها تحت تصرف مفتش اللجنة المالية الموفد من قبل الإدارة المركزية . إلى أن سقط مفتاح الخزانة في يد أهاري وزميله ولم يعرف في النهاية كيف سقط في يديهما فسرقا كل المبلغ ولم يرهما أحد قط في الحزب .

لم يكشف هذا الأمر السرى قط إلا في ملفات الجهاز ، أشير في الملف إلى أنه بعد هذه السرقة أخذ تصريحًا بالسفر إلى أوربا . وقرأت في جريدة أن أهاري سرق - حد قوله هو - هذه الأموال من الحزب بهدف السفر إلى أوربا والدراسة والحصول على الدكتوراه . وسوف أقص باقي سيرته في موضع آخر ؛ إذ إني أراه الآن بعد الثورة بدأ يثرثر ويتحدث عن حب الشاه وحب الوطن .

كان أغلب معاني الأساس في الحزب مقصودًا به أن أضع حدًا لمصيبة رقية . لم أجد أي أثر لفرزان في الحزب قيل إنه التحق بمدرسة عسكرية ولم يعمل قط بالسياسة وأثناء التحري عن فرزان وتعقبي له لفت نظري أعجوبة اسمها (شيخك) أعني (مهتر نسيم العيار) بخداعه ومكره وكان يظهر بصورة مختلفة في كل وقت . جعل هذا الرجل رؤساء الجهاز موضع السخرية . كان يرى مرة معمماً وأخرى أفنديا . كان يحمل تحت عباءته كتاب ماركس (رأس المال) المكتوب بالعربية ومرة يحمل نسخة صغيرة للقرآن الكريم مطبوعة في تشيكوسلوفاكيا . هو مصلي ومهرب في نفس الوقت. كان كلما أتى الحزب يلبس قلنسوة ليلية قبيحة الشكل ويلف نفسه بعباءة ويقبع في ركن . لم يكن في أي وقت عضواً في الحزب ولكنه كان يتظاهر بأن له حلاً وعقداً مع رؤساء الحزب وكذلك مع الكبار والعظماء .

كان لايعرف إلا بلحيته المتدلية من فكه الأسفل كلحية التيس سواء كان مرتدياً لبس المشايخ أو الجاكيت والسروال المكوى .

إليه صلتة بفرزان . كنت أود أن اعرف هل هناك علاقة بين رقية وفرزان وشيخك هذا أم لا . كم لحفار تعزف ياترى .

سألتنى رقيـة فى حضور أمى : دخلت أيضا الحزب ؟ تعـزف أكثر من لحن ؟ سؤالها أنها تفكر فى شئ متمية إلى مكان ما . .

- أى حزب ؟ أصبحت آدمية وتناقشين الموضوعات العقلية ؟ !!

- ذكى أنت جدا . تقلد القطا . تدفن رأسك فى الـرمال حتى لا ترى شيئا وتظن أن لا يوجد شئ .

- مامعنى هذا ؟

- نفس ما قلته

- هل لقنك فرزان هذا الكلام ؟

- لا تدخل فـرزان فى الكلام دون سبب . كـان بينكم بضعـة أيام ولما رأى أن على الجـميع يمينين كـانوا أو يسـاريين العمل لمصلحـة الروس ترك الحزب ومضى

- إذن شيخك هو الذى لقنك هذا الكلام ؟

- من شيخك هذا ؟

أدركت أنها لا تعرف شيخك ولم تسمع أيضا باسمه . لكن دفاعها عن فرزان يظهر أنه إذا لم يكن بينهما علاقة خفية فإن بينهما تعلقا على الأقل. قالت أمى التى كانت جالسـة إذاك بجوار السماء وتتلو أدعيتها وتقشر اللوبيا وتتظاهر بأنها لا تنتبه إلى مناقشتنا .

- رقية تريد أن تدعو فرزان لتناول الغذاء هذه الأيام حين تكون بالمنزل. فوجدت الفرصة وأجبت إجابة لينة هادئة

- فى أى يوم يحب فقط أبلغونى قبلها بيومين أو ثلاثة حتى أرتب نفسى .

استخدمت رقية عبارة (عزف أكثر من لحن) وألقى بى هذا فى الظنون لعلها تعلم هذه الإشاعة التي شاعت عنى . أفصحت بما دار بيننا من حوار للدكتور بيجن قال يجب أن تحرص بصورة أشد على ألا يصاب عملك بلطمة . أترك الحزب ومن فيه ، فهم لم يعرفوا شيئا حتى الآن أدخره ليوم الضرورة وفى النهاية فأنت عضو سابق بالحزب تذرع بالاستذكار والدروس وانتبه لعملك .

قلت : - ريد أن أعرف ما عمل شيخك هذا وإلى أى حد هو متورط فى قضية أختى رقية .

فتريث إذ ذاك قليلا ، وقطب جبينة وقال : إن عملنا هو التحرى عن الشيوعيين ومن لهم صلة بالروس . يجب أن نراعى أمور جلالة الشاه ورجال بلاطه ،وما خلا ذلك لا يهمنا فى شئ إذا أردنا أن ننشغل بأمور عملاء بريطانيا وأمريكا فلا بد أن نضع أكثر من نصف رجال الإدارة الحكومية تحت المراقبة والمشكل فى موضوع شيخك هو أننا لم نكتشف حتى الآن أثر قدميه فهذا الرجل الذى هو أحد المشاغبين رقم واحد مرة يتجه إلى اليمين وأخرى إلى اليسار إنه واصل حتى إلى البلاط . وكلما كان على وشك أن يتورط يقع في الورطة يظهر واحد من ركن ما ويأخذ بيده ويخرجه من ورطته ووهدته لا شأن له إطلاقا برقية ولكن لكى تزيد تجربة ولا تضل الطريق وسأحصل على إذن لكى يسلموك ملف شيخك لكن فلتعلم أنه لن يفيد شغلنا ربما يرشد عليه أحد مصادرنا ليس لنا أن نتحرى عن موقفه إلا فيما يتعلق بشغلنا .

فهمت مايرمى إليه وتيقنت أن صداقة أو معرفة فرزان وشيخك كانت من قبيل الصدفة . ولم تسفر دعوة رقية لفرزان عن نتيجة . كان فرزان الذى كان فى سبيله لأن يكون ملازم شرطة رجلا ذا اكتمال وعلم . طويل القامة عريض المنكبين حسن الهيئة هادئاً عاقلاً يسمع أكثر مما يتكلم كانت

لديه الجـرأة على أن ينظر فى عـينى . كـان يجـيب عن أسـئلتى إجـابة صريحـة أو كان يقول بوضـوح وبصراحـة : لا ، لا أعلم . ومع أنه كان عفوياً إلا أنه فاقنى مهـارة ولـم يكن لينخـدع بسـهولة . ولما وجهت النقاش عن شيخك أجاب إجابة قاطعة :

- هذا الرجل عميل الإنجليز وأنا لاشأن لى بأمثال هؤلاء الناس .

الأمر الهام الذى آقالنى من عثرتى هو أن مـعلومات رقية حول (عزفى أكثر من لحن) كان نابعاً من منبع آخر وليس من طريق فرزان .

كان سلوك فرزان مع رقية عادياً فلم يكونا عاشقين ولم يفعلا كما يفعل الخطيبان . عـادة كانا يتحدثان مـعاً بأدب وسعادة ولم يجـدا حرجاً فى أن يتمازحا ويقهقها .

لكن ملف شيخك فتح عينى . مـعلوم أنه لا يتحرى سوى جهازنا عن وضع الحياة المادية والاجتماعية والاقتـصادية السياسية لليـساريين . كانت هناك مؤسسـة أخرى من القديم وكانت تقوم بمهامـها بميزانية ضخمـة طبعا وبدون الوسائل الفنية اللازمة ولاتزال تقوم بعملها .

كان لـشيـخك سابقـة فى العمل السـياسى من عـام (١٣٢١هـ . ق ١٩٤٢م)وقام بدور - وان لم يكن هاماً فى حوادث ١٧ (آذار) مع أنه لم يتجاوز وقتها الثانية والعشرين .

شارك فى الـصدام بين الحكومـة والبلاط وكان كـل منهما يـريد إحراز التفوق السياسى .

تذرع المتنافسـون بسنوات الحرب وأوقعوا بين الناس وقـتلوهم ثم صالح بعضهم بعـضاً وإذا لم ينتصر الشاه إذ ذاك - كمـا هو ثابت فى مقر الركن الثانى - ولم يضع نده فى حدود ما تيسـر له هذا التقدم الوضاء الذى صار اليوم من نصـيب البلاد . كانت الحكومة تطالـب المجلس النيابى بسلطات فلـم يوافق البـلاط على هذه السلطات بفـضل مـسـاعى عـدد من نواب

المجلس والصحفيين . توجهت جماعة من الطلاب إلي المجلس لكى يتباحثوا مع نوابه بهذا الشأن . عبأت الشرطة والقيادة العسكرية قواتهما وأطلقوهما على نواب المجلس . تعرف فرزان وكان وقتها طالبا بشيخك الذى لم يكن أطلق لحيته بعد. شوهد هذا الشاب أيضا وسط الطلاب وتكررت التقارير عنه فى الوثيقة العشرين من سجلات الركن الثانى والإدارة السياسية . حيث كان يطل برأز من السوق . وكان يقوم بالدعاية أحيانًا لمصالح الحزب فى (مشهد) في صحن مسجد على الرضا . كان مع قبائل بختيار وقبائل قشقائى معاً . فى عام (١٣٢٥ ش ١٩٤٦م) رؤى فى نيسابور ملتحياً ثم فى شيراز بعد ذلك ببضعة أعوام بلحية التيس . رؤى كذلك أثناء إشعال النار فى منزل رئيس الوزراء الذى تم بإشراف الجنود والجيش . واعتقل رئيس الوزراء عدداً من الصحفيين لعدة أيام وكان شيخك من بينهم . وفى هذه الأيام القليلة تأسست العلاقة بينه وبين كبار السياسيين إلى حد أن أمره بلغ من العلو درجة أن صار واحداً من القواد . ولم يمر أسبوع حتى تصالح رئيس الوزراء مع رجال البلاط وسويت هذه القضية التى كانت تنظر فى المحكمة ضده .

وفى السجن لم ينل شيخك مساندة الكبار وحسب بل أقام علاقة مع أخوين من التجار واستأثر بمساندة أجنبى أيضا . ولو ذكرت اسمى هذين التاجرين لأصبحت كف عفريت حيث لايزال تحت تصرفهما حتى الآن كل الأمور التى كانت لهما فيما مضى: الركن الثانى والإدارة السياسية كما لم يضارعهما حماة السافاك قوة وتكفى هذه الإشارة لكى يعلم الأخوة الأعزاء أنه لايزال فى هذا الوقت أناس لايمكن إسكاتهم بغير الذهب . أما حكاية شيخك فهى كونه ولد فى أسرة فقيرة ولم يكمل المرحلة الأولى لتعليمه الابتدائى ولم يذهب إلى الكتاب ولم يخط خطأ ، كان بغمزه واحدة منه كان مائة من مدرسية جلد معرفة عهد شبابه برجال البلاط ، كان يغنى لهم

الشعر الشعبى المبتذل وينقل لهم النكات المبتذلة ويكتسب مودتهم . كان يأخذ منهم المخدرات كالهروين والكوكايين . وكان يشترى الأفيون رخيصاً ويسلم كل هذه المواد لمبتدئى السياسة وصبيانها فى جلسات الحظ والمتعة التى كان يعقدها فى بيته وكان يكتسب بهذه الطريقة النفوذ والمال . إن كل ما أنقله من هذا الوقت فصاعداً من ملف شيخك الذى فتحه له الجهاز .

لم يطل الوقت حتى صار صحفياً ، كان تابعاً لمصدق وكان تابعاً للبلاط فى نفس الوقت الأمر الذى ألقى بالجهاز فى بداية عمله فى الحيرة التامة . وظل هكذا لايصب هويته فى قالب واحد ، يواجه به الناس . كان ينتقد فى صحيفة الحزب كما كان يمتدح استالين . وبمجرد أن تتناوله صحف اليمين واليسار بالهجوم وتهيىء له أسباب الإزعاج ويضطر الجهاز إلى اتخاذ خطوة ضده فتضعه مثلا تحت المراقبة كانت تنبعث الصيحات من كل جانب من اليمين ومن اليسار ومن السوق ومن سوق النفط مستنكرة مجرد الإقتراب منه كان لدى الجهاز علم بأنه كان يفرش بساطه الدفئ الناعم لمتعاطيى الكوكايين والهيروين والأفيون ويأتى بالبغايا للزناة والأطفال للُّواطيين ولكن أحداً لم يجرؤ على أن يصنفه مع اليساريين رغم امتداحه لاستالين .

وما إن تقوض الحزب بإطلاق النار على الشاه حتى قبض عليه وبعد بضعة أيام أطلق سراحه وصار الجهاز فى حيرة من أمره وفى النهاية لم يفهم أحد قط متى وأى مؤسسة دفعت للإفراج عنه كفالة تقدر بثلاثين ألف تومان . وبعد عدة سنوات وقعت حادثة جعلت الشرطة والنيابة يقبضان عليه .

فقد كانت امرأة من الأعيان ذوى النفوذ تتردد على منزل شيخك وبعد أن شربت حتى الثمالة العرق وتعاطت الكوكايين بمنزله فقدت وعيها وأصابها الضعف ثم وافاها أجلها بعد عودتها إلى منزلها ببضع ساعات. واعتبرت أسرتها شيخك قاتلها وأثاروا جلبه وابلغوا الشرطة والنيابة قلبت فرشته مدة ووضع بيته موضع التفتيش فوجدت به المخدرات والأفيون

المهرب وقبض عليه وحكم عليه بالسجن بضعة أعوام وطبعا لم يكن بجريمة القتل وانما لجريمة إحراز المخدرات وخداع الناس والعربدة وغيرها . صار أصدقاؤه السابقون ذباباً حول الحلوى فلم يهتموا به وتركوه على حاله ولم يبق شئ من عزه وجاهه. وفى عام (١٣٣٩ / ١٩٦٠) أقالته يد الغيب من عثرته ثانية وهيأت أسباب سفره إلى أوروبا فآثر بحد قوله العزلة وانشغل بالدراسة وعاد إلى إيران ولبس رداء الصوفية . ووظفَ فى جهاز التخطيط ولم يكن له فيه عمل غير أن يسافر إلى الأقاليم ويجرى أبحاثاً حول أماكن حياة الأدباء المغمورين الإيرانيين ، وقبورهم وآثارهم ثم يذيع نتائج أبحاثة فى الإذاعة والتليفزيون لا باسمة الحقيقى ولكن باسم مزور . ولم يكن عمله هذا أمراً صعبا فكان يستفيد بنتائج دراسات العلماء الذين سبق اكتشافهم لهذا المجال ويقيم عليها شهرته . وطبعا لم يكن يذكر فى محاضراته اسماء الدارسين الأصليين لكنه لذر الرماد فى العيون كان يورد إشارة إلى صاحب الأثر فى الحواشى بقوله (الأستاذ الجليل) ، (العالم العظيم الشأن) ، (علامة الدهر) وينثر الحب ، ويداهن ويتملق وهو متربع على عرشه هو . دُعى لكى يستفيد من علمة الطلاب بالجامعة لأنه كان على معرفة برئيسها من عهد الصبا ، ويتجه لمشاركته فى المؤتمرات الأدبية والسياسية والاقتصادية، وصار المحبوب من بين الأساتذه . وفجأة لم يعرف ماذا حدث له حين (ركل الزمان بساطه حتى سقطت كل قشة منه بمكان) . والان بعد الثورة يقول حيثما جلس (عانيت فى عهد الشاه البلايا وقاسيت المحن ونخلت طحينى وعلقت منخلى ولم يتأت منى أى أمر بعد) . النهاية ، فإن معرفتى بشيخك هذا نفسه لها سابقة لابد من ذكرها . ففى خلال شهور عدة بعد خلاصه من السجن لم يكن لديه شروى نقير ، وفى يوم حين كانت رقية فى الرابعة والعشرين وتدير قسماً من المعرض يبيع ملابس النساء ذكرت شيخك على أنه كان سئ الحظ

ويموت من الجوع وألقى به فى السجن بدون ذنب وكلمـات من هذا القبيل عن العجز والمسكنة ، طلبت منى أن أمد له يد المساعدة فسألتها :
من هو شيخك هذا ؟
فأجابت فأنا أيضا لا أعرفة . لكن السيد فرزان رآه وأشفق عليه وكان يقول :
- طرق كل الأبواب جـريا وراء لقمـة خبـز . هذا الباب وذاك البـاب والآن مد يده يستنجد بى . . فرأيت أنه ليس فى الأمر خدعة ، لأن فرزان وهو الآن ملازم شرطة رأى شيخك فى السـجن واحترق قلبه أسىً عليه . استنجد شيخك بملازم شرطة ولا يضمن له هذا شيئاً .
كانت تقول ربما بكنك مساعدته حتى تتفرج حالته
قلت : من أكون أنا حتى أساعد وأعين متهماً بالقتل ؟
فأجـابت رقية : تـتجاهل ياأخى تجـاهل العارف . يقـال إنك صاحب منصب رفيع جدا .
كـان قد مـضى إذ ذاك على دخولى السـافـاك بضع سنوات . تناولت الموضوع مع الدكتور بيجن واسـتمهلنى يوما أو اثنين ثم أوصانى أن اتصـل به . وفى أحد الأيام رأيت شيخك بجانب أحـد مقاهى شارع (شاهرخا) وكان محلاً يجمع الموظفين المتلكئين بالخارج والحسناوات وينظر متحسراً إلى فناجين قهوة العملاء .
فتقدمت حتى وقفت أمامـه ببضع خطوات ونظرت إليه مبهوتا . تعرف علىّ . ارتسمت على وجهة ابتسامة مريرة . أحنى رأسه واقترب إلىّ وقال :
- تحت أمرك . . . ياسيدى .
- أشكرك .
فدعوته إلى المقهى وطلبت له فنجاناً من القهوة ولمـا رآنا أغلب الزبائن في المحل خرجوا منه . قال:
- سـيدى المحـترم . . أغلـب هـؤلاء كـانوا مـن زبائنى . والآن لا يعرفوننى . إنهم يضنون علىّ بنظرة أو تحية فما بالك بفنجان قهوة ؟!! .
فقلت : ماذا تعمل ؟

- أشكر الله وأحمده . أكفر عن ذنوبى .

لم يتجاوز تعارفنا هذه المرة الأولى هذا الحد . واتفقنا على اللقاء فى نفس المقهى بعد أيام قليلة . وقابلته فى الموعد الثانى لأنى حكيت للدكتور بيجن عنه وتقرر بناء على توجيهاته أن أعرف منه ماذا يريد : فضحة طلبه . كان فى غاية البؤس والإحساس بالإهانة على نفسه وقد كشف ما يضمره بمنتهى السهولة . كان أتى لكى يجد حيلة ينقذ بها (مرضية) وهى ابنة أحد أعيان العائلات عليها بدون ذنب حكم ولايدرى أحد عنها شيئا . كانت (مرضية) مسجلة لدينا بسبب اتهامها بأنها ضمن عائلة عقيد أركان حرب . فحينما كان العقيد خارجا من منزله فى وضح النهار أطلقت عليه من مسدس رصاصتان ومات من فوره . وفى اليوم التالى استدعيت شيخك برسالة إلى أحد اماكن استدعاء الجهاز . حين واجهنى لم يبد منه عجب ولم يندهش . لم يفقد سيطرته على نفسه منه ستعرف أدق التفاصيل ، وكان على علم بأنه سوف يتعامل معى . كان مستعداً للإجابة وصار معلوماً أنه إذا لم يفوقنا ذكاءً فإنه لن يقل عنا .

أخذت فى استجوابه مدة تقرب من أربع ساعات ، وكنت أقرن الترغيب بالترهيب . كانت هذه أول مرة يسمح لى باستجواب المتهمين . كان الدكتور بيجن ينصت إلى حوارنا بواسطة جهاز موضوع فوق مكتبه وكان أحياناً يقوم بتذكيرى حين يرسل إلى ملاحظاته بفتح الباب وقفله فأعيد استجوابه .

وكان كلما زدت من ضغطى المعنوى عليه يجيب على أسئلتى بطريقة أكثر هدوءاًومنطقية مرة واثنتين ، إلى أن أتركه إلى القائمين بالتعذيب الجسدى وكانت وسائله متاحة فى سائر مجالاته . لكن الدكتور بيجن لم يسمح لى بذلك ، لأنه لم يود ان يكشف لى شيخك أنه يتعاون مع جهاز الاستخبارات البريطانى لكنه أفهمنى أن مصلحتنا فى أن تنتزع منه اعترافات لاتطابق الحقيقة تحت التعذيب بدون أن نعلم شيئا عن اتصالاته.

وكان الدكتور بيجن كلما أكد في كلامه لي على كلمته (ليس من مصلحتنا) كنت أدرك أنه استشار الخبراء الأجانب . جهاز الاستخبارات الأمريكية والموساد الإسرائيلي ولم يسمحوا له بإجراء التعذيب . وجدت شيخك متماسكاً وذكيا حاضر البديهة هادىء الأعصاب ذا حيلة. إجاباته تبعث على الثقة كأنه يُفهمنى أنه لا سلطة لكم عليّ . وضمن كلامه إلينا أنه يخدم الجهاز وأن خطراً يهددنا لاندركه لأننا على نياتنا . فودّ الدكتور والخبراء معرفة أى خدمة يقدمونها لنا .

لم يكن لديه خبر عن قتل العقيد أركان حرب . لم يقرأه أصلاً فى الجرائد إذ ذاك ولم يكن أصلاً يعرف (مرضية) نفسها التى أتت تطلب حمايته وضمانتها . كانت أم مرضية من الضيوف الذين كانوا يترددون على منزله وقت أن كانت فرشته واسعة . وكانوا يرون جهلاً أننى والكلام لشيخك بسبب علاقاتى التى عقدتها مدة مع أصحاب النفوذ بإمكانى أن أمد يد العون لإنقاذ بنت لايزال يشتم من فمها رائحة اللبن . لكن كيف يمكننى مساعدة هذه البنت وأنا الشقى المفلس .

(لا أستطيع فعل شئ . لأن حياتى محطمة ولا أجد عشائى . ولا أحد يساعدنى فى شئ . ثم أعطونى مبلغاً من المال وقالوا إنهم على استعداد للإنفاق فطرقت هذا الباب وذاك وتوسّلتُ لكثيرين) .

قلت له : - كم من المال أخذت ؟ .

- لا أعرف بالضبط . أعطونى مبالغ على مرتين أو ثلاث .

- كم المبلغ فى كل مرة ؟ .

(من مائتين إلى ثلاثمائة تومان فى كل مرة . من أين أعرف . أنفقتها

جميعاً في أمور شتى . ربما يبلغ مجموعها نحو ألف تومان . لكن ألف تومان بالنسبة لهم ليس شيئا . ربما في نظرى ونظرك مبلغا ضخما أما هذا المبلغ لا يتعدى عندهم مائة قرش وثلاثة ملاليم كانوا على استعداد لأن ينفقوا آلاف التومانات وتخرج ابنتهم من السجن .

قرر الكلام حول شراء أسرة البنت وأنهم على استعداد لأن يدفعوا أى مبلغ ليشتروها بها . في البداية لم أهتم بكلامه . لكن قشعريرة بدأت تهزنى قليلاً من إمكانية إطلاق سراح مرضيته بدون إذن من الدكتور بيجن أو ورؤساته ؟

سألته : من الذين رجعت إليهم حتى اليوم ؟ .

- لا أحد قط .

- كيف لم ترجع إلى أحد ؟ .

- تقصد فرزان ؟ بحت له بآلامى .

- من أين تعرف فرزان ؟ .

لا أعرف سعادته ، كان هو الضابط المكلف بالحراسة بالسجن وحينها كان يشرف علينا نحن معشر المساجين ويعطف علينا . وحدث أن تجرأت وتحدثت معه . أراد أن يعطينى مالاً فلم آخذ منه شيئاً . قلت إن أسرتى تبعث إلىَّ بالمال لكنه إذا قرّر أن يساعدنى فعليه أن يعرفنى عرّفنى بك .

- من أين كنت تعلم أن الملازم فرزان يعرفنى؟ .

رأيت أنه يعرف كل تفصيلات حياتى . يعرف أن رقية شوهدت برفقة فرزان في المقاهى وفي دور السينما ويعتقد أنهما ربما يتزوجان بسرعة وأن

أمي تعرف علاقتهما . كـان يتعـجـب من أنني لم أكـن أعرف هذا الخبر . . قال كثيـرا وبقيت أنا مرتبكا مدهوشا فمن أيـن يعرف أسرار أسرتي . كنت أحول كلامه عن مجراه وأجره إلى باب آخر ورحت أرهبه .

– إذا لم يتفق كلامك مع معلوماتنا فقد تسببت في إيذاء نفسك .

– تهددني اعـتباطا . يمكنك أن تـعذبني لكن لا تستطيـــع أن تقتلنـي فلم ألتفت إليه وتابعت عملي . تحريت عن أسـرة مرضية . من منهم كان يحضر مجالس لهوه ، هل والداها معاً أم منفصلان ؟ هل هما أغنياء ؟ وما مقدار ثرائهما ؟ كم مسكن مؤجر لهما ؟ اين أملاكهما ؟ هل رصيدهما في السوق أو بالخارج ؟ هل بمنزلهما مال آخر ؟ من منهما وسّطك لكي تشتري حرية مرضية ؟ هل تحدثت مع أمـها ؟ أين ؟ هل رأيتهما في (نياوران) أم في شارع (أميرية) ؟ كيف لم تر مـرضية حين كنت في (باعشان) في (نياوران) ؟ لم يكن يقع في المصيدة . كـانت إجاباته إما بالإثبات أو (لا أعلم) . حينمـا كنت أذر الملح على جرحـه ليخرج سـراً لم يكن يغضب وكان اهتمامه منصبا على ثراء أسرة مرضية . خرجت مرة عن وقاري ونفد احتمالي فسألته : كيف لا نسـتطيع دفعك إلى الاعتراف ؟ فضحك ضحكة فاترة وقال : (هل قلت أنكم لا تستطيعـون تعذيبي . أنا متحمّل . أنا لا أخفي شيئا لأعترف بـه . هل ارتكبت جريمة حتى أعترف بها . أتيت لكي أشتري منكم حياة بنت بريئة . أجل أتيت لأشتري حياتها . فلم أجد منك أكثر من إجبارك لي عـلى الرد على أسئلتك . إن تعذيبي سوف يؤدي إلى إراقة ماء وجهكم) .

– أمام من تريد إراقة ماء وجهي ؟ .

- (هناك يد أعلى من يد . . . . . كثيراً) .

فسكت قليلا وكنت أريد مغادرة الغرفة لأستشير الدكتور بيجن . حين نهضت من مكتبى قال :

- لا تنسَ . أسرة مرضية غنيـة . يمكنها أن تشترى من هو أعلى منك تحدثت مع الدكتور بيجن فقال (انظر كم يدفع من المال) .

وقبل أن تبدأ الصفقة قابلت رقـية وفرزان فى المنزل . تجاهلت أنهما فى سبيلهما ليكونا خطيبين .

أختليت بأمى : قالت : فرزان فيما أعلم يصر على الخطبة . لكن رقية رافـضة إنهـا تكره كل الرجـال منذ أن غررّ بهـا (العـريس) . تتحـدث بكلمات لم أسـمعـها حتى الآن من بنت مـعروضة لـلزواج . تقول : لن أتزوج مطلقا . ليست مستاءة من الملازم . هى صديقة له لكنها تقول : أنا لا أحبه . إن الشيطان تلبّس أختك يا ابنى . انها لا تفهم نفسـها . مضى عليهـا حتى الآن وقت لا تهتم بـنفسها . كـانت حتى العـام الماضى تتأنق وتتزين . لكنهـا تلبس من بداية العام نوعًـا آخر من اللبـاس . حيناً تلبس طرحة سـوداء على رأسهـا ولم يعد المكيـاج والتزين يروقـان لها . فـجأة اهتمت بقراءة القرآن وبالصلاة . حين كانت تأتى متـأخرة ليالى كثيرة تقول أنها ذهبت إلى المسجد وحضرت مجلس الوعظ . أنا لا أعلم ماذا أصابها.

فسألتها عن فرزان فقالت (أحيانا يطل علينا . إنه إنسان متحفظ . يبدو خجـولا . ليس لكثرة كلامـه : نعم أولا يهتم بنفـسـه كثيـرا . . لاطيَّة واحدة فى ملابسه ودائما مـشغول وليس لديه وقت . لم يكن لدى أمى ما يمكن أن تخبرنى به مـن ناحيـة ولم تـسفر تحرياتى عنـه عن شئ من ناحية

أخرى . لم أتيقن من أن معلومات شيخك حول خطبتهما أو زواجهما نابعة من الحقيقة أولا . كانت أمي تتحدث عن المسجد ومجالس الوعظ وكان شيخك يذكر السينما والمقهى . أين الحقيقة فيهما ؟ هل كانت رقية تلعب على الحبلين ولها حياة خفية لاتريد أن تظهرها ؟

حاولت إذ ذاك أن أختلي ورقية وأتحدث معها حديث الأخ لأخته . وانتهى أمرنا إلى المجادلة فما إن بدأ كلامنا حتى صاحت فيّ (هل تفصح لي عن عملك حتى أظهر لك ما أخفيه) .

- قلت لك مراراً أنني أشترى وأبيع فى السوق . أشترى من هذه الوكالة بضاعة وأبيعها إلى صاحب ذاك الدكان . لكنك تقولين لأمك أنك آتية من المسجد والمحراب وآخرون رأوك فى المقاهى والسينما .

- متلون أنت كثيرا يا أخى . تخدع الجميع وتخدعنى أنا أيضا .

- أى خدعة ؟ .

- يقول الناس عنك كثيرا .

- ماذا يقولون مثلا ؟ .

- لا أعرف يا أخى ، اسال نفسك ، اسال أهل الحى ، الحاج العلاف وقلى خان والبقّال والنقّال .

رأيت أن هذا الكلام يمكن أن ينتهى إلى عاقبة وخيمة . قلت :

- أنا لا أحب التدخل فى حياتك . أنت كبيرة وعاقلة ولا تحتاجين إلى من هو أكبر منك . كنت أحب أن أعرف هل تفكرين فى الزواج من فرزان؟ أقول إننى أخوك الأكبر . أمنا لا تملك شيئا فلابد أن أبادر أنا . فلا

يمكنك أن تذهبي إلى بيت زوجك بلا جهاز أو أثاث . .

فقاطعتني : من قال أنني أريد الزواج ؟ .

- إذن فما معنى مرافقة الملازم فرزان ذهابا وإياباً ؟ .

ألا يجوز لي أن أصادق رجلاً ذا إيمان واعتقاد ؟ .

رجل ذو إيمان وعقيدة ! سمعت فيما مضى في الجهاز كثيرا عن هذه المصطلحات يرمي المساكين لمجرد إيمانهم بأنفسهم إلى التهلكة .

قطعت الحوار . اعلمي يا رقية أنني أخوك . تعالي إليّ حين تحتاجين إليّ أنا أحبك . أحبك كثيراً . أمنا على حافة الموت . أنا وأنت باقيان . يجب أن يحافظ كل منا على الآخر) .

- أنا أيضا أحبك . أنت أخي . لكن لا يتفق أحدنا مع الاخر . أنت مستقل بنفسك وأنا أيضاً مستقلة بنفسي لكن إذا كنت صادقاً أطلقوا سراح مرضية قالت هذا وخرجت من الغرفة .

أصابني الذهول والشلل . برد جسمي أصابتني قشعريرة . تراجعت مأخوذا حتى ظل جسدي كله متخشباً لعدة ثوان على الأقل . توقف دمي عن الجريان . ماذا أفعل ؟ ماذا لا أفعل ؟ هذه البنت على من تعتمد ؟ إنه خيط يبدأ من طريق مرضية وقاتلي العقيد أركان حرب وينتهي إلى فرزان ورقية كان بإمكاني أن أقبض على أي أنسان ماعدا أختي وأجبره على الأعتراف تحت وطأة التعذيب ، لكن ماذا أفعل ؟ تذكرت كلامي مع شيخك واستغرقني التفكير في أن أحتال عليه في بضعة آلاف من التومانات وأجهز بها زفاف رقية وأملأ بطني عدة أيام بالمجّان وأتنفس الصعداء . زملائي الآخرون كانوا دائماً في مثل هذه المواقف يرسلون أشواقهم من بعد ،

أو يرتكبـون جرائم . فكانوا يرسلون فى مـهمـات فى الخارج ثم يـعودون معافين مسرورين منتشين وكأن شيئا لم يقع .

ولكن ماذا أفـعل مع رقية ؟ إنهـا تضع نفسهـا فى المشكلة . هل يمكن إطلاق سراح مرضية بهذه السهولة ؟ هل أذكر شيئاً لرقية أمام الدكتور بيجن؟ لو أن أحداً اشتم أن رقـية ضمن جمـاعة التقدميين ومع الـرفاق والفدائيين والمضـحين بأنفسـهم وكلهم يخططون لثـورة مسلحـة ويختـفون زرافـات ووحداناً فى أمـاكن تجمع لهم أو لهـا اتصال بالماركـسيين فإن كـل خططها سينالها الفـشل وستصبح حياتهـا فى خطر . يجب أن تنقذ نفسك من هذه الورطة . علىّ أن أتعقب فرزان والتحرى عنه .

فاتحت الدكتـور بيجن فى هذا الموضوع ولم أورد ذكراً لرقـية . أشرت إلى أن فرزان ضابط بوليس ويعرف شيـخك من السجن وأوصاه بأن يتصل بى . ويجب التأكد من أنه رجل ذو مداخل كثيـرة فأوصانى الدكتور بيجن بأن ألقى نظرة على ملفـات الضبـاط . وهو لا يعتـقد أنه سمـع حتى ذاك الوقت باسمه فى أى مكان . لكن الدكتور أظهر اهتمامه بشيخك نفسه .

ألم تتبين كم تقدر ثروة عائلة مرضية . ربما قبضنا على مرضية صدفة . لا ينبغى التعجل فى أمرها . نحن حتى الآن لم نظفر منها بشئ . لا تزال جـروح فى مواضـع عديدة فى كـفـها باقـيـة . أمـرهم بأن يرحلوها إلى المستشفى . من قال لهم بأن يؤذوها إلى هذا الحد . ابحث أنت بنفسك فى ملفها فربما يمكن إخلاء سبيلها .

تبيّن من الاسـتجوابات أن مرضـيه يوم إطلاق النار على العقـيد أركان حرب كان تعبر من نفس الحارة ولما سمعت الطلقات ركنت إلى الفرار فرآها المارة وهى تهـرب ودلّوا الشرطة على أوصـاف بنت متـوسطة القامـة تضع

مكياجـاً وتلبس حلاء أحمـر اللون فاعتـبروها مشـاركة فى إطلاق النار . فقبض عليها فى نفس ذاك اليوم اللذى كانت تريد أن تتوجه فيه إلى الجامعة ثم تعود إلى منزلـها . وعند استـجوابها أنكرت تمامـاً وبعد بحث حالتـها السياسيـة فى الجامعة تبين للمسـتجوبين أنها سبق أن أشتركـت فى اعتصام طلاب كلية الطب وصُنفت من بين المعارضين . وكان فى ملفـها تقرير كتبه (أهارى) أعاد فيـه أقوالها مع رفاقهـا . لم يُدْلِ أهارى برأى حاسم حول موقفها السياسى ولكنه أقترح وجوب مراقبتها .

من خلال الملف حدّدت شخصـيتها بأنها ضعيفة الشخـصية ، جبانة ، بكّاءة ، واهنة مدلّلةَ ، واعتقدت أمام نفـسى أنه يمكن النظر إلى حالة البنت وثروة أسرتها ولا يخيب رجاء شيخك . لأنه يمكن أن يكون سمساراً جيداً فى هذه الصفـقة . ولكن من اللذى يجب أن نعلق هذا الجـرس فى عنقه ؟ وكيف نسلك الطريق ؟ ليس من وسيلة غير مـعاونة الدكتور بيجن . يجب الإسرار بهذا الموضوع إليه ولكن كيف ؟ .

حملت الملف وسـرت به إلى الدكتور بيـجن . أما هو فقد كـان شديد الانشغال وانتهزت الفرصة وقلت : - لم أر فى ملف مرضية شيئـا ذا بال. لماذا لا نجلـس معاً الليلة بعـد العمل فى الإدارة وحدنا لنصل إلى جذر - الموضوع .

وفى الليل تقابلنا فى فندق (كاخ) وتناولنا عشـاءً فاخراً وشربنا بضعة من الكؤوس وكان هو اللذى فتح الحديث .

- حينا يقع مأمور الشرطة فى الخطأ يسبب تعجلهم فيلقون القبض على الناس عشوائياً وتقع تبعة أفعالهم على رؤوسنا ، نقع نحن فى ورطة .

قلت : كنت بالصدفة أود أن أحدثك اليوم في هذا الموضوع . ليس فى سجل مـرضيـة أبنة " الحاج مراد الـهزاره أى شئ . أوقعـوا بالمسكينة هذا القـدر من الإيذاء وإلى الآن ليس لدينا دليل قط على أن لـها يداً فى قـتل العقيـد أركان الحرب ثم يطل شيخك هذا برأســه ويقول إن أباها الحاج من ذوى النفوذ . أعتقد أن شيـخك من جواسيس الأجانب وإذا عملنا على أن يدخل جيبه قليل من بعض المال خاصة أنه الآن أسير ضائقة مالية فلا ضرر من ذلك .

وكان الدكتور بيجـن من أولئك الدهاة من الدرجة الأولى ، ففهم على الفور ماذا أريده فقال : تصرف بحيث لا تلحقنا مسؤولية .

فقلت : أى شئ يلحق بنا ؟ أنا أنهى هذا الموضوع مع شيخك .

ثم تجرع الدكتور بيجن (كونياكه) وحك ذقنه وقال :

تأخرنا . فلننهض . لكن تذكـر أن الكثيرين يطمعـون . ليس شيخك وحده الذى يريد الوصول إلى المنفعة .

ألقيت بشيخك فى المصيدة . وفى مـنتصف إحدى الليالى أحضرته إلى نفس الفندق (كاخ) وقد كان من دهاة الدهاة . فلم يرتد عباءته وعمامته، وإنما كان فقط من الممكن أن تنم عليه لحيته التى كلحية التيس .

وقبل أن يجلس سألته بلا تحفظ : لو أطلق سراح مرضية فكم تأخذ من [illegible] ؟ .

- أنا خـدامـك . أى مبلـغ تتعطف بـه . أضعه فى جيبى قلـت : - تعلم أننى لاطمع لـى مطلقاً مـن هذا الموضوع . لكـن عليك أن تعلم أنه لابد من دهن أفواه الآخـرين . أنا لا آكل المال الحرام . لكن قلبى يحـترق

أسىً على مرضيـة ، مع أنها مذنبة وتعرف فى حق حضـرة الشاه العليا من الأشياء مالم تفصح عنها ، ولهـذا فإن إطلاق سراحها ليس سهلاً . وهناك من يراقـبوننا بعـيون كـثيـرة . لسنا مـسئـولين عمـا يعطونه لك . ولكن مايدفـعونه يجب أن يكون بقـدر أن يصل نصيب أيضـاً لأولى الأمر فـقال شيخك بلا مواربة (كم من المال ؟ .

- أقصى ما تستطيع وأقصى ما يدفعون .

وأسـتغـرق هذا النقاش جـلسات عـديدة وفى النهـاية سلمنى شيـخك خمسين ألف تومـان أورقا نقدية من فئـة الخمسة تومانات وكـان نصيبى أنا وحدى هذا المبلغ تسعة آلاف وخمسمـائة تومان . وأعطيت البقية نقداً إلى الدكتور بيجن .

ولم تعد كلفة بيننا . أقسم أن نصيبه لا يزيد عن نصيبى وما بقى وصل لهذا ولذاك . وأفرج عن مرضية فى نفس تلك الليلة وهى لم تكن تعلم أن (السحب والرياح والقمر والشـمس والفلك فى عمل دائم . . لكى تحصل على رغيف خبز وتأكله (١) .

لكن هذا الموضـوع لم يتم بهـذه السهـولة وبلا إزعاج ، فـمن ناحـية ارتفعت الصيحات من العسكريين أن العقيد قتل فى الشارع فى وضح النهار ويطلق الجهاز سراح المتهمين بدون دليل . وانتقلت هذه الشائعة كالبرق من لسان إلى آخـر فى سائر الجهـاز . كان الجمـيع يتحـدثون سراً عن أن هذا الموضوع لـم يحدث بدون تحليـة الفم فسيـطر علىّ الخوف خـاصة أن المال

(١) إشارة إلى بيت الشاعر الإيرانى المشهور سعدى الشيرازى وإن كان ترجمة شطرته الثانية أصلاً هى (لكى تحوز الخبز ولا تأكله غافلا) .

الذى قبضـته كان يلهب بلداً. وسوف أذكر بعـد فيم أنفقته . أمـا الدكتور بيجن فكان أكثـر بروداً منى وشجرة صفصـاف من هذا النوع الذى لا يهتز من الرياح . فقد ألقى القبض خـلال أيام عدة وبدون حرج على بضعة من الرجال والنساء ممن هم قرب مكان الحـادث وربما كانوا ممن شاهدوا الحادث صـدفة أو قـصـد ، فليس هذا أمـراً هامّـا . ثم أطلق سـراح بعض منهم واعتقل آخرون لفترات . ثم قال لى بعد ذلك :

- كان أولئك المشاركـون فى إتمام هذه الصفقة يريدون نصيبًـا أكبر ولم أنْصَع لرغبتهم . لو أنى استسلمت لهم لنقص نصيبك إلى النصف . لماذا؟ نحـترق نـحن وأبناؤنا وهم يأكلون حلوها . وصل الموضـوع حـتى رئيس الجهاز أيضا . لكنهم كانوا قد أدخلوا رأسه فى الخيةّ .

كانت تكاليف زواجى هى التـسعة آلاف تومان والخمسـمائة . لم أجد خيراً مـن هذا الزواج . تولت أمى عنى هذا الأمر . كنت مشغـولاً بأمور أخرى . فخطبت لى بنتاً من نطنز (بلدة الشمال أصفهان) لاتعرف شيئا . كانت المسكينة من البـداية عليلة . ولدت لى طفلين فى السنوات الأولى ثم توقـفت عن الولادة . يمر على بضع وعـشـرون سنة على تلك الفـتـرة . وأمضت هى ستين أو ثلاثاً مقـعدة وملازمة لفراش المرض . كـانت أحيانا أمها تأخذ الطفلين معها إلى كاشـان وكانت أمى تقضى أحيانا أخرى وقتها معهمـا والآن فكل منهما لا يهتم إلا بنفسه ولا يهتـمان بى أدنى اهتمام . أولهمـا فى أمريكا محـاسب ملتزم ، والأخرى مـتزوجة بسـمسار مـهرب أسلحة ويعلم الله أين هى أو أين تقيم . حياتهـما لا تهم اعترافاتى هذه . لا أعرف من الذى ألقى فى روعها من قبل أننى أصبـحت سافاكيا وسمعت أنهمـا سميـاتى بذى الحافـر . كان (هاشم) حيـناً يتـصل بى ويزورنـى

لبضع سنوات . تسمى باسم جده لأبيه والآن هو غُصة فى حلقى فلا أعرف عنه ولا يعرف عنى خبراً ولا يتصل أحدنا بالآخر . والعلاقة بين هاشم وأخته مقطوعة أيضاً إلى حد كبير .

سويت حادثة العقيد أركان الحرب . نساء الجميع . قبض على بضعة أشخاص كانوا يبدون متهمين وكان نتيجة هذا أنه لابد من التسلل بنحو أكبر بين الطلاب والمثقفين . سألنى الدكتور بيجن [illegible] : ما الذى يقصده شيخك من قوله إن خطراً يهددكم وأنتم عنه غافلون أى خطر هذا ؟

فى هذا الوقت وكان مضى على وأنا بالسافاك نحو سنتين وبضعة شهور وجهونى مرة أخرى نحو الجامعيين والمثقفين . تركت التسلل داخل الحزب فلم يكن فى ذلك ما يروى الغليل . كان كل شئ فى الحزب يجرى ملاعبه شاعر ولم يكونوا يفكرون فى الثورة والاضطرابات بالمرة . أحياناً كانوا يطلقون الكلام على عواهنه إلى حد يجعل أى إنسان ساذج يفهم بسرعة أن هؤلاء ببغاوات يحاكون كلام الأساتذة المحنكين . وكانت مشكلة رقية تؤرقنى إلى درجة لم يعد معها حاجة للتحرك داخل الحزب وعادة أحاديثهم الجوفاء التافهة . كانت رقية قد اعترفت مرة أنها لا تثق كثيراً فى الحزب . فأوصونى بالاهتمام ثانية بأمر الجامعيين وأن أتحرى الخطر الذى نبهنا إليه رجل محنك مثل شيخك . وكان لدى أمل فى أن أجد أيضاً فى مثل هذا المحيط آثار تتجه نحو رقية .

بعد التعامل مع شيخك بشأن إطلاق سراح مرضية تراجع تحفظناووجد الجرأة فى نفسة آنذاك وكان حيناً يتصل بمنزلى بالتليفون ويسأل عن أحوالى . وفى يوم قرع جرس الباب وأتى لزيارتى .

لم يكن لابساً عباءة وعمامة بل كان يلبس بذلة أنيقة برباط عنق من خلف لحيته أسفل ذقنه .

فى ذاك الوقت كنا نؤجر مسكناً فى منيـاوران . مبنى يحوى عديداً من الغرف لـه حديقة فـى حدود ثلاثة آلاف متـر وبه حمـام ومطبخ وتليـفون وتليفزيون وأثاث ورياش . وكـان بإمكانى من سطح المنزل أن أرى الحديقة أمام المبنى والحوض البيضاوى والشارع المواجة للحديقة .

ومـا إن دخل ووقـعت عيـناه على الصندوق المليئ بالمشـروبات بجـوار السفرة حتى قال :

- ألا تريد أن تزيل عطشى ؟ .

فـقلت : - آه يا شـيخ ومـا هو نصـيـبك من هذا الـصندوق أيضـاً وضحكت . قال : - لا تسخر منى . أتيت حتى أدلك على الطريق .

أخذت فـترة أسـخر منه ، فلم يأبه . كـان بمقدوره كذلـك أن يبرز لى تفوقة وإحاطته بالأمور ويظهر لى أنه يعرف أشياء كثيرة يجهلها الجهاز .

- حسناً أتيت لتنير لى الطريق . أعمى يقود أعمى . أى طريق؟ .

- أنت لا تعرف قط من بيدهم الأمور ؟ .

- أعرف هذا أفضل منك .

- هكذا تظن . هل تعرف ماذا يفعل سيدك عند كنيدى .

- ومادخل هذا بى ؟ .

- مصيرك ومصيرى وكلكم رهن مشيئتهم .

- يعنى ؟ !! .

- حسناً سوف أكلمك الآن بلا مواربة . لا تربط نفسك بهذا الحد بالدكتور بيجن ولا هذا ولا ذاك .

قلت : - لا أعرف ما الذى تفعله لكى تعرف أننى ربطت نفسى بالدكتور بيجن . الدكتور بيجن حتى لا يصل الآن إلى درجة صبى عندى.

- أنا أتيت يارجل لكى أساعدك بشكل محترم لأنك ساعدتنى يوما وأنقذتنى من نكبتى .

- لا تنمق الحديث هكذا .

- لكن هات لى كأساً أولاً حتى أفصح لك .

فنهضت وأخرجت من النيش الزجاجى كأساً وصببت له بعض الكونياك وقلت :

- تعال . . وأطفح .

- فى صحة الأصدقاء قال هذا وتجرع كأسه .

ألا تعلم أن بختيار على وشك أن يقال ؟ .

- ماذا تقول ، من علبة أى عطار أتيت بهذا الخبر أيضاً .

- لا شأن لك بمثل هذه الأمور . شربت كونياكك ولك فى عنقى حق الخبز والملح . انتبه لنفسك .

تحرك فى مجيئك وذهابك بكل حيطة حتى لا ينطحك قط . قم بأمورك وكأن لا دخل لك بمن يذهب ومن يحل .

أفهمني الموضوع .

- خلاصته أن أسيادي وأسيادك لا يريدون أن يختفي الشاه الآن وتسقط الأمور في أيدي العشائر .

لم تمر ثلاثة أسابيع حتى استدعى صاحب الحضرة البهمايونية بختيار إلى مكتبه ولم يعد رئيسا لجهاز الأمن ثانية بعد أن خرج من عنده . من هذا الوقت فصاعداً كان لبختيار نفسه ملف رسمي وعلني اسندت رئاسة الجهاز لواحد يرتدي الزى المدنى . وبدأ التطهير. وكان من بين عدد عظيم من أتباع بختيار في الجهاز ، وفي إدارات الجهاز كذلك جماعتان . واحدة تقرع الطبول لمصلحة بختيار وتعتبره منقذ الأمة والأخرى متشائمة وتراعى في تقاريرها مصلحة الحضرة الهامايونية كان هذا استنباطي بناء عن التقارير .

أبرزت هاتان الجماعتان في جنيف بعد تحري لقاءات انتيمار بختيار بالطلاب والشيوعيين والفلسطينيين العرب والضباط الهاربين . كان الله في عون الشاه وحماه وإلا انصب على رؤ سهم في السنوات التالية لعام (١٣٤٢هـ ١٩٦٢م) نفس هذا البلاء الذي أخذ بخناقنا جميعا هذه الأيام .

كان مصدر أخباري الدائم يجري وراء الكواليس إنه شيخك . لم أره منذ بضعة شهور وحتى الآن لافي مقهى الاسلامبول ولا في الشارع أو السوق ، ربما لم يكن في طهران .

الجدير بالذكر أننا نحن السافاكيين لا نستمد معلوماتنا من طريق قط سوى جواسيس الطلاب وصغار الشيوعيين ومما تنشره صحف الغرب والشرق عن السياسة العليا للبلاد ونعتبر ذلك كنقش العملة بينما تجري وراء ظهورنا أحداث تبهتنا تماماً . كنت لا أجده ولو لم يتصل هو بي لما وجدته قط .

سقطت الحكومة الإصلاحية فى شهر خرداد عام (١٣٤٢) وتمركزت كل القوة بيد صاحب الحضرة الهمايونية . قال الأعداء (كما سمعت من شيخك) إن الأمريكين على استعداد لإرسال المساعدات المالية لإيران فى حالة واحدة وحسب وهى حين تقوم إيران بتعقل وبأسلوب مناسب للإصلاحات .

كانت هذه المعلومات الخاصة تصيب حواس واحد مثلى بالاختلال . المهمة التى أوكلت أنذاك إلىّ هى التجسس على النشاط الباطن والظاهر للمثقفين . قمت بالتحرى فى هذا الميدان ستين أو ثلاثاً ألقيت فى السجن بضعة من المثقفين والكتاب والشعراء الذين كانوا يلصقون التهم بالشاه لمزاً وينتمون إلى الشيوعية الروسية والصينية . ولم يحدث أكثر من هذا . أحيانا كان يظهر في الأفق أقزام يتلوون ويتلاشون وحين أغمض عينى يصيرون سرابا .

فى صيف العام الذى عزل فيه بختيار أستدعى إلى طهران كثير من السافاكيين الذين كانوا يخدمون فى أوروبا لكى يقوموا بتطهير العملاء لأتباعة . كما دعى إلى إيران وفد الطلاب الإيرانيين المقيمين بأوروبا بهدف تشجيعهم للتقدم بإيران وللقيام بالدعاية للخطوات الجدية للحضرة العليا الشاهية فى طريق الرفاهية والرقى أرسلوهم فى سائر البلاد فى رحلات بالأتوبيس وطبعاً حاول الجهاز تجنيد بعض من بينهم لمصلحة أمن البلاد مع أن بعضم لم يكن حتى ذلك الوقت يكتب تقارير للجهاز . وكنت واحداً من بين من عهد إليهم بالإشراف عليهم وتوجيههم . فسافرنا بهم عبدان وأصفهان وشيراز ومازندران وبينًا لهم ما حدث من تقدم أثناء غيبتهم وكان من بينهم شابان اسمهما (دوماندى) و(خان على) لا أعرف سبباً فى أن

وجهيهما كانا مألوفين . لى تقربت إليهما وكنت أحاديثهما من بداية تناول الغذاء والعشاء ويبادلانى الحديث . كان كلاهما يبدو على درجة من الحمق والبلاهة ، فأحدهما كان ثرثاراً وجريئا ويقهقه اعتباطاً وكان يعض علياً حين يسمع منى نكتة تعرض بنظام الشاه ولم يكن على استعداد لقبول أدنى انتقاد له . كان ممتلئاً سمينا جميل العين والحاجب أنيق المنظر وسرعان ما أدركت أنه ابن أحد كبار الضباط أوفد إلى أوروبا على نفقة البلاط . أما الآخر (خان على) فكان أبوه بحاراً من مازرونوران ، ولما رأت إدارة الأملاك السلطانيه استعدادة ومثابرته ومكافحته أوفد للدراسة بأوروبا على نفقة إدارة الأملاك وبموافقة من حضرة الشاه بعد تعهده بالعمل عشر سنوات فى خدمة الدولة بعد إنهاء دراسته ونيله شهادتة وبقدر الامكان فى إدارة الأملاك . كان هذان الشابان يتنافس أحدهما مع الآخر يسعى كل منهما إلى إثبات تفوقه فى كل موضع على الآخر ، دوماندى على ثرثرته وتدخله فى كل شئ وخان على برزانته وتفكره وتعقله . وفى إحدى المرات كان كلاهما على وشك التشاجر بسبب آلة تصوير ومنبّهة ، وإذا لم يتدخل رفاق سفرهما بينهما لا يعلم إلا الله إلام ينتهى بهما الأمر . أخبرنى بشجارهما وتضاربهما من يدعى (آرمايش) . وكان ولداً تافهاً بغير استحياء يتدخل فى أمور كل من هب ودب . حين تحريت عنه علمت أنه كان موفداً إلى الشرق فترة ثم انتقل إلى الغرب متذرعاً بحب الشاه وصار محط الاهتمام . كان أهله من رجال الدين ذوى النفوذ ودعى إلى إيران بناء على توسطهم ضمن الطلاب الوطنيين المعارضين لاتحاد الطلاب .

كان قصة تضارب دوماندى وخان على هكذا : حسب أوامر الحضرة

العليـا الشـاهيه كـان لابد أن يعطى كل واحـد من المدعـوين هدية حسب ميولهم وحاجاتهم ويـعطى الأولاد هدايا تعاونهم فى تحصيلهم الدراسى من مثل الراديو وآلة التصوير والمسجل والـلباس المحلى ووسائل الزينة وحقائب السفر والأساور والآثار الفنية والسجاجيد الحريرية وغيرها .

خصصت فى فندق أصفهان غـرفة لكل اثنين وكان خان على ودماوندى يشتـركان فى غرفة واحـدة . ولما عاد فى أحد الأيام خان على من جـولته رأى موضوعاً على الطقطوقة وسريريهـما آلة تصوير ماركة (كوداك) ومنبه ماركة (جرندل) . ولما كان دوماندى قد سمع أن كل واحد سوف يعطى هدية قبل عودته إلى أوروبا وصل إلى الغرفة أبكر بعدة دقائق وما أن وقعت عيناه على آلة التصوير حـتى استبدلها بالمنبة حـيث كانت آلة التصوير أثمن وأكثر فائدة لالتقـاط صور حبيبته . لكنه لم يكن يستـدير نحو سريره حتى رأى خان على بقامـته الطويلة ومعطفه وسرواله الغليظين واقـفاً بالقرب منه ينظر إليه .

- أرجع إلى مكانك بسرعة وإلا حطمت فمك وخيشومك .

- ابن كلب ! من أنت ؟ ! .

وبدأ الشجار سمع جلبتهما وصياحهما الضيوف ورفاق الرحلة وأخبرنى آرمايش . ولم أكـد أصـل إلى حجرتهمـا حتى سمعـت دوماندى يـصرخ:
- اخـرس ، كل الناس تعرف من أنـت . أنت صديق عـزيز لأهارى ومن الذى لا يعرف فيم يعمل ؟ .

توقفت قليلاً حتى سمعت أغلب حـديثهما . إلا أن تشابكهما بالأيدى وألفـاظ السبـاب التى أهالهـا دماوندى على ابن الـنجار لم تدع لى مـهلة للانتظار فدخلت الغرفة وقلت :

– أنتما متعلمان زرتما أوروبا ياسادة ألا تستحيا ففرقت بينهما وصالحتهما وأرضيتهما بأن آله التصوير هي الأرخص لكن تنافسهما لم يكن بسبب هذه الأشياء وحسب .

قلت إن دماوندي كان لطيف الكلام يسعى إلى كسب قلوب البنات برواياته المضحكة ونكاته بينما كان خان على عاقلاً رزينا وبمقدوره أن يطير كقرد القدراتي ويحقق رغبات البنات . كان كل منهما يرد آلة التصوير بقصد اكتساب محبة البنات . طبعا كانت فرصة ابن الضابط الكبير ذي الخدين الحمراوين والعينين والحاجبين المكتحلين أكبر عندهن من ابن النجار الذي كان صامتا متواضعا ولم يرث من أسرته فنون اختطاف القلوب .

فرأيت أنهما يمكن أن يصيرا لقمة سائغة لمهمتنا داخل الطلاب خاصة في هذه المرحلة التي يطالب فيها بشدة الشباب متصورين أنه يمكن زلزلة أركان دولة الشاه بمظاهرات مشكلة من بضعة آلاف أمام المجلس النيابي والاعتراض على أسلوب الانتخابات واعتصام العمال في مصانع النسيج والحرير باصفهان . كانوا مغفلين . صبّ الجهاز نقمته عليهم جميعا . وفي كلية المعلمين العليا ثارت بضعة من مروجي الإشاعات جلبة ولم يعرف من كان يقف خلفهم معترضاً على قطع منحهم الدراسية . اعتصموا . أمر الشاه باغلاق كلية المعلمين العليا قاما باستغلال الدراسة في حل المعهد العالي بينما ثارت القلاقل وقام الطلاب بأعمال الشغب . أطلقنا عليهم فرق الكوماندو وشتتنا شملهم بدداً . لم نرحم أحداً لم يفرق واحد من هؤلاء بين الطلاب والأساتذة يقال أن بعض هؤلاء الجنود البهائم حطموا المكتبات والمعامل . ألقوا بضعة من الطلاب من الطابق الثاني والثالث ، وجرح بعضهم ثم وافتهم المنية . وتفرق الكثير وتشتتوا وقضى على

ثلاثمـائة كان أغلبـهم تحت تصرفى . كنت أتمعن فـيهم لأرى أحـداً منهم أعـرفـــه . كنت أريد أن أعـــرف رؤوس هؤلاء المنحـرفين وأرحـلهم إلى التجنيد. حرمت نحو عشرين منهم من التعليم لكن الشـغب لم يتوقف . بعد ثلاثة أيام انضم إليـهم تلاميذ المدارس . كـانوا يتجمعـون فى الشوارع ويسـيئون أدبـهم إلى الحضـرة العليا . دخلت الشـرطة المعركـة . فى هذا الوقت انبعثت صـيحات الجبهـة الوطنية قبضنا على بضـعة من رؤسائهم . اختفى الباقون أو مُلئت أفواهم بـالغائط أو صمتوا . وفى إثر هذه الحوداث كـان الطلاب فى أوروبا يكثـفـون من نشـاطهم . وصـار من الضـرورى استخدام عناصر بهدف تخلل المنظمات الأهلية وغير الحكومية التى يمكن أن تتظاهر بأنها (مناضلة) . كنت منـهمكا فى العمل كثيـرا . فكانت احدى قـدمىّ فى لجنة تأديب الطلاب والأخـرى فى مكتـبى حيث أدرس ملفـات طلاب أوروبا وأتحرى عن خـان على ودماوندى . أظهرت مودتى لهـما . اطمأنا إلىّ وتعهـدا بأن ينقلا إلىّ اللغط والجدال الثائر حولهـما . وكان فى نظرهما معـارضاً للوطنية وما تقـتضيه الدراسة . وفى خـلال ثلاثة أسابيع عايشـتهما فـيها فى مدن عـبدان وأصفهـان وجيلان ومازندران وخـراسان اسـتطعت التعـرف على مـعلومات المدعـوين ورغـباتهـمـا وتوقعـاتهمـا واعتراضاتهـما وفى النهاية تمكنت عن طريق إهداء جهازى منبـه إليهما من تحويلهما إلى جاسوسين مبتدئين .

ومـا إن عدت إلى طـهران حـتى أردت أن أفـاتح الدكتـور بيـجن فى الموضوع وكـنت أريد أن أحتفظ بـهذين الصيـدين ثلاثة أسابيـع أخرى فى طهران وإيران حتى أنال توفـيقا أكبر بالاستفـادة من وجودهما وسط طلاب أوروبا . ولحسن الحظ أو العكس كان الدكتـور بيجن فى إجازة فأنست فى

نفسى جـرأة لمقابلة السيـد (جها نجيـر) . وعلى خلاف المرة الأولى حين أخذ منى قصة حياتى وكان يبدو لى متظاهـراً بالعجرفة والتصنع وبابتسامته الكاذبة والألاعيب البـوليسية ، اسـتقبلنى هذه المرة بلطف وأجلسنى أمـامه على كرسى . كنت أريد أن أعطيه تقريراً عن مـرافقتى لطلاب أوروبا مدن إيران . قاطعنى : - وصلتنـا معلومات شبـة تفصيليـة فى هذا الموضوع . قيل إنك تعرفت إلى اثنين منهم .

- أطلب من سيـادتكم أن أتحرى حـول هذين الطالبين إن أذنتم لى . أعتقـد أن هذين الطالبين سوف يحلان مـشكلتنا . يجب الاستفادة منـهما بدلاً من الموظفين . كل منهما لدية القدرة على هذا العمل . . .

لم يدعنى أكمل كلامى .

-فـكرة جـيـدة جداً . أنت تعلـم أى صخب وفـوضى قامـوا بها فى أوروبا ونحن لدينا طبعا موظفون فـى أوروبا . لكنهم لم يصيبوا حتى الآن أى قدر من النجاح . المراكز الثقافية بدورها أغلبها تهتم بمشاكلها حتى الآن أكثر من مشاكلنا . إنهـا فكرة جيدة جداً . لابد أن يكون لنا فى كل مكان رجال . لابد أن يكون موظفونا متـشرين فى كل قرية . وفى أوروبا أيضاً حين يتواجد فى مديـنة واحدة ثلاثة من الدارسين لابد أن يكون واحد منهم يعمل لحسـابنا . تذكر جيداً أن نبض الشاه فى أيدينا . فإذا لم نـستمر فى أعمالنا بحماس وحب ولم نكشف المغـفلين والمنحرفين والخونة فإننا نحطم أنفسنا وحياتنا وأسرنا وكل شئ) .

ذكر كـثيـرا جداً من هذه الترهات والتى أحفظهـا مثل أغنيـة (القلب المهووس . .) تحـدث عن الشاه والوطن والعظمة والدين ووو . . ثم غـير مجرى الكلام فجأة وكان قصده أن يسبر أغوارى .

هل تحب أن أرسلك إلى أوروبا لتقوم بهذه المهمة ؟ .

فأجبت : (أنا مشغول حاليا يا سيدى . .) .

- رحيل أختك عن بيتكم ليس مشكلة . لم نعثر عليها فى أى موضع . . أجبت وغصت فى تفاصيل حياتها .

- أذكر لسيادتكم أنى طالب بالجامعة . أنا أدرس بكلية الحقوق

- أعرف هذا متى تنتهى دراستك ؟ .

- يحدونى الأمل أن أمتحن العام القادم وأنتهى .

- حسن جداً . . .

كلفنى بأن أستضيف هذين الطالبين أسبوعين آخرين .

- سوف أعتمد نفقاتهما . أكرم وفادتهما . . .

- أنهى إلى سيادتكم أنهما الآن على استعداد للقيام بالخدمات . وبغير نفقات أيضا . الأفضل أن يفوض أمرهم إلى الجهاز بعد الأسبوعين حيث يعودان إلى فرنسا . وأنا على يقين من أن أمرهما منته) .

- اطمئن .

واتجهت مباشرة من عنده إلى المدينة . حجزت مائدة لأكثر من شخص فى مطعم (تشاقاله) لمساء الغد ودعوت للعشاء دماوندى وخان على وفتاتين طالبتين كانتا موضع اهتمامهما وطلبت منهما ألا يعودا برفقة المدعوين الآخرين إلى أوروبا لأنهما ضيفان لمدة أسبوعين على رئاسة الوزراء حتى يزورا قاعة الفردوس ومتاحف إيران القديمة ومتحف الأنثروبولوجيا

وزيارة كلية الزراعة بمدينة الكرج ثـم يعودان بالسلامة إلى كليتهـما . وبعد تناول بضعة كؤوس من الخمر اتقد حديث دماوندى حماسة واشتعالاً وأبدى وجهـة نظرة القائلة إن جمـيع طلاب الاتحاد تابعـون للأجانب ويتقـاضون أموالاً من الروس ولا يتـصفون بأى صفة وطنـية ويجب شنقهم جمـيعاً . وعلى الطلاب من الجـنسين أن يزيلوا بذور الشـيـوعـيـة من الأرض و . . وكنت أحاول أن أهدئه فرُحت أوصـيه : لماذا لا تشكل أنت « اتحاداً » على تقل عنهم ؟ إنك حسن الكلام قوى الحجة جاد البحث . . .

فـقالت إحـدى الطالبتين : - وهل اتحـادات الطلاب قليلة عندنا حتى نضيف إليها الآن اتحاداً أو اثنين . . .

فقال خان على : - نحن لا نعرف غير الكلام . لا يتأتى منا عمل .

فانقض دماوندى على صديقه - ينطبق كلامك عليك . . أما أنا فقف ضدهم فقال خان على : - لنرَ ونُعرف .

فقلت : سيدى العزيز لا يجب أن يبلغ بكم اليأس إلى هذا الحد . كل إنسـان يؤدى عمـلاً . يجب أن تصـفق بكلتـا يديك حـتى تصدرا صـوتاً فتدخلت واحدة من البنتين للدفاع عن خان على :

- لا ، يا سيدى . أنهم ليـسوا عاجزين إلى هذا الحـد . إن مجرد أن يخطو يصير سباحاً عظيماً . فلوا أقـام تنظيماً طلابياً لبذل خان على نشاطاً ضخـماً فيـه . وفى المثل لاترى حبـة الفلفل من دقة حجـمهـا ، اطحنها لتعرف كم هى لاذعة المذاق .

انتهى النقاش إلى الضحك والهزل وسخرت البنت الثانية قائلة :

- عزيزتى لابد أنك تعلمين هذا .

أمضينا الليل بسعادة واستأجرت تاكسيين ووصلت الطلاب الأربعة إلى الفندق وأعتقد أننى بذرت بذرة أثمرت بعد ذلك لجميع الإيرانيين .

وفى كل عام كان هذان الطالبان يأتيان لزيارة أسرتيهما فى الإجازة الصيفية وفى الحقيقة للاتصال بى فى طهران وكنت أقوم بتهذيب تقريراتهما بعد قراءتها لأنهما لايزالان مبتدئين . طبعا لم أذكر لهما شيئا عن الجهاز وكنت أظهر لهما أنى موظف بوزارة الداخلية ورئاسة الوزارة أقوم ببحث أمور الطلاب فى مكتب رئيس الدولة . فُوض إلىّ أمر تعليمهما وتدريبهما بشكل كامل . لم يكن لغيرى الحق فى قراءة تقارير نشاطهما حتى الدكتور بيجن كان لا يعرف عنها شيئا . كان بإمكانى وقت اللزوم وحسب الاتصال بالدكتور « جهانجير » والذى فهمت بعد ذلك أنه مثل زميله لم يحصل على الدكتوراة بل إنه لم يقرأ حتى درساً وتبوأ هذا المنصب بقوة الجيش العسكرى . انتقل من الركن الثانى إلى الجهاز وكان فى الجيش بدرجة عريف أكتب هذا لأنى حين وقعت على حقيقتهما جهانجير وبيجن لم أشعر بعدها برعب أو خوف منهما . كانت نفسى أعلى منهما ولم أعد أرى تواضعى السابق أمامهما أمراً لازما . وانا فى النهاية كنت أدرس بصدق أو بكذب . كنت أطالع المصادر وأفهم المصطلحات فى الفلسفة والسياسة وتعلمت الانجليزية إلى حد أنه كان بإمكانى أن انجز بقوة عملى بها وكنت أفكر حينا فى أنه نال درجة الدكتوراه بالتزوير أو بأى شكل مثل درجات الدكتوراة لأولئك الذين سافروا باريس . كان أحدهم سيكتب لى رسالة وأنسبها إلى نفسى بمبلغ من المال ولسوء الحظ كنت أنحت هذا الأمر لنفسى بهذا الشكل وكانت حياة أختى المتسيّبة تقيد قدمى بذلك الشكل ، حتى أنى لم أحقق هذا الهدف الغالى . كنت أرطن أيضاً قليلاً بالفرنسية .

وسرعـان ما أدرك الدكتـور المزيـف جهلا نجير أنى أفوقه ذكاءً فلم يظهر نفسه ثانية مـتعجرفـا أمامى . وكلفنى بتدريب هذين الشـابين بين أولاد الأصول مدة سنتين كاملتين . وفى المرة الثالثة فى شهر خرداد (١٣٤٢) حين وجهت إليهما الدعوة للعودة إلى إيران حدثت فتنة طهران التى انتهت إلى مجزرة .

كان لهـذه الثورة سابقـة . فى اليوم الثـانى لعيد الأضـحى كان طلاب المدرسـة الفيـضية يريـدون الثورة ويعـترضـون على قرارات (الإصـلاح الزراعى) . وفى هذه المرة صبّت قوة الكوماندو نقمتها عليهم وهم يرتدون الأزياء المدنية تحت قيادة سيادة الفريق الذى كان وقتها رئيس فى الظاهر لمدة شهرين وسكنتُ كاما كـانت دفة السفينة بيد الجهاز وكان يتـعرض للاعتقال كل من ارتفع صوته . حـتى يوم تاسوعاء وعاشوراء حـيث اشترك الآلاف فى الاحتفالات الدينية وتحـول بالتدريج العزاء إلى ثورة . سمعت أنا بأذنى جمـاعة منهم تهـتف : الموت للشاة . كـانوا يطالبـون بحرية الانتـخابات ويسبون انجلترا وأمريكا . كان السافـاك مبهوتاً لايدرى مبعث هذه الحركة . ومن أين أسـتمـدت جذورها . كـان كبـار الموظفين بالسـافـاك والذين تقع محاربة الشـيوعية واليسـارية على رأس برنامجهم ينسبـون هذه الحركة إلى الروس .

وكان البـعض أيضا يعـد بختيـار مسؤولاً . ودليلـهم الأساسى هو أن المتظاهرين كانوا يـسبون الانجليز والأمـريكيين ولم يسمع منهم هتـاف ضد الشيوعية . هاجم العاصمة من ورامـير جمع يلبسون أكفانهم وأخذ الموقف فى التصاعد حتى صـدرت الأوامر بإطلاق الرصاص عليهم وإبادتهم . كان الشاه نفـسه هو الذى أصـدر أوامر الضـرب بالنار . كان هدفـه أن يخاف الشعب ويبتعد عن الزعمـاء المحرضين ويقبض عليهم . هذا المقصد الظاهر

للشاه تغير إلى سفك الدماء والقتل الجماعي عن طريق الفريق قائد القوات المشتركة للجيش والشرطة والسافاك والمسلحين .

ولاشك أن عدداً كبيراً قتل ، النهاية أشاع الثوار أن هذا العدد بلغ من خمسة آلاف إلى عشرة آلاف . وصل رؤساء الشعب الآخرون بعد مناقشات استغرقت عدة ساعات إلى نتيجة فحواها أن كل شئ انتهى وفي نفس ذاك اليوم أشاعت وكالات الأنباء الأجنبية وكلها خاضعة للشيوعين والانجليز : لعل حكومة الشاه لم تستطع السيطرة على الشعب . ذكرت صحيفة يسارية فرنسية أن حكومة الشاه لم تستطع أن تسيطر على إنتاجها مع أن ميزانية الجيش تبلغ ٢٢٥ مليون دولار ومعها نشاطات جهاز الأمن (السافاك) . جعلت وكالات أنباء عديدة لهذه المصيبة الصغيرة ساقاً وأوراقاً وضخموها ولمعوها وقالوا : ملأت كالسيل جموع الشعب شوارع مدينة طهران . أطلق الجيش النار بناء على أمر السيد الفريق على الأهالي المرتدين الأكفان وسط الطريق . أخذت الثورة تسرى في قم وشيراز ومدن أخرى أيضاً . في نفس تلك الليلة جمعنا الفريق كلنا نحن العاملين بالجهاز والمقيمين بطهران . كنا ما يقرب من ثلاثمائة عامل . تحدث فينا وقال : وصل الآن مائة أو ألف إلى الدرك الأسفل ، ما أهمية هذا ؟ إننا أنقذنا البلاد من خطر الشيوعيين والماركسيين والإسلاميين ، وإذا حدثت مثل هذه الواقعة فلن نتصرف تصرفاً مغايراً . كان الملعون متكلفا في حديثه .

لم يجرؤ أحد على الكلام في هذا الاجتماع . سمعنا حين خرجنا بعضاً من الرؤساء يدمدمون بأن أوامر الحضرة العليا لم تتعد تفريق الناس بقصد البحث عن رؤساء الثوار لاسفك دمائهم . استمر الهمس بيننا حتى الدكتور بيجن صبي الفريق وتابعه كان يهز أيضاً رأسه .

وكان استنباطى هو أنهم خائفـون ولم يتصوروا أن الساخطين من الناس سـوف يصهـرون إلى هذا الحد . كـان يسـمع هنا وهناك أن هذا الـسفـاك السفاح لم يتورع - قـاصداً مصلحته الشخصـية والترقى إلى منصب رئاسة الجهاز - عن نقض الأوامـر الملكية . كان مقصد الحضـرة العليا هو تحويل إيران إلى بلد حر غير شيوعى وليس الثورة والفتنة .

وصل الجدال مبلغـاً لم يجد أحد فيـه فرصة للتفكر والتـعقل كان يمكن الاستنتاج أن الخـوف بلغ منهم كل مبلغ وكانوا يخشون يومـاً يتضاعف أن هذا الكم من الثوار والمتمـردين ومإذا يحدث لـهم وقتهـا ألم يكن هذا خطراً ، يقول شيخك ، يهددنا جميعاً ؟

قرر كل رؤسـائنا - بدون اهتمام بهـذا الجدال - بذل أقصى الجـهود . بدأت الاعتقالات ، وقـبض على عدد كبير . استخدم لانتـزاع الاعترافات الموقد الكهربائى والهراوات والخوذات .

قيمة هذا الاعتقال الجمـاعى أن مصدراً للدخل أصبح ثانية تحت تصرفنا اعتـقل عدد كبـير من الأغنياء وكـان من بينهم وهم حوالى ثلاثمـائة نحو عشرين على الأقل من الأثرياء فكان يجرى ابتزازهم ويحصّلون المبالغ منهم . لم يصبنى شئ من هذا (المولد) . تأثرت من أجل ثلاثة مـعتقلين منهم وأطلقت سراحهـم . تجمـع لدى مـال مكننى من شراء سيـارة جديدة ولم يكن هذا الأمر يتم دون رشوه الدكتور بيجن والدكتور جهانجير .

أبطلت هذه المجزرة التى قام بها سيادة الفـريق مفعول جميع الإجراءات الاحتـياطيـة التى كان استـخدمهـا منذ سنوات سابقـة . ألم يتم من أجل

تشجيع الشعب تشكيل حزبين : حـزب الوطنيين والشعب ، لكى يتحمس النواب والشعب ويمارسوا دوراً نقدياً إيجابياً ويسلكوا طريق الإصلاح ؟ ألم يقم الشاه بنفسـه بتقسيم أمـلاكه الشخصيـة فى عام ١٣٢٩؛ التى ورثها من والده وكم من الزراع والفـلاحين تملكوا منه الأراضى وأصـابوا الثـروات . نفس أولئك الوافدين من القرى المحيطة بـ (ورافين) على طهران كم توزعت الأراضى بينهم ؟ . طبعا كان الأعداء الألداء وهم الشيوعيون يشيعون أنهم يبيعون أملاكهم وينشـرون العملة الصعبة ويرسلونها إلى الخارج . يمكن فى النهـاية إغلاق منافـذ طهـران لكن من يستطيع أن يـنجح فى تكميم أفـواه الجهـلاء ؟ حتى لكى يسـتلفت انتباه الشـعب إلى الإصلاحـات التى كانت نصب عينيه المـباركتين طوال الوقت ولكى يقوم الشـعب باستزراع الأراضى وكان يبدو هذا لنظر حضـرته مفتاح جميع مـشكلات البلاد . أقر حكومة معتدلة اشترك فيها أيضا بعض الشيوعيين السابقين . هى نفس الحكومة التى أعلنت (إذا لم يُعْط الفقراء قرشين من كل عشرة قروش من أموال الأغنياء تقـوض نظام البلاد) قـالوا : (يارب لا يتحـول الفقيـر إلى غنى لأنه إذا أغتنى نسى ربه) . قال أحد الوزراء فى هذه الوزارة والحق الآن يرحمه ربه : إذا لم تتحقق الإصـلاحات السلمية فلسـوف تحـدث ثـورة دمويـة . فى الواقـع كـان قـصـد الحضرة العلـيا أيضا حـدوث (الثـورة البيـضاء) من أعلى.

لم يكن معلوماً ما يريده هؤلاء من الحضرة العليا ؟

حسناً ، لا تقسم الحلوى أثناء التنازع عليـها . اللعبة فيهـا أخطار وفيها كـسـر رؤوس . قبض علـى عدد منهم ونـفى عدد آخـر . والأمـر الذى استرعى انتباهى هو أنه كان يرى فى صفوف هذه المظاهرات نسوة منقـبات

متفرقات ، وكنت وأنا أشاهد هؤلاء الثوار يوميا ومعى الطالبان العائدان من أوروبا أبحث عن رقية فى كل مكان وأتصور أنها الآن قد لحقت بهن . كان لهذه الثورة التى دامت أيامًا وقع كثير الإيجابية على معنويات هذين الشابين فصمم كلاهما على التعـاون بكل إخلاص وقوة مع موظفى الدولة ومحبّى الشـاه بدون أن أذكر لهـما اسم السـافاك بينمـا كنت أراود نفسى قلـيلا أن أكشف لهما اسمه أنا نفسى أصاب بالتردد .

كـان الأمر يزداد سـوءاً . لم يعـد الكلام فى النهـاية يدور حـول ثورة الشـعب . حين كنت أرى أن هذين الشـابين لا يريان غـيـر ظاهر الأمـور ويسمعان أن الشـعب يريد (الانتخابات الحرة) ولا يفهـمان عمق الموضوع يستلاّن فى عـالم الخيال سيفيهـما من غمدهما ليقطعـا به الرؤوس ويفصلا الأعناق ، لا يعلمان ماذا يكـمن وراء هذا الشعار من مصيـبة . كانا يريان الشعرة وكنت أرى التواءاتها كـانا يريان الحاجب وكنت أري شدّه وجذبه . كنت أفكر حـينا فى أن أجـد وسيلة وأرمى بنـفسى فى بلد أوروبى وأنجـو بنفسى من هذه الورطة . كان هذا فكرى وخيـالى . قررت عمليا أن أتعلم لغـة أجنبيـة وأجعل من ضـم دماوندى هذا وخـان على وأهارى الذى زاد عليهما ذريعة وأفر هارباً .

لكن وجـه رقيـة كان يـتجلى لى فى كل مكـان وفى منامى ويقظتى . كانت هى أخـتى الوحيـدة التى أحبـها . ولماذا لم تكن رقيـة هذه من بين المحجـبات أولئك . كان بإمكان رقـية أن تصير عـدواً . واحدة من أولئك الذين كانوا يهتفون (الموت للشـاه) ويطالبون (بالانتخابات الحرة) . هل يمكننى أن أتخيل أيضا أن ينقلب الـوضع يوما وتغدو رقية مسؤولاً بـوليسيا وأصير أنا السـافاكى أسيراً ورهينة لديهـا ؟ هذه الأوهام لم تكن تفارقنى .

كنت أرى أحلامـاً فانتفض من نومى بسـبب كابوس وكنت أرى رقيـة وقد عقدت رأسها بطرحة المحجبات وبوجه غضوب ومفزع تمسك بالبندقية وتريد أن تقطع عنقى بمنجلها .

أضعت أياماً في البـحث عن رقية بين القتلى والمعتـقلين . ألقوا بالقتلى فى خندق خارج المدينة بعيدا عن عين العـامة . سمعت أن من بينهم كانت قتيلتان . لكن جسديهمـا لم يكن من الممكن العثور عليهما . كان من بين المعتقلين قليل من النسوة والفتيات . فـرجوت المستجوبين وتمنيت أن يبحثوا عن رقية ضـمن استجوابهم وتحـقيقاتهم عن الأسـرى . لم نجد لها أثراً . أصابنى القنوط والاضطراب . أحسـست بأنى أخر متهالكاً .

ومـا إن أرسلت الطالبين إلى فـرنسا حـتى أخـذت إجازة لبـضعـة أيام واتجهت بلاتفكير إلى منزل والدتى واستـجممت به . لم أعد أرى طفلىّ . كانا عند جدهمـا لأمهما . ولـم تكن لدى الجـرأة أن أتفوه بشئ عن أختى لأمى التى بدت غير مهتمة عن عـمد أو جهل . كانت تجلس القرفصاء فى ركن الفناء على شفا الحوض تفكر . كـانت تدعو الله بأول الصلاة وكانت حينا تناجى نفسها وكنت أسمـعها تقول (يا ربى أحفظ ولدىّ . اللهم إنى استودعـتك أبنتى . ربّ إن قضـيت أن تحرمـنى من ابنتى فاقـبض روحى أولاً . .) .

احـترق قلبـــى . إقـتربت إليها وسألتـها : ألا تعرفين خبراً عن رقية يا أمى ؟ ط

فأجابت : لا ، إنما أتى من فترة واحـد بهذا المصحف إلىّ . عرفت فى آخره خط رقية الذى يحمل إهداءه لى .

لم يسفر بحثى عن شئ ، ظلت أسـئلتى عن زمان إهدائه ومكانه ويومه وشهره وساعته ومع من كانت رجلا أو إمراة ، ظلت كلها بلا إجابة .

لم يكن لدى أمى خبر عنها من أى مصدر وكانت تدلل على فطنة القرويين هذه وتأثيرها على مصير أختى . لكنى تيقنت على النقيض من أن رقية والمحجبات الأخريات هن جميعا من قماش واحد وما هدية القرآن المجيد لأمى إلا علامة أرادت أختى بها أن أفهم أن علىّ أن أحسب أمرى أكثر وأن أنجو بروحى من هذه المهلكة سريعا ، خاصة هذه الأحداث التى كانت تبتدى فى عجز الجهاز حتى الآن عن التنبؤ بها وظل الجميع أمامها مبهوتين .

الشخص الوحيد الذى ظل واقفا صلباً أمام هذه الأحداث ولم يقطب جبينه كان الشاه كان فكره منصرفاً إلى رفاهية الشعب وراحته . كانت أكثر المشاكل فى نظره الإصلاح الزراعى . يجب إرضاء هؤلاء القرويين الذين قاموا بالقلاقل فى المدينة ويجب تقسيم الأرض على الفلاحين بأقصى ما يمكن من جدية . أمر بأن يتم هذا بأسرع ما يمكن ، يلزم الاستعانة بالفلاحين ذوى المعدن الطيب وتمليكهم الأرض بدلاً من سكان المدن الساخطين والعمال الذين كانوا يشاغبون تحت تأثير الشيوعيين ورجال الدين . أعطاهم الضمانات لكى يدفعوا ديونهم مقسطة على خمس عشر سنة . أسس الجمعيات التعاونية فى القرى ووزع بنفسه سندات الملكية على فلاحى البلاد . ولتسهيل المهمة وضع المواد الست للثورة البيضاء ونفذها . أعلن أن البطالة أمر غير شرعى . دخلت كافة غابات إيران فى ملكية الشعب . شارك العمل فى أرباح المصانع . تشكل جيش العلم لكى يطبق قانون التعليم الإجبارى وغير ذلك كثير . أضيفت إلى هذه المواد فيما تلا مواد أخرى . لم تخف على أحد نية الخير للحضرة العليا . أما إذا لم تنفذ كل هذه المقررات والإصلاحات فلا شك أن الذنب يقع على عاتق

الشيوعـيين وكبار الملاك ورجال الدين الذين كانوا يعـرقلون التنفيذ فى كل مكان وكانوا يستأصلون بدون أن يعلموا شأفتهم هم .

باع كثرة من الملاك عن طـيب خاطر أملاكهم إلى الفلاحين واقـترضوا من البنوك وبدل أن يسـتـثمـروها فى الصناعـات الجديـدة أرسلوها للبنوك الأجنبـية . بضـعـة من هـؤلاء الملاك الكبـار كان يعـد بعـد ذلك من بين المليـونيرات المعـروفين بإيران . كـانوا أفراداً اسـتطاعـوا جلب رؤوس المال الأجنبى والخبراء والاعتداء بمساعدة العسكرين على أموال الناس وشارك فى هذه المؤامرة أيضـاً رجال الدين ملاك الأراضى وحـاولوا أن يبطلوا القوانين العادلة . تجمع عـدد من العلماء فى ضريح الإمام عـبد العظيم ونادوا بآية الله الخمينى (إماماً) .

شكّل عدد من الشـباب الباحث عن الشـهرة (المؤتمر الشعبى الكبـير) وأعلنوا أن قوانين الاصلاح الزراعى وسيلة لتـقوية الكرامة الوطنية والارتقاء والاعتلاء وكانوا يرومون تحت ستار تأييد الشاه أن يلتقفوا زمام الأمور وكأن المنافقين والأشرار كانوا يقصرون !!

وبعـد حوادث (خـرداد) ببضـعة شـهـور بدأ طلاب جامـعة طهـران مظاهراتهم وكـان من الممكن أن يتصـاعد الموقف إذا لم يُلقَ بالقـبض على بضعة منـهم . لكن هذه الإضطرابات كانت تنسب إلى الشيوعـيين وكانت تعد بلا أهمـية . لكن فى العـام التالى فى شهـر خرداد ارتفـعت أصوات جمـاعة من (حجج الاسـلام) فى المدن المختلفة وأجبـر اعتقـالهم رجال الدين الآخـرين على التحـرك والاعتراض وبـالطبع لم يكن يصح أن يطلق على حـجج الإسلام اسم (شـيـوعى) أو (عـمـيـل روسـيـا) . لكن اصطلاح (الماركسية الإسلامية) بدأ يشيع على الألسـنة من هذا الوقت .

وبعد هذا بثلاثة شهور قتل شخصان كانا قد فرا فى السنوات الماضية إلى روسيا وعادا إلى إيران وكانا السبب فى نسبة مبعث هذه القلاقل إلى الشيوعيين . أطلق النار على أحدهما ومات الآخر كما سمعت من الدكتور جها نجير فى السجن بسبب مرضه أى لفظ أنفاسه تحت التعذيب . هذه الحوادث لم تكن خطيرة فى نظر الجهاز . كانت تنسب إلى روسيا . كان الذى ينسبها إلى روسيا المخابرات الأمريكية والزملاء الإسرائيليون لكن كانت نتيجة أتهام روسيا بهذه الأمور إثارة قانون الحصانة السياسية للجنود الأمريكيين . فطبقا لهذا القانون تمتع الجنود وصف الضباط والضباط الأمريكيون بكل أنواع الحصانة ولم يكن للجهات القضائية والبوليسية والحكومية والمحاكم الإيرانية حق استجوابهم أو التعرض لهم إذا ارتكبوا وجرائم أطلق المعارضون على هذا القانون قانون (الامتيازات الأجنبية) . أصدر كبار رجال الدين ومنهم آية الله الخمينى وآية اللاه شريعتمدارى فى ذكرى ميلاد فاطمة الزهراء بياناتهم وأذيعت هذه البيانات كالبرق على الناس . أقفل سوق طهران لمدة يوم واحد . أغلقت المحلات وتوقف أرباب الحرف عن أعمالهم يوما واحداً . وتشير بوجه خاص التقارير المرسلة من دماوندى وخان على واهارى عن نشاط التحالف المضاد لسياسة المستعمرين الأمريكيين وحكم الحضرة العليا الهمايونية إلى شدة هؤلاء الخصوم المضاد إلى حد أنهم - كما يقول خان على - عجزوا عن مواجهتهم . ولما أراد آهارى الدفاع فى إحدى جلسات الطلاب ضربوه ضرباً مبرحاً بقصد إهلاكه، بلغ الاضطراب العام مبلغاً جعل بضعة من نواب المجلس المتفخين غروراً يستجوبوا المجلس ويستوضحوا الحكومة .

وكان رئيس الوزراء شاباً متبهرجاً غِراً متأنقا وكان قد رأس الوزارة

بعـد المؤتمر وقام بتـهديـد الشيـوخ الطاعنين بالمجلس ، ولكى يسـتعـرض عضلاته نفى إلى تركيا آية الله الخمينى بتهمة (التحريض ضد مصالح الأمة وأمن البـلاد واستـقلالهـا وسيـادتها) . انتـشر هذا الخـبر فى الصـحف الحكومية، اعتـقل بعد نفى المذكور فى ١٢ آبان (١٣٤٣ هـ ١٩٦٣م) عدد من رؤساء السوق ورجـال الدين . أصيب العاملون بالجهـاز بحمى تكثيف النشاط وكانوا يشـعرون أن الأمور تخرج من أيديهم . كـانت الثورة تسرى أيضا فى البلاد الأخرى . أعلنت حالة الـطوارئ فى كافة القوات العسكرية فى أغلب المدن . وفى نفس ذلك اليوم كانت الناس قد تجمعت فى المساجد بقصد إلغاء قـانون الحصانة السياسية للعسـكريين الأمـريكيين واعتراضاً على نفى آية الله الخمينى . وفى نفس اليوم ذاك جمع الرئيس العام للجهاز وهو اللبق غير المبالى كافة موظفيه فى القاعة الكبرى فى المبنى وشجعهم وشجع مرؤوسيه ضمنا ومن وراء ستـار - على المقاومة . لعله كان يخشى أنه من الممكن أن تقع أزمة الشعب فى يد الجيش .

كان يريد فى هذا الاجتماع أن يحول دون ذلك . كـان الدكتور جهانجير يجلس على يمينى والدكـتور بـيجن على يسـارى وكلاهمـا مطأطئ الرأس وحينا يستـرق أحدهم النظر إلى الآخر ، وكان سيادة الفـريق جالساً بصف أمامنا مرفوع الهامة متعجرفا . كأنه تنبأ بهذه الأحداث وكان يروم أن يفهمنا أنه إذا تولى رئاسة الجهـاز فبإمكانه القضاء عـلى كل الفتن والقلاقل ، قال لى الدكتور جهانجير : لا قدر الله أن يتولى الرئاسة هذا الجلف وإلا حل بنا جميعا الشقاء. كنت أريد أن أجعله يتحدث . سألته (كيف ؟) .

- سوف أحكى لك فـيما بعد . احـترس لنفسك . لا تبتـز أحداً هذه الأيام) بأى جواب أجيب ؟ سألته (ماذا حدث ؟) .

- الأمر فى منتهى السوء كنت تستجوب حتى اليوم بضعة أولاد شيوعيين مطيعين . أما الآن فرجال الذين اللدهاة المحنكون يحضرون تحت أقدامنا . اسمع ، أنظر ما يقول . تعلم أن هذا يهمنا ، وبعد انفضاض الاجتماع سرت بجانبه بغير تكلف .

- ماذا حدث ؟ .

- ألا تقرأ تقارير الطالبين بدقة ؟ ليس الروس الآن هم الذين يكنون ما تحت أقدامنا . يبدو لى أن الانجليز والفرنسيين والألمان اتفقوا معهم . فهم غير راضين كثيرا بهذا القانون . هل عرفت عن رقية خبراً ؟ .

- لا شيء . هل سمعت أنت شيئا ؟ .

- قبضوا على بضع نسوة هذه الأيام . من بينهن بضع فتيات فى عمر رقية . أذهب وقابل من يستجوبهم . لعلك تعرف عنها خبراً .

استفسرت منه عن أسماء هؤلاء المحجبات . لم يكن يعرف أو لم يكن يرد الإجابة . ربما كان يريد أن يحيرنى .

قال : كلهن بهذه الأسماء : سكينة ، رقية ، زينب ، طوبى .. ليس معنا تحقيق شخصياتهن ، ربما يكون اسم هذه الأخيرة صحيحا .

لم يكشف لى سبب اضطرابه إلى هذا الحد . كان سهلاً على رجل قليل التجربة مثلى أن يدرك أن قلوبهم تعج بالقلق . هذا صحيح لكنى لم أكن أشعر بعد بخطر يحوم حولى . تابعت موضوع رقية ذهبت أتحرى عن المنقبات المعتقلات . وصلت مباشرة إلى موظفى الاستجواب والتحقيق كانوا جميعا يعرفون بقضية رقية . وصلت إلى نتيجة مؤداها أن الدكتورين زميلَى عملى أحاطاهم علما بحادثة اختفاء رقية إما بدافع المواساة أو بفكرة

تدبير مكيدة لى . أعطونى الملفات كان يمكن من خلالها اكتشاف أن النساء والفتيات القليلات التجربة أدلين بأقوالهن أو اعترفن فى بضع ساعات أو بضعة أيام . كان من المعلوم أنهن وقعن تحت ما يمكن تصوره من الضغوط بالوقاحة أو بالسب أو التعذيب والضرب حتى اعترفن . أما هؤلاء النسوة فلم يكن عندهن غير إيمانهن لم يتصلن بأحد . اشتركن فى هذه المظاهرات بتشجيع المشايخ فى أحيائهن قال المشايخ : اذهبوا ولكنّ الثواب . لم يكن لديهن شئ يعترفن به غير هذا . كن لايعرفن أيضا أسماء مشايخ أحيائهن . كانوا اعتقلوا أكثر من خمس وعشرين امرأة وفتاة متحجبة ومنقبة وأطلقوا سراح نحو عشرين منهن بعد يومين أو ثلاثة وأخذوا فى حسبانهم أن يفرجوا عن الأربع أو الخمس الأخيرات منهن أيضا طبعا بعد تسلم الأجر والمال الذى كان يبدو لهم ضروريا حسب استطاعتهن) . أمضيت أياما عدة من الصباح إلى آخر الليل أدرس الملفات . لم أخرج بشئ حققت بدقة الأشياء التى استلبوها من منزل « طوبى » وجدت صورة لجلسة قراءة روضة ظهر فيها بضع من النساء المنقبات وبضعة من الشيوخ كان البارز الملامح هو قارىء الروضة وحده وكان الآخرون جميعاً يجلسون بعيدا عن آلة التصوير . لم يكن يبدو من عباءاتهن السوداء غير ملامح أجسادهن ومع هذا فقد تصورت أنه يمكن أن تكون رقية واحدة منهن ، حتما لم يكن أكثر من خيال لكنى كنت غريقا أتلمس قشة تنقذنى من حلقوم بحر زاخر قاتل . لو أنى وصلت إلى أثر لرقية لهربت فى ذاك الوقت ولأنقذت نفسى من مصيبة كان من الممكن أن تحطمنا جميعاً . لكنتى لم أصل من خضم كل هذا الاستجواب وقراءة الملفات والتحقيق إلى وسيلة تحفظ علىّ توازنى .

مضت الشـهور . كنت برمتى فى تلاطم وخوف . جـاءتنى الأنباء بأن أسـافر إلى أوروبا لبـحث أمور أحـبـابنا الثلاثة : أهارى ، خـان على ، دماوندى . لم استسـلم . لم أوفر بعد قدر ما يمكنّى من الاستـمرار بضعة أيام فى أوروبا كنت على علم بأن الدكتـور جهانجير كـان يذهب دائماً إلى البنك ويغير أمواله إلى الدولار والفرنك . أصـبح سيادة عريف أول جاهل عميلاً يتردد على البنك الآن وله حـساب فيه ويفعل كما يفعل الكبار. لكنى خالى الوفاض . سيارة عاجزة ومنزل به أربع غرف نوم مشترى بمبلغ عظيم مقـترض من البنك . كنت انتـقلت لتوى إلى نيـاوران . وكنت أدفع أيضا النفقات الشهرية لولدىّ . لم يكن لدى مال فائض أغيره عملة صعبة . ولو وصلت أوروبا فلن أعود منها قط . فى نفـس الوقت لم يدعنى التفكير فى السفـر إلى أوروبا أهدأ . فبعد ثورة خـرداد واشتداد نشاط الطلاب اقـترح علىّ السفر إلى ألمانيـا للتفتيش عليهم . رفـضت وتعللت بأن من الأفضل إيفاد مـن يتقن الألمانيـة إلى وكر تخـريب الطلاب هذا . لم أكن أعلم أن المنافسين المستترين والظاهرين يودون تحطيمى أو أن نجاحى فى المهمات التى أنيطت بى ، بسبب خدمـتى المخلصة من اعتقال الأساتذة فى الجـامعة إلى تحولى إلى وسيلة يسرق بها الآخـرون وحسن موقعى عند المدير العام لإدارة الشغب واستـئناس طالبين كانا يعدان الآن من المساعدين المتمـرسين للجهاز بين الطلاب فى أوروبا ، هذا النجـاح حدا بالرؤساء تكليفى مهمات أكثر صعوبة . حقـا لو لم تكن أختى رقية (ربنا ياخدها) لكنت الآن مـحترما ولاستطعت أن أكوّن لنفـسى فى لندن أو لوس انجلوس مكانة جلية . لكن هيهات . قيد ربط به عنقى حبيب . . . علَىّ أن أتوقع وأنا بقدمى العرجاء وبقلمى المكسور أن يجيب أحدهم ، على كتابتى التهديدية ويلقى إلىّ بالماء والحبّ حتى لا أقضى نحبى بعد أحـداث (خرداد) والثورة أخذت العلماء

يُطيِّرون كل يوم بالشرر وكان الجهاز يفهم من كل جماعة تثير الجلبة كم كان متخبطاً وأنه بالغ فى مطاردة فلول الشيوعيين ولم يحسب حساباً للعدو الحقيقى الذى يقبع مستتراً فى أعماق المجتمع الإيرانى . سائقو التاكسيات يضربون أيضا ولا يخشون الاعتقال والتعذيب . العسكريون أيضا يتجرأون بهدف إهدار كرامة الجهاز على الدفاع علناً فى المحاكم العسكرية عن المعارضين الذين يعدون أنفسهم طلاباً مدافعين عن الحرية . والأسوأ من هذا كله قتل رئيس الوزراء الأنيق المتهندم قبل عدة أيام من صعود أهارى وخان على ودماوندى إلى الدرجة الأولى لسلم الترقى . وبداية قضية الحزبيين سقط جريح بإحدى طلقات المعارضين أول شهار بهمن ١٩٦٥ (١٣٤٣) كانت هذه الرصاصة فى قلب الجهاز . لقد أبلغوه هذا المنصب وكان هذا جزاء ثورته على الشيوخ الطاعنين من النواب .

ألقت المحاكم العسكرية الرماد فى العيون وفى الباطن القبض تم على بضعة من الضباط بتهمة (الاشتراك فى مؤامرة قتل رئيس الوزراء والإعداد لثورة مسلحة والتجسس لحساب الأجانب) وأصدرت ضدهم أحكامًا بالسجن المؤيد والإعدام .

الدكتور جها نجير نفسه أسرَّ إلىّ قبل تولى رئيس الوزارة الأنيق منصبه : (الذنب ذنبنا . هذا السيد كان ربيبًا معدًا لجماعة كانت تريد خداع الحضرة العليا وتتولى زمام الأمور . كان الجهاز قد عينه لهذا الهدف قبل أن نتدخل نحن العسكريين أثناء سنوات دراسته فى أوروبا . أجل الذنب ذنبنا ، ليس الدرس عمل كل تيس . . يريد الثور ذلك والرجل المتمرس-أُف) .

لم يكمل كلامه . كان يريد أن يقول إن بختيار عزل ولم يستمر . ولو استمر ما رأينا هذه الأيام .

ومنذ أن عَزَل الحضرة العليا بختيار أخذت أسمع من هنا وهناك أن كثيراً من رؤساء السافاك أقيلوا من مناصبهم فى الأقاليم وفى أوروبا وأمريكا أو خفضت درجاتهم . لكن هذا التعديل كان أمراً عاديا فى نظر زملائى . إن مثل هذه المحسوبيات تطرأ فى كل إدارة ووزارة فلماذا لا تحدث أيضا فى الجهاز ؟ وأخذت أسمع تدريجياً أن هذا العزل والتعيين له جانب سياسى وأن شيئا يحدث وراء الستار ليس بمقدور شخص مثلى - له خدمة بضع سنوات سابقة دون الدرجات التى لدينا - أن ينتبه إليه . كانت قلة من الناس مثل الدكتور جهانجير الذى أتى من الجيش برفقة بختيار وكان موضع سره ومخلصاً له تظهر إشارات لايمكن لغير المحنكين أن يفهموا من خلالها أى نار تختفى تحت الرماد . خاصة وأنى أثناء دراسة ملفات الطلاب فى أوروبا (أذكر أنى أصبحت بالتدريج متخصصاً فى الأمور الطلابية) كنت أسمع وأقرأ أن بختيار لم يكن يجلس عاطلاً فى أوروبا وآسيا وكان يدبر المكائد ضد مصالح البلاد العليا . حتى أن الشائعات أخذت تنتشر أيضا بين الطلاب التابعين للجهاز . وفى صيف (١٣٤٤) أخذت إجازة لمدة شهر واتجهت إلى سويسرا .

ذهبت فى البداية إلى جنيف وقدمت نفسى إلى (مملوك) الذى يراقب حسابات ممتلكات الحضرة العليا فى البنوك وفى المعارض وفى الشركات التجارية وكان رئيس السافاك فى هذه المنطقة . كان يعرفنى بسبب إشرافى على الشباب الثلاثة الموالين للسافاك . أدركت على الفور أن التحرى عن طلاب الاتحاد الذى كان يصل من كل موضع إلى السفير المتنقل للحضرة العليا فى جميع أرجاء أوروبا كان يوضع تحت تصرفه . ولم يكد يصل حتى أخذ يشكو : أحبازك هؤلاء ليس لهم عمل هنا غير تضييع أوقاتهم فى

البطالة والكسل . لو أردنا أن نجند من هؤلاء الصبيان مائة غيرهم لأمكننا . حمّلتنا كل هذه النفقات الباهظة . كان الهدف أيضا أن يدرسوا . أهاري أحدهم له حتى الآن ست سنوات وهو يدور عاطلاً . طبعا لابد أن أقول أن هذا هو فقط من جنّدته . لكن هذين الآخرين إنتاجك ليسا أفضل من الأول . طبعاً يقومان بالخدمة وتحت تصرفنا معلومات كثيرة عما يجرى بداخل اتحاد الطلبة والخلافات الداخلية بين المتحزبين والجبهة الوطنية واليساريين غيرهم جمعها هذان السيدان . لكن آخرين يرسلون إلينا أيضا هذه المعلومات . .

ذمّ دماوندي وخان علي بأوسعه الذم . أصابني بالإحباط . لم أفهم هل كان يريد أن يعرف دهشتي أم كان مستخفا من كسلهم وتصرفاتهم الحمقاء . صحت على أن أحيط بالأمر برمته ووعدته بأن أعرك آذانهم في أول فرصة أدرس وضعهم لو وقفت على إهمالهم في أعمالهم .

وعلى النقيض من هؤلاء مدح كثيراً من يسمى (آزمايش) لذكائه ولشجاعته المفرطة وعدم تهيبه من أي شئ .

فسألته (من هو آزمايش ؟) . وتذكرت آنذاك أنني سبق أن رأيته في طهران أثناء ضيافة الطلاب في إيران . قلت : أليس هو من رفض الشرق وقدم إلى الغرب وكان هو نفسه . قضيت بضعة أيام في جنيف وانتقلت منها إلى باريس واستدعيت خان علي في فندق (برزيدان) فهم حديثا فقط أنه صار سافاكيا وأنه يقوم بأحكام نظام الشاه كان متحمساً جداً وكان يؤكد بنفسه على أنه حزبي للنخاع وأنه المدافع الدائم عن لاتحتهم ولكن ليس إلى حد أن يغضب الجبهة الوطنية والأحزاب الأخرى منه . وكانت المعلومات التي زودني بها عن اتحاد الطلاب هامة . من بينها أن أعداد

الفتيات فى زيادة مستمرة وأنهن يُجتَذبن بسهولة بدافع وقوعهن فى حب الطلاب فى نفس أعمارهن حديثه نحو الحرية التى نلْنها بسبب ابتعادهن عن محيط أسَرهن ، تستوى هذه الحرية فى المجال السياسى أو من ناحية وضع حياتهن . فكثيراً ما حدث أن كان الفتيان والفتيات يشتركون فى نفس المسكن والمخدع . وتعد بضعة من هذه الفتيات الآن من بين النشطات فى الاتحاد حتى أنهن أنفسهن يتولين المهام . وأهم نقطة فى تقريره كان ذكره اسم فتاة تدعى (ملكة) ظهرت وسط الطلاب من ستة أشهر ويقال إنها أتت من فلسطين واتجه فكرى إلى رقية على الفور . مصيبة ألا تكون فى إيران أصلاً وتعيش فى فلسطين . أعملت فكرى مدققا .

من أين تعلم ؟ انظر إلى صورتها . سألت عن لون وجه الفلسطينية وعينيها .ماذا يحدث فى فلسطين ؟ ماذا يفعل يسارىو إيران فى فلسطين ؟

تذكرت كافة ما سمعت واستنتجت من أن كل الساخطين لاجئون بفلسطين وكيفوا أنفسهم على حياة العسكرية فى ظل ظروف قاسية يتدربون فيها على أساليب الحرب الأهلية ويتنقلون بين البلاد العربية والإسلامية مدَّربين وخبراء. ولو صدق رأى خان على وهو أن أحد الشباب القشقائيين هجر الدراسة والتحصيل وذهب إلى (ممسنى) ليقوم من هذا البلد بحرب عصابات فقد صدق تأثير هذه الفتاة الفلسطينية . طبعا لم يخل كلام خان على من المبالغة . تحريت أكثر ووصلت إلى هذه النتيجة وهى أن الفتاة الفلسطينية أمها إيرانية وأبوها عربى فلسطينى أوفدت إلى أوروبا للدراسة فى مجال الطب وأنها لاتدرى شيئاً عن الحرب الأهلية . لكن هذه الفلسطينية أقلقت بالى . ولم أتحر الأمر من مناقشاتى مع خان على أكثر من هذا الحد . وإنما اكتفيت بأن أكلفه بلغة الرئيس إلى مرؤوسه بأن يسلمنى بعد أسبوعين

تقريراً مفصلاً عن دراسته فى مجال الفيزياء . اندهش قليلا لكن لهجتى الآمرة لم تترك له مجالاً للاعتراض .

أنا مسافر وحين أعود بعد أسبوعين عليك أن تذكر لى بدقة أى شهادات أخذتها خلال هذه السنوات الأربع التى تعرفت فيها عليك . هذا التقرير مهم جداً للاستفادة من وجودك بإيران .

قلت له هذا وتركته ولم أبين له أننى مسافر إلى ميونيخ لكى أبحث هذه المشكلة مع صديقه القديم . كان دماوندى هذا من الدهاة الكثيرى الدهاء والمكر ، وقحاً بلاحياء أو خجل . كان يطير من غصن لآخر كالنحلة ، يلسع كل زهرة ويمتصها . فى هذه السنوات الأربع من وقت أن كان يتقاضى أجراً من الجهاز لم يكن يطيق المكوث فى مدينة بعينها . كان فى باريس فى البداية ويريد دراسة الحقوق . منذ ثلاثين عاماً كان جميع الطامحين يودون دخول سلك القضاء وكانوا يتصورون أنهم يلتحقون فى البداية بسلك القضاء بدراسة القانون ثم ينتقلون منه إلى وزارة الخارجية ثم ينفتح عليهم بعد ذلك طريق الارتقاء وبلوغ المناصب العليا . لكن باريس لم ترق له فسافر إلى ليون . هناك آثر دراسة الأدب الفرنسى فرأى أن لغته الفرنسية لا تصل به درجة أن يحوز على درجة علمية فى الأدب . والأمر لا يختلف كثيراً عند الجهاز فحيثما وجد الطلاب الإيرانيون كان لأمثال دماوندى وخان على من قبله مهمات . فذهب إلى (جراتز) بالنمسا ليقضى شهراً هو إجازته السنوية . كان وسيماً بعينيه وحاجبيه السوداوين وشعره المجعد وتمكن من الإيقاع بفتاة وحملت منه . وبناء على إصرار والدها الذى كان يسبح بحمد الشاه تزوج بهذه الفتاة فعاد إلى الاستقرار ورافق زوجته إلى ميونيخ لكى يدرس العمارة بمدرسة خاصة كانت تتساهل

فى منح الشهادات ويعود إلى إيران بلـقب مهندس . طلق زوجته وترك ابنه عند والدته وظل هو فى النمسا .

أردت أن أقسو عـليه فـرأيت أن نارى المتوهجـة لا تؤثر على حطبـه الطرى. اندهشت فى البـداية رأيت أن هذا الولد التـافه الذى كان يـعارك زميـله من أجل جهـاز مبه وأنا الذى أتيت به من الحـوارى رأيته يقـارعنى الحجة بالحجة ويناطحنى . كان يتـفاخر بأن أباه من المقربين للشاه ويمكنه أن ينزل أشد العـقاب بأى نذل . لم يطل الوقت حتى أدركت أن مهـتم بأمور أخرى ولا يهتم بتـهديدى ووعيدى أدنى اهتمـام . لم يكن فى الأصل يعد ضـروريا أن يسلمنى تقريرا عـن نشاطه . كـان يقول ويفـهمنى بالإشـارة والتلميح بأن ذوى رتب أعلى منى يحيطون بما يفعل ولا يعد لازماً أن يترك تحت تصرفى - وأنا فى إجازة - تقريره البالغ السرية .

فالحت (مملوك) فى الموضوع فرأيته هو الآخر يظهر عنترياته . لم يصل بى هذا الطريق إلى هدفى . وبمكالمة تليفـونية مع الدكتور جهانجـير نصّبت نفسى مفتشاً لوزارة التعليم ، وأدركت فى مكتب السفير المتنقل الشاهنشاهى والذى يبحث جوازات سفر الطلاب أن بعضهم له اتصال وأعمال مع الفريق بختـيار الذى كان يـقطن إذ ذاك فى جنيف ، فأعددت تقـريرا مفـصلاً عن نشاطاته .

عدت إلى طهران وبدون أن أذكر شيئا للدكـتور بيجن وجهانجير اتجهت الى نائب الرئيس العـام وقدمت التـقرير المفصل لنـشاط الجمـاعة المشـايعة بـختيار خـاصة من هم من الطلاب وأظهـرت كيف أن دعايـاته السياسـية تتحول إلى صراع مسلح بالتدريج فى أوروبا وقمت بتلميح قليل لما حصلت عليه من خان على وأهارى وغيرهما عن مسؤوليـة أتباعه عن القيام بتفجير القنصلية الإيرانية فى ميونيخ وبينت أننى حُلت دون تفجير قنبلة كانت على

وشك تدمير مبنى المركز الثقافى فى باريس وكان النائب أثناء حواره معى يتصفح تقريرى ويستفسر منى عن آخر درجات دراستى وأخذ يشجعنى على إنهائى للدرجة الدكتوراة . الخلاصة أننى استوليت على لبه وزادت أكثر ثانية مكانتى واحترامى على مكانة عُرفَاء الجيش هؤلاء وعلى احترامهم ومعلوماتهم وذكائهم وخدماتهم . وكانت أولى نتائج ما حصلت عليه أن (مملوك) صار مغضوباً عليه ولم يعد إلى إيران من بعدها ورحل إلى أمريكا ومعه مدخرات وفيرة من العملة الصعبة . ولما أنى أطلعت على أسلوب عمله وهو نفسه يعلم ما فعلته من حيل بها كشفت عن كل دخائله لذلك فقد أصبح من أولئك الذين يلزمهم أن يداهنونى فقررنا أن يودع شهرياً مبلغا من المال فى حسابى فى بنك فى سويسرا . والحق لابد من الاعتراف أنه نفذ هذا التكليف بإخلاص حتى وقتنا هذا . وكان من ضمن الامتيازات التى حصلت عليها بعد مقابلتى للنائب أنه سمح لى بأن يوضع تحت تصرفى البحث فى الملفات البالغة أقصى درجات السرية بمكتب الرئيس العام ، كان من صلاحيتى أن أبحث فى كل ملف بموافقة نائب الجهاز وأن أتخذ القرار فيه وأقدمه بعد أخذ رأى النائب . حتى ملفى أنا وأختى رقية كانا تحت تصرفى . لابد أن أذكر أنه لسوء الحظ لم يكن شئ يستلفت النظر فى ملف أختى غير ما أطلعتهم عليه أنا نفسى . حين سمح لى بتحرى ملفات الضباط كان قد مضى على دخولى الجهاز سبع سنوات وبضعة شهور . ولم يكن مثل هذا الإذن يمنح لأى شخص. كان عمرى وقتها اثنين وثلاثين سنة . لكن نجاحى العظيم فى أحداث الجامعة وتقريرى عن نشاط بختيار وضعنى موضعاً آثار علىّ حسد بعضهم وحقدهم وفى نفس الوقت جعلنى موضع ثقة رؤساء الجهاز . كان الجهاز مركز القوة فى سائر البلاد فى عهد رئاسة بختيار . يقال إن أحكامه كانت أكثر نفاذاً من قرارات الحضرة العليا نفسها . كانت جميع إدارات الدولة والوزارات والشركات

التجارية والبنوك تحت أمره . كان يكفى أن واحداً مثلى يتفوه بكلمة عن أن المدير العام الفلانى من المعارضين فلا يمر وقت طويل حتى يصير أكل عيشه نَهباً للضياع وكان عدد من يماثلنى كثيراً . كان بالجهاز خمسون ألف عضو فى قول وإذا تحريت الدقة فقول شيخك الذى كان يزعم أنه سمع هذا العدد من الإذاعات الأجنبية . لكن هذا محض افتراء . لأن الحضرة العليا نفسها تفضل ذكر أن الجهاز يضم ألفى عضو . وذكر السيد رئيس الوزراء أن عددهم ألف وخمسمائة موظف وكان يقصد بهم الموظفين الرسميين بالجهاز ، لكن عدد الجواسيس لاشك كان يفوق هذا العدد كثيراً ، أنا نفسى حين كنت فى لندن كان لدى على الأقل ثلاثمائة من الجواسيس وسط الطلاب والأساتذة الذين كانوا يأتون إلى أوروبا للدراسة وكان كثير من الجواسيس يعملون فى البنوك وشركات الطيران وشركة (إيران تورز) السياحية وتليفزيون إيران والشركات وغيرهم من المتسكعين الذين كانوا يتظاهرون بأنهم تجار . كان مكتب السفير المتنقل فى جنيف يضم على الأقل ألف جاسوس فى آخر عهده .

قرأت فى ملفات الضباط أن المنحرفين والشيوعيين كانوا يروجون أن رئيس الجهاز شيدّ لنفسه منزلاً يقدر بمليون دولار وأنه جمع أموالاً ضخمة فى ظرف بضعة أعوام واشترى الأملاك فى كل ضواحى إيران وله بيوت فى جنيف وكاليفورنيا . وفى إحدى الحفلات الخاصة تحدثت فى هذا الموضوع فى جلسة خاصة مع الدكتور جهانجير فقال : كل هذا من أكاذيب أعداء إيران . وإن كان صدقًا فهذا من حقه . عليه أن يدير بلداً فى اتساع إيران . كل منا له نصيب فى هذا البلد . مسؤلية رئيسنا فرح من الجميع . بغلطة واحدة ينقلب . إذن فلابد أن يكون أجره أضخم .

تذكرت حديثاً جرى منى فى أحد الأيام مع رقية فى حضور الملازم فرزان الذى تولى رئاسة قسم شرطة فقد احترمت الجدال بين رقية وفرزان . كان الحديث حول الحكومة الجديدة التى كانت تريد القيام بالإصلاحات تمنع

الفســاد والارتشاء وكانت أعلنت مــرة أن الاغنياء عليهم أن يعطوا الفـقراء عُـشْرَى ثرواتهم وإلا فـلن تنصلح الأحـوال . تولى رئيس الوزراء هذا فى أوائل عام (١٣٤١) ولم يطل به الأمر حتى حلّ المجلس النيابى وكان أغلب نوابه من الملاك الكبـار حتى لا يحـولوا حسب رأيه دون الإصـلاحات فى البلاد فـمن الطبيـعى أن يعارض هؤلاء المـلاك الحكومة الجديـدة ويروجوا الإشاعات بأن الأمريكيين يضغطون على الحضرة العليا الهيمايونية ويدافعون عنه.

وتقـدم وزير بنفس تلـك الوزارة خطوة وقـال : إذا فـشلنا فى تنفـيـذ الإصلاحات سلمياً فلسوف تنفجر فى المستقبل البلاد برمتها . وظهرت بعد ذلك من نفس هذه الأقاويل نفـسها (الثورة البـيضاء) . كانت رقـية تهزأ بالاصلاحات وتقـول : إنهم يستغلون الشعب جيـدا . هل أفاد أحد بشئ هؤلاء الإقطاعيون حتى يومنا هذا حتى يفيدوه بشئ الآن ؟ .

كان فرزان أكثر حذراً . وهكذا استنتجت أنه متفائل خيراً برئيس المنظمة وكـان يؤمن بأنه لو أنيطت بــه كل الأمور ، لكــان من المؤكـد أن تتيــسر الإصلاحات .

كنت أشجع مـثل هذه المناقشات حيـثما كنت أستطيع . طبـعا لم أكن أقـصد التـجسس على أسـرتى كنت أعـتقـد بضرورة جس نبض الشـعب والوقوف على آرائهم . وكان فرزان بدوره لا يتحاشى الإدلاء بآرائه مع أنه كان يعـرف قليلا أو كثـيراً بعملى وشـغلى خاصة أن كـلاماً فى نفس تلك الليلة تفوهت به أمى كـان كبير المغزىّ لـدى . قالت : - فرزان هذا رجل طيب . عيبه أنه يحب بختيار ويتابعـه بحرارة حتى أنه يتحدث فى السياسة فى بيتنا فسألتها : كيف يا أمى ؟ .

قالت : - أنه لا يحب قط الشاه . يود أن يكون بختيار كل شئ .

غصت فى التفكير . كان الحديث يجرى كذلك عن الجمهورية .

من خلال ملفات الضباط والتحقيقات والاستجوابات معهم .

حقا كان بختيار فى ذاك الوقت لامعًا جداً على صفحات الجرائد وكانت صوره فى كـل مكان وتفصيـلات الأحاديث عنه مـن أنه سافر إلى أمـريكا والتقى بكنيـدى وكان يذكر هنا وهناك فى كل وقت رئيس الجـهاز ، وكان موضوع الإصلاح الزراعى بدوره يطرح للحوار . ونتيجة هذه التقارير أعفى بضعة من الضباط الكبـار والمديرين العموميين فى الوزارات وفى الجيش من مناصبـهم . وأقيل وكـيلا وزارة وبضعـة سفراء فى أوروبـا وأمريكا وحل محلهم ضبـاط أهل ثقة من قبل الحضرة العليا . بشـرط واحد هو أن سائر أصحاب المناصب العسكريين من رئيس الأركان العامة حتى صغار القادة فى المحافظات ورؤسـاء أقسام الشـرطة بسائر البـلاد كانوا أصغـر مـن عمـر الشـاه بسنة أو اثنتين . حتى فرزان استقـال من منصبه لأنه اتهم بالتعاون مع بختـيار . لم أره مدة فى منزلنا أو وسط أصـدقاء رقية إلى أن سـمعت يومًا أنه يفكر فى السـفر إلى أوروبا . لم أسأل أحدًا من أين جـمع الثروة التى تمكنه من السفرة إلى أوروبا . كان الجميع يخشى تيمور بختيار . يقال إن علاقاته بالقبائل البختيارية تمكنه من إثارة القلاقل . قرأت فى الملفات أن بختيار سـافر إلى أمريكا والتقى مرة ثانية بكنيـدى . وصلت تقارير مفصّلة عن هذا الموضوع من الاسـتخبـارات [illegible] . صـدرت الأوامر للسفـير الإيرانى بأمريكا بأن يـتحرى مسـاعى بختيار واتصـالاته مع موظفى جـهاز الاستخبـارات الأمريكىّ . لم أجد فى الملفات ما يسـترعى الانتباه . كانوا كمن يتـحسس طريقه فى الظلام . لم يكن بالملفـات ما يروى الغليل . لم تطل إقامته كثيراً فى أمريكا . سرعان ما شوهد فى منزله فى فلوريسـان .

من نصوص المقالات التى كـانت تنتشر عن بختـيار فى أوروبا وأمريكا وسجلت فى ملف واحد بـلغ عدة آلاف من الصفحات كـان يظهر بدقة أن الصحـفيين كانوا يتعـقبونه فى كل مكان . كـان جمع غفـير من الإيرانيين يتـرددون عليه فـى منزله . كان الطـلاب يأتون لزيارته أفـواجًا من ألمانيـا

وبريطانيا وفرنسا . حتى الصحف المعارضة لإيران فى أوربا والتى تصدرها الأحزاب والتجمعات المختلفة كانت تورد أحيانًا أخباراً عنه . ذكرت إحدي الصحف أنه يحاول الاتصال بالروس أيضًا .

ذكرت صحيفة إنجليزية أن رحلة الحضرة العليا لأمريكا بعد سقوط بختيار كانت بهدف التأكد من أن كنيدى والمخابرات الأمريكية لايؤيدان مساعيه . وافق المسؤلون الأمريكيون بشرط أن تقوم الحضرة العليا الهمايونية بالإصلاحات حتى رئيس الوزراء نفسه إذ ذاك الذى ابتكر الاصلاحات كان يود السفر الى أمريكا ويتولى بنفسه زمام الأمور لكنه لم يتجرأ على ذلك فأرسل أخاه الذى نجح فى الإيفاء بمسئوليته . والحضرة العليا الهمايونية نفسها أعلن فى خطبة له أن بختيار ومعه الملاك الكبار ورجال الدين يعارضون الإصلاح الزراعى وأن قتل أحد موظفى الاصلاح الزراعى فى فارس كان نتيجة مؤامرة من مؤامرات بختيار . كان نفوذه إلى هذا الحد يصل أبعد بلاد إيران .

وكان يبدو للناظر بعد سنتين أو ثلاث أن بختيار ركن إلى الهدوء ولم يعد يقوم بنشاط سياسى لكن هذا الهدوء كان فى الظاهر . كانت الأحداث السياسية تبرز أن آثاره واضحة فى سائر أعمال التخريب. كانت الأخبار فى هاتيك السنوات تصل عنه من بغداد وبيروت حينًا ومن جنيف حينًا آخر. فقد وصلت منه رسالة إلى أحد أقاربه ويسمى (سردار) أثارت الجلبة والضوضاء . فسلّم هذا البختيارى من فزعه الرسالة إلى الجهاز فطلب منه أن يستمر فى مراسلة بختيار لكن هذا الرجلِ كان جبانا وكان يَعَد فى كل مرة ويتملص . وفى النهاية لم يَنْصَعْ للأمر . فاستعان الجهاز بأصدقاء زوجته وأقاربها . كان من المعلوم أنه أكثر حكمة من أن يخدع .

بعد أغتيال الوزير الأنيق تبين من التحقيق مع المقربين إلى القاتل أن أحد المتهمين قدم من بغداد وتلاقى فى جنيف مع بختيار . وبعد شهرين ونصف الشهر أطلق النار أحد الأشخاص فى فناء القصر على الحضرة العليا الهمايونية أثناء همّه بركوب السيارة فقتل اثنين من الحراس واختفى بالقصر ثم أطلق من مكمنه رصاصة على الحجرة التى كان الحضرة العليا الهمايونية مختبئًا بها لكن جسده المقدس لم يصَبْ بضرر . واعتقل ستة من أصدقاء القاتل . ومعارفه كانوا متهمين بالشيوعية ويدرسون فى بريطانيا أو كانوا قد درسوا فيها . وداخل الأوراق التى وجدوها فى جيوبهم ومنازلهم عنوان بختيار فى جنيف . وفى رحلة الحضرة العليا إلى برلين الغربية قام الطلاب الإيرانيون بالمظاهرات وسدّوا الطرق . فنشر أعداء إيران فى برلين أخباراً حول أن موظفى الجهاز هاجموا الطلاب بالهراوات وكان هذا الخبر كاذبًا بلا شك . فالعاملون بالجهاز لا يسلكون مطلقا مثل هذه الافعال الهمجية وفى الصدام مع الشرطة قتل طالب ألمانى معاد لإيران .

والآن فإن كل هَم الجهاز موقوف على البحث والتقصى ومقاومة أعداء إيران والطلاب المنحرفين فى أوروبا .

كانت التقارير فى تلك الأيام تصل من سائر العواصم الأوروبية عن بختيار واتصالاته بالطلاب والمعارضين . كان الجهاز يفكر فى تعضيد قواه فى الخارج . لم يكن يكفى ممثل له باسم السكرتير الثانى ومستشار واحد فى عواصم أوروبا كان يتوجب إعداد كوادر جديدة لمكافحة أعداء الوطن . قال لى الدكتور جهانجير فى تلك الأيام : هل تريد أن تقوم برحلة إلى اوروبا ؟ أوروبا لم اكن أعرف كيف أجيبه . كان هذا الاقتراح مباغتًا لى وكان الموقف سيئًا وكانت امرأتى حديثة الوفاة وكان ولداى يعدمان الرعاية . لم يكن بمقدور أمى فى منزلها الحقير أن ترعاهما . قررت أن أرسل ولدَىّ

إلى جدهما لأنهما فى (نَطَنْزَ) . كنا ننتظر قدوم جدهما واصطحابه لهما. وكان قـدومه يتـأجل من أسبـوع إلى أسبوع . انـتابتنى الحيـرة ، لم تكن مهمـتى معلومة . لو قلت (نعم مـوافق) كان يمكنه أن يظن بى أننى أريد أن أتركه وأسلك طريقى بدونه . سألته : معى أسرتى ؟ .

– تعليم الكادر خارج البلاد يدوم بضعـة أشهر ، ثم إنها من الممكن أن تكون بضعة أشهر فحسب ولا نعرف فضلاً عن ذلك أن بإمكانك البقاء فى مدينة واحدة والاستقرار فيـها . ربما تكون مضطراً لأن تنتقل من مدينة إلى أخرى .

فاتحت أمى وحـماتى بالموضـوع ولم يكونا يعرفان هـل هما سعـيدتان ومسرورتان أم متألمتان . وفى نفس هذه الليلة اتصلت تليفونيًا بنا أختى التى بلغت بها الجرأة يومـذاك ولم تكن تأتى المنزل لليال متعاقبـة وكانت تعترف بلا تحفظ إنها تجهز مع أصدقائها بوتيكاً مستقلا فى السوق وتريد مثل أخيها أن تنخرط في التجارة . وأفضت بخبر نبهتنى به إلى أى مدى بوغت لم يُر فرزان فى تلك الناحية من أسبوعين . ليس فى داره . اختفى تمامًا وفجأة . ولما دقـقت الفكر رأيت أن هذين الأسـبوعـين من بينهمـا هذا اليـوم الذى وصلنى فيه خبر عن بختيار من بغداد .

بحثت فى الغد عن شـيخك . هل كان يمكن الفوز به بهـذه السهولة ؟ انقضى يومان أو ثلاثة . لم أرد إطالة الحديث بالتليفون . سألته وحسب : هل لديك خبر لديك عن فرزان ؟ .

كان شـيخك هذا من الطراز الأول فى المكر والخديعـة ، أجابنى : من فرزان هذا ؟ أنا لم أسمع قط باسم كهذا ، لكنى أحب كثيراً أن أراك .

اتفقنا على اللقـاء . فى نفس تلك الغرفة من مـنزلى التى كنت قدمت له فيها الكونياك وقبل أن يصل فتحت النيش وصببت له ولى كأسًا من العرق المعتق

- هات ما عندك من الأخبار

- الأخبار سيئة . قبل أن تعيد الاتصال بى كنت أجدّ فى الاتصال بك. أختك رقيه هذه تتحرك كثيرا . ماذا تفعل ؟ .

- ماذا تفعل ؟ تريد إقامة بوتيك بمساعدة بعض من أصدقائها وتوسع من أعمالها .

- أنت ساذج جداً يا عزيزى ، أى بوتيك هذا ؟ .

- وضح كلامك . هل بلغت بك الجرأة أن تسب أختى . لأحطمن وجهك .

- لا ، لا تسيء فهمى . ليس كلامى عن تلك الأمور . أختك هذه ليست أصلاً من أهل هذه الأشياء مطلقًا . فهى من حين طلاقها من زوجها كرهت الجميع أبرارهم وأشرارهم حد أنها تسع ألفًا منهم ببصقه واحدة

- إذن ما الأمر ؟ .

- ليس عندى ما أقوله وأنت أستاذ . انجدها . تجسس على من حولها . إنهـا مختلطـة بأناس غير جديرين بالمعرفه . لا أجد فى نفسى ميلاً كبيراً إليهم .

- من هم ؟ .

- لو كنت أعلم لقلت لك عنهم . أنا معترف لك بالفضل . لا أنسى مودتك التى أحطتنى بها فى أشد أيام عمرى ضنكًا . إنهم يضمرون شراً كبيراً . مستعدون لارتكاب كل فعل . أصبت بقلق شديد . قلت لنفسى : الماء فى كوزنا ونطوف عطشى . الحبيب فى منزلنا ونحن نبحث عنه فى أرجاء العالم . أنا اتعقب أعداء الحضرة العليا لأفنيهم وأسلمهم للعدالة ، وإذا ذاك يدور خلفى أشياء خفية لا يمكن للمرء تصورها .

كنت فى غاية الانشغال ، لم يكن لدى وقت لأهرش رأسى . لكن فى ليلة حين تيقنت من غيبة رقية عن الدار غافلت أمى ودخلت غرفة أختى وأفرغت دولاب ملابسها وقلبت خزانة كتبها رأسًا علي عقب . كانت لدى خبرة سابقة عن أن الحزبيين يضللون الشباب فى البداية بالكتب والأوراق ثم يغسلون أمخاخهم ويفسدونهم كانت عيناى على وشك الخروج من محجريهما فقد وجدت رسائل ومنشورات سرية على نفس وتيرة مانجده فى ملفات المحرفين : (طريقة حرب العصابات فى كوبا) (الكفاح المسلح هو طريق الإنقاذ الوحيد) ، هل يوجد الحل السلمى ؟) ، (الكفاح المسلح ورفض نظرية البقاء) ، (ميليشيا المدينة) ، (الكفاح المسلح كاستراتيجية وتكتيك) ومئات من الأوراق الضارة التى يقضى وجود كل واحدة منها عند شخص مشكوك فى أمره الحبس بضعة أعوام على الأقل . ثم دخلت الحجرة وسألت نفسى : ماذا أفعل ؟ هل أواجه أختى ؟ أجذب بشدة ضفيرتيها وأقتلعهما ؟ ماذا أقول لأمى ؟ ماذا ستقول لى عائلة نطنزى ؟ أخذت أذرع داخل الحجرة ذهابا وإيابا لدرجة أن أمى حين فتحت بابها ورأت الأثاث المتناثر والأوراق الملقاة على الأرض لم أرها من فرط ذهولى.

– ماذا تفعل ؟ لماذا تبعثر حاجيات رقية ؟ .

– سألتها : ألا تدرين أى فضيحة فى طريقها إلينا ؟ أى مصيبة توشك أن تقع على رؤوسنا ؟ تفوهت بهذه الكلمات غير واعٍ .

أى جدوى من إقلاق أمى ؟ تمالكت نفسى على الفور وقلت : ليس من شىء . رأيت فأرًا تخلل حاجياتها . أردت الإمساك به . لا تخشى شيئا سوف أجمعها الآن . لا تقولى شيئا لرقية .

ولم تصدقنى أمى .

- لا . هناك شىء . أنا لست بهذا القدر من الغباء الذى تظننى به أنا أيضا برأسى أفكار لماذا تخفيان كلاكما عنى حقيقة أعمالكما . نجيبة هانم لديها شكوك أيضًا .

وكان اسم حماتى نجيبة .

- ماذا لديها ؟ .

- نفس هذا الشك وهو أنكما تؤديان أعمالاً لا نفهمها . نجيبة هانم تقول إن بداخل جيبيها نقودًا كثيرة على الدوام ، لكنها لا تجيبنى حين أسألها : أى بضائع تبيعينها وتشترينها ونحن لا نراها . وفوق هذا فأنا المنكوبة كم أسمع من سخافات . جيرانى والمحيطون بى يسبون فى حضورى بالإشارة والكناية الساقاك وأنا لا أستطيع التحمل . هل كان زوجى أو ابنى واحدًا من الساقاك ؟ .

ظلت والدتى طوال الساعتين اللتين أمضيتهما بمنزلها تهمهم هكذا غاضبة بأن : رقية هى الأخرى أصبحت مثلك الآن . كلا كما تخفيان أموركما عنى ثم قبعت بجوار المدفأة بركن الغرفة سبّحت بمسبحتها وانخرطت فى الدعاء وأخذت تنفث وتنفخ وتتعلل وتشتكى .

رجعتُ من فرط القلق إلى منزلى. لم أكن أدرى ما أفعله . هل أبلغ ! هل أزج بيدى أختى داخل ورطة ؟ هل يصح التستر على موضوع بهذه الأهمية . تظاهرت بالمرض واتصلت تليفونيًا بالدكتور جهانجير لأخبره بسوء حالى ومرضى وأنى من البارحة حتى الآن وأنا دائم القىء ولا أستطيع حتى زيارة الطبيب .

أقفلت باب الحجـرة واستلقيت على كرسى وشـربت كأسًا أو اثنتين من العرق . كـان مواء قطة ابن الجـيران يزعجنى . تمددت علـى السرير . لم يسعفنى نوم . لم يطاوعنى قلبى أن أجلس مكتـوف اليدين . كانت حياتى متـعلقة بحلٍ كان علىّ أن أجـده . هل أبلغ عن أختى أم أسكت . لم أدع حماتى نجيبةَ تدخل إلىّ رغـم مـحـاولاتهـا . أتت بابنى ذى العـامين والنصف والذى أحبـه كثيراً لألاعبه ويرتاح بالى فلم يؤثر فى ذلك . كان كل ما يبتلعنى هو تفكيـرى فى الرد على هذا السؤال : هل أبلغ عن أختى أم أتستـر عليها ؟ ماذا سـتقول أمى ؟ إذا أتوا فى نفس هذه الليلة وقـبضوا عليها فكيف أواجه أمى وحمـاتى ؟ هل يمكن إخفاء شىء عن الجهاز ؟ منذ أن أدرك هذا المهلهل الثياب ، شيخك أن رقيـة تمارس أعمالاً فدائية فلا بد أن غيره يدركون أيضـا ما تورطت فيه ، خاصة وأن الفتـنة كانت ناشبة فى سائر البلاد . لم أتحمل البقـاء بالبيت فى مثل هذه الأوضاع ولا الذهـاب إلى مقر عملى وأفكر فى رقية . أتت حماتى من كاشان بأخبار عن هتافات بضعة من المشايخ والطلبة داخل المساجـد واعتراضهم على قوانين الإصلاح الزراعى . كانوا يهتفون بأن الحكومـة تريد اغتصـاب أموال المسلمين وأن (الناس يسطون على أمـوالكم وأنفسكم) وإذا لم تقـبض الشرطة علـيهم جميـعا لانتهى الأمر إلى الثورة والعـصيان . وفى طهران كان السـافاك قد ألقى القبض على أحد الملاك البارزين وأبدى بعض رجـال الدين اعتراضهم على إقدام الحكومة على الاستيلاء على أراضى الملاك ولم يكن لدى الجهاز نية فى القبض عليهم ورميهم فى السجن . وكانت الأخبار تتوالى من المدن الأخرى عن نشوب ثورات أقل حجمًا وأخـذ يبدو للعيان إذ ذاك مبلغ تأثير السافاك فى إقرار النظام والأمن العام .

كـيف يتأتـى لى البقـاء فى منزلى وتمنعـنى حمـاقـة بنت من الواجب الأساسى الذى أحمله على كاهلى ؟

تصدع رأسى بسبب شدة تركيزى فـابتلعت قرصًا من الأسبرين ونمت . واستيقظت فى الفجر . نفد صبرى . غسلت وجهى ، وارتديت ملابسى . وقبل أن اتجـه إلى إدارة الجهاز تسللت إلى داخل مـنزل والدتى لكى أجمع وأرتب محتويات حجرة رقـية ولم تكد الشمس تشرق حتى رأيت أمى على باب الحارة فسألتها .

- ماذا تفعلين هنا ؟ .

قالت : صح النوم .

سألتها : ما حدث ؟ .

قالت : رقية رحلت وقالت إنها لن تأتى إلى البيت مرة ثانية .

- لأى سبب ؟ .

- من أين لى أن أعرف ؟ أنتما لا تبوحان لى بشىء. أنا غريبة عنكما . تقومان بأعـمال علىّ أن أتحمل أنا المنكوبة مـصائبها هذا ما آخـذه منكما أتت رقية البارحة إلى البيت ولما رأت أن أغراضها ليست فى مكانها جمعت حاجياتها داخل حقيبـة وقالت: لن أبقى دقيقة واحدة يا أمى بهذا البيت. لا تسألى أحدًا عن مكانى . كلكم من الظالمين . فسألتهـا : إلى أين تذهبين ؟ فأجابت : أنا نفسى لا أعرف ، لكنى لن أبقى فى هذا البيت .

لم يبقَ لدىّ مناص بعـد ذلك . كـان من الواجب أن أراعى التـسلسل الوظيفى وأفاتح الدكتور بيجن فى الموضوع ، لكنه كان ضعيفًا عاجزا يغرق فى شبر ماء ويـثير فضيحة وضـجة فلم أعره اهتمامًا ، واخـتليت بالدكتور جهانجـير وقصصت عليه الحـادثة بالتفصيل وسألتـه ما العمل ؟ . لم يكن الموضوع جديدًا على الدكتور جهانجير كموضوع أى مشتبه فيه آخر .

– فى النهاية سنعرف أين ذهبت وسوف نجدها فلا تقلق . اكتب تقريراً عنها ودعنى أفكر وأرى ما يجب عمله . تفضل وقم بعملك . مشكلة بختيار غير قابلة للانتهاء . الملاك يقومون بثورة . ألا تعلم ماذا حدث فى قم ؟

لم يكن أمامى حل غير أن أعالج الأمر بنفسى . فمن الممكن أن يكون الباعث لدى الدكتور جهانجير إلى طمأنتى أن تسوّى أموره هو أما أن تسقط أختى فى المخاطر أو أسقط أنا فهذا أمر يستوى لديه . ثم ان ما علمتنى إياه التجارب هو ألا أقتنع بمجرد الوعود على المرء أن يحيا حياته . قلت لنفسى : أحاول أولا أن أجد رقية وأجندها لصالح الجهاز وأستشير نائب الجهاز نفسه . فإذا لم أستطع فلا يجب أن تضيع حياتى هدراً بسبب أعمالها الحمقاء . سوف أفعل كل ما بوسعى فإن فشلت فليس التقصير منى

ورنّ فى أذنى كلام شيخك : لا تربط نفسك بأصحاب المناصب العليا بالجهاز وارتقى بنفسك . لا يجب أن تفصم بنت غبية جاهله حبل حياتى أو أن تجذبه إلى حيثما أحبت . لم أعد أتظاهر بعدم الاكتراث . وداومت على شرب العرق بالمشارب ليلاً فوصلت شيئاً فشيئا إلى هذه النتيجة وهى أن هذا السيد الدكتور المزيّف رجل غبى لا تتأتىّ منه فائدة كمن أمسك بذيل بقرة وسعد به أو هو مجرد خروف يروح ويجىء بمنطق التطبيع . فهل ألحقه بالجهاز من أرحل رقية والآن أتركه من اجل الدكتور جهانجير . كلا ، لا يجب أن تقف رقية حائلاً دون تقدمى . إننى دائب السعى إلى الارتباط بهذا الجزء من الجهاز الذى يتعهد تعقب المهام التى أشار إليها شيخك .

وفى مجالس شرب العرق الليلية أشرت إلى الدكتور جهانجير لأدرب الكوادر بالخارج وسألته (لا أجد بأسًا فى أن أنهى دورة التدريب على التحقيق) فكر قليلاً وثبت نظره على عينى وابتسم ابتسامة تمتلىء بالمعانى

حتى أنهـا أفزعـتنى قال (يارو) كأنك تلـعب على الوتــر الحسّـاس بسبب مشكلة أختك ؟) فقلت : لا والله ، وقـسمًا بالله ، لكنك تعرف أن بحث الملفات وحده لايضيف شيئا إلى معلوماتى . وما أحبه هو أن أنال عملاً فى الأقسام الأخرى . وفى نهاية الأمـر أنا عندى ليسانس الحقوق . وليس هذا بسبب أختى. قلت لى اطمئن بالاً فحذفـتها من دائرة اهتمامى . كل واحد معلّق من عرقوبه وبعـد مرات من الحديث مع الدكتور جهـانجير فى شارب العرق الليلية فهمت أننى لن أجد فائدة من هذا العريف أول ولا من زملائه الضعفاء . جلست وفكّرت وحكّمت ضـميرى . كنت أتلمس وسيلة أصل بها بأى شكل إلى السيد الفريق نائب الجـهاز . لماذا أصل إلى هذا الحقير ؟ لأسباب عدة . أولها أنه كان من ألد خصوم بختيار وكان على يقين من أنه لن يحقق هدفه وهو تولى الرئاسة العامة للجهاز ما بقى بختيار حيًا يرزق وثانى الأسباب أنه لا يـزال شابًا وفى شرخ الشباب ولا يعلم غير الله كم ارتكب من تزوير وغش حتى تمكن مـن الارتقاء إلى منصبه هذا مع صغر سنه والأهم من ذلك أنه كـان رجلاً شهوانيًـا لم يكن باستطاعته ترك أى امرأة جـميلـة . ولكن النسوة الحسـناوات الجمـيلات اللاتى كن يعـملن فى الجهاز لم يصلـن إلى هذا الجهاز بدون أن يظفر بهن. كنت قـد سمعت أنا بنفسى هذا من أمـراة فاتنة شاركتنى يومًا القـيام بمهمة. قـالت (كانت عيناه تحمّران ويصعد من دماغه الـدخان ويرغى يزبد ويبتلع الفريسة كالمجنون) . كان الاعتـداء على الفتيات الأسيـرات لدى الجهاز لا يتم إلا بموافقـة السيد الفريق وفى حضوره . كانت مشاهدة الاعتداء عليهن يمثل لديه نصف اللذة . وبدلاً من أن أفصح للدكتورين الزميلين كتبت سراً رسالة إلى هذا الصياد العديم الحياء والذى لابد من أن يكون صـيداً لى. فى هذا الوقت كان سائر اهتمام الجهاز ووزارة الخارجية والبلاط والحـضرة العليا الشاهنشاهية موجهًا إلى قضيـة بختيار وحوادث مـدينة قم . ذكرت فى هذا الخطاب أنى أطلب

اللقاء به من أجل عرض تقرير فى غاية الأهمية والسرية . حبكت لى خطة يمكن أن تمثل أهمية غير عادية فى حل مشكلة بختيار ونهاية أمره . ولتنفيذ هذه المهمة لا بد من تأييد سيادة الفريق ومعاونته . ذكرت فى الخطاب (لو وافق السيد الفريق على مقابلتى أنا الموظف بالجهاز من أربع عشرة سنة فى مكان بعيد عن الرقباء ، وبما أنى أؤمن بحب الوطن والشاه المعظم ، فإنى على إطمئنان من أن التماسى وطلبى سوف يقع موقع القبول) .

وأرسلت الطلب مكتوبًا على مظروفه اسمه وعنوان منزله واسمى ومحل عملى . ولم تمر عدة أيام حتى ظهر سيادة الفريق أثناء تفتيشه على الشُعب المختلفة فجأة فى شعبة نشاط الدكتورين المزيفين وسأل الدكتور جها نجير : (من هذا السيد ؟) فأجاب (إنه يارو موظف قديم ومخلص لم يسمع ما يقوله وتوجه لى وقال (تذكرت . ألست أنت الذى شاركت فى حادثة الجامعة فأديت له التعظيم ولم أنبس ببنت شفة . أراد الدكتور جها نجير أن يفصّل القول فى خدماتى فى الجهاز حين قاطعه سيادته قائلاً (يجب أن تستفيد به أكثر من هذا) قال هذا ومضى ولم يطل الوقت حتى سمح لى بإنهاء دورة التدريب على التحقيق وهكذا بلغت هدفى وهو أن أحقق فى هروب رقية من منزل والدتى .

وبعد عدة أسابيع حين كنت أهم بركوب سيارتى التى كنت أوقفتها فى ميدان يواجه مقرًا سافاكيا وقع نظر الفريق على وركب بلا كلمة واحدة وشرحت له خطتى في القبض على بختيار . وربت على كتفى مرارًا وقمت بتوصيله إلى منزله وكنت على يقين من أننى كسبت محبته . قال سيادة الفريق (ادرس مرة أخرى ملف بختيار) كان كتابا ذا حجم له وزنه قال سيادته (لسوء الحظ فنحن الآن فى وقت عصيب . يجب أن نصفى حساباتنا مع أصحاب الملل . من أين نعرف أن بختيار ليس له يد فى فتنة

المدرسة الفيضيـة أيضًا ؟ يجب أن تعد أرضية هذه القضيـة جيدًا وبدقة تامة ويحيطة شديدة . لا تتحدث في هذه المهمـة مع أحد أيًا كان . سوف أخبر بنفسى الحضـرة العليا بهذه المهمة شـفويا وأنفذها بموافقتـه فهو المعين لنا . سوف أمنح لك كافة الصـلاحيات للتحقيق بصـورة سرية . وسوف أصدر أمرى بأن يوضع تحت تصرفك كافة التقارير التى تصلنا عن نشاط بختيار).

ولم أكد أصل إلى مكتبى فى اليوم التالى حتى كانت كثرة من التقريرات القـادمة من كـولونيا وجنيف وبـيروت مكدسـة فوق مكتـبى . كان أحـد التقـارير آتيًا من الشرطة ورد فـيه أن (فرزان) أخذ إجـازة ورافق أمه إلى كربلاء . ولفت انتباهى تقرير آخر أن فرزان سافر منفردًا بالطائرة إلى بغداد وأنه ينزل بفندق (الفندق) فيها . لكن من غيـرى يقدر أهمية هذا التقرير ؟ كانت جـميع حواس موظفى الجـهاز متجـهة إلى بختيـار وهم الذين كانوا يدعون أنهم رأوه فى نفس الوقت .

أما الخـبر الذى أفزع الجـميع فقد ورد من وزارة الخـارجية ويقـول أنها طلبت نسخة من ملف بختـيار من يوم أن غادر طهران إلى أوروبا بناء على أمر صادر من الحضرة العليا الهمايونية . وفى اليوم التالي نشر فى الصحف وبث فى الإذاعات الأجنـبية خـبر مفـاده أن بختـيار قبض عليـه فى لبنان ويرفقـته شاحنة مملوءة بالأسلحة وأنـه فى السجن ينتظر المحاكمـة . كانت الجرائد تنشر جـرائمه بالتفصيل وتـطلب من حكومة لبنان تسليم هذا اللص المختلس الزانى . وكانت أنباء الاتصالات الدبلوماسـية السرية أيضًا تتسرب إلى الصحف . وأخذ يتـضح بالتدريج أن الحكومة اللبنانية لم تكن مـوافقة على تسليـمه . انبـعثت الضـجة فـى كل مكان من العالم بعـدم وجـوب تسليمـه . بل إن كاتبا فرنسيـا معروفًا كـان يدافع عن طلاب الاتحاد أعلن سعادتـه بالدفاع عن بختيـار. وكان تبريره أنه إذا سلمّ مجـرم إلى الحكومة

الإيرانية فلسوف ينفتح الباب أمـام تسليم المعارضين الآخرين ويجب الحيولة دون ذلك . وكانت الحكومة اللبنانية تستند إلى أن جـريمته وقعت بأراضيها فلا بد أن تحقق عى فيها ولن يكون تسليمه أمرًا ميسورًا حتى نهاية المحاكمة . وفى نظر الجهاز كان دفاع الكتاب الفرنسيين دليلاً كافية عن دفاع اتحاد الطلبة عن بختيار .

اجتذبت أحداث المدرسـة الفيضية فى قم الرأى العام عن نشـاط بختيار التخريبى فقـد تجمع جمع من المشايخ القرويين فى المناطق الشعبـية المتفرقة حول رجل دين اسمه (الخـمينى) واعتبروا الحضرة العليـا وجهاز الحكومة معارضين للدين الإسلامى بتوجههما إلى الغرب أو بحد قولهم (التغرب) وأخذوا ينتقـدون فى جلساتهم وفى المساجـد وعلى المنابر خطوات الحكومة التقدمية . فكانوا يقولون على سبيل المثال (باع إيران للأمريكيين) وكانوا يدينون الظلم والاعتداء من قبل جهـاز السافاك والشرطة والبوليس ويعلنون أن التعرض للمساجد والمدارس مخالف لقوانين الشرع .

وإزاء هذه الأعمال التـخريبية كانت الحـضرة العليا يبدى مرونة وسـعيًا وسعى إلى الاعتراف رسميًا بشـيخ آخر فى منصب آية الله كمرجع للشيعة المسلمين ولكى يستل اخرية من أيدى أتباع آية الله روح الله الخمينى . لكن هذه السيـاسة أصابهـا الفشل ، إذ أنها علـى النقيض أثارت حفـيظة رجال الديـن وزادت من مقاومتهـم وأخذ الموقـف يحتدم بشدة حتى بات من الضرورى الإقدام على خطوة جادة .

وفى ربيع عام (١٣٤٧ هـ . ش ١٩٦٨ م ، بدأت محاكمة بختيار فى لبنان : دافع عن نفسه أمام المحاكمة بأنه لم يرتكب جناية فى لبنان لأنه كان يحمل الـسلاح لأصدقـائه فى بغداد . وتعـهد الدفاع عن بـعض المحامين البارزين والمحنـكين اللبنانيين . ودافعت الدعـاية الأوروبية والأمريـكية بأن

بختيار مناضل من أجل الحرية ومعـارض للنظام الدكتاتورى من ناحية ومن ناحية أخرى دافع المحامون إلى أن صدر حكم المحكمة بحبسه ثلاثة شهور. برأوا بختيار دفعة واحدة وصار مدافعًا عن الحرية .

الخـلاصة ضـغطت حكومـة الحضـرة العليـا على المسـؤولين اللبنانيين لتسليمها بختيار ونشرت الصحافة الأجنبية أن الإيرانيين على استعداد لشراء بختـيار بخمسـين مليون فرنك سـويسرى . لم يسـتسلم رئيس الجمـهورية اللبنانية وكان نتيجة هذا قطع العلاقات بين إيران ولبنان وطار بختيار منتصرا إلى بغداد . ولا حـاجة إلى التـذكيـر بأن علاقات العـراق وإيران فى هذه الأوقات كانت باردة ومتوترة بسبب قضية الأكراد الذين كان الجيش العراقى يشملهم بحمايتـه . واستقبل وفد إيرانى وعراقى بختيـار فى المطار استقبالاً لائقًا وأنزلوه فى مكان آمن وكان يتولى حراسته الجيش والشرطة العراقيان . وحين قرأت اسم (فرزان) من بين قائمة المستقبلين له أغمضت عينى قائلا (أيها القلب الغافل رأيت كيف أنطلت عليك الخدعة !) .

وسافر عشرون من زملائى إلى بغـداد . كان من صلاحيتى أن بإمكانى اختـيار بعض الأفراد منهم . كانوا مكـلفين بالإبلاغ عن تفصيلات أعـمال بختيار حتى التى يظن أنها بلا أهمـية إلى من هم فوق سيادة الفريق . . . كان هذا الحـقيـر فى ذاك الوقت واحداً من أقـرب أصدقـاء الحضرة العـليا الهمايونية وأهل ثقته والذى خان بعد ذلك صديقه وسيده وكبيره ومُطعَمُه . ولا يزال يّعيش حتى اليـوم ويمتلك فى كاليفورنيـا ولندن سكنًا خاصًا وهو من ضـمن أولئك الذين يجب أن تـصادر أمـوالهم . ولسـوف أكـثـر من الحـديث عنه . تبين عن هذا الفريـق بعد ذلك أنه كـان يضمـر نفس تلك الأفكار ويود أن يعتلى رئاسة الجهاز الإيرانى كان لا يعتبر فقط بختيار عدواً للشاه وإيران بل كان يعده أيضـا حائلاً دون تقدم أمره . وبدأت فى طهران

المحاكمة الغيابيـة لبختيار . كان الحساء الذى يطبخونه لبـختيار من الملوحة إلى حد أن جماعة من أتباع هذا المتهـم والمجرم كانت ضمن قضاة المحكمة العلنية . أجـمع كافـة القضاة على مـصادرة أملاكـه في كافـة أنحاء إيران وإعدامه . اكتسـب حكم إعدامه جانباً قانونيا وكُنف موظفـو السافاك بقتله حيثما وجدوه . لكن محل إقامته كان لايزال أمراً مستوراً ، فكانت الأخبار تأتى من رومـا حينا عـنه ثم من جنيف بعـد ذلك . وفى بغداد نجح أحـد موظفى السـافاك فى الوصـول إليه . أدرك بخـتيار أن الرجـل كان من بين مرؤوسيه وذكـر تقـرير هـذه الواقعة : (ما إن واجهته فى مكتـبه حتى قال لى : أتيت لتـقتلنى ؟ تفـضل ونفذ مـا كلفت به . كان يـحتفظ بـرشاش روسى فى دولاب بالحـائط وأظهـر له أنه يـريد أن يعطيـه له ، وفـوجىء موظف الجـهـاز حتى أنه فـر هارباً من مكتبـه) نقل هذا الخبر أحـد أقارب بختيار الأقربين . وسمعته أيضاً من شيـخك الذى زعم أنه قضى عدة أيام يتعقب بخـتيار فى بيروت وبغـداد فى تلك الفتـرة التى كان محبوساً فـيها لعدة شهور .

وفى صيف (١٣٤٩ هـ . ش / ١٩٧٠ م) وصـل خبر أن شـخصين أجبرا طائرة إيرانية تحت تهديد السلاح على تغـيير مسارها إلى بغداد . كان هذا الإنجاز مـن أعمالى البـاردة والتى رفعت درجـتى من منصب عـميل منجول يتحـرك داخل الجامعة ومقر الحزب وينشغل بأمـثال شيخك وفرزان إلى مـجـالسـة سيـادة الفـريق ومَن هو أعلى مـنه وبات على أن أنجح فى التشرف بمقابلة الحضرة العليا الهمـايونية . كانت هذه الواقعة التى أفصحت عنها إلى سيادة الفـريق فى السيارة . استغرقت هذه الخطوة الجـريئة شهوراً واقتضت تفصيـلاتها وقتا طويلاً للتمرن عليها . اسـتأجرنا قاتلاً من أمريكا الجنوبية . وعـلمناه بضع كلمات فـارسية لكى يمرن سـفَّاحَيـنا . كان على الطيارين التأهب والطمـأنينة والسيطرة على أنفسهم والتمكن من اسـتجماع

شجاعتـهم إزاء رد فعل المسافرين . استغرق تدريب مـختطفي الطائرة وقتا أيضا . تأخـر التنفيذ بضـعة أسابيع . مـرض أحد المختطـفين ولم يستطع المشـاركـة في التـدريبـات . وكـان لابد من الحـفـاظ على سـرية كـافـة التفصـيلات . لم يكن رئيس السافاك يعلم عنهـا شيئا . حـتى طاقم قيادة الطائرة لم يكن يعرف المختطفين المسافـرين . كانت كل الأمور بيدى وكنت أنا قائد العملية . اكـتسبت هذه الحيلة ثقة بختيار الذى كـان يعتبر اختطاف الطائرة من انتصاراته على الحضرة العليا الهمايونية إلى حد أنه أمر أن يكون كلا المختطفين من بين حراسه الشخـصيين . وفى أحد الأيام أطلق أحدهما النار على بختيـار أثناء رحلته للصيد فقضى عليـه . وأذاعت وسائل إعلام الحكومة العراقـية أن بختيـار قتل بسبب إهمال أحد الصـيادين . لكن هذا الصياد ورفيقـه لم يكونا غير موظفين بالسافاك كلفا بتنفـيذ حكم إعدامه . قال الحضرة العليا نفسـه في حديث صحفى معه تم فى الرابع من فبراير عام ١٩٧٤ فى زيورخ يرد على سـؤال هو (يا سـيادة الشـاه . . من قـتـل بختيـار ؟) قال (نحن الذين قتلناه ، قتله السـافاك صرت من هذا الوقت أحد قواد الدرجة الثانية للجهاز والمسموع الكلمة . لكن فى الظاهر للتمويه ولذر الرماد في العيون ظللت فى نفس الشعـبة زميلاً للدكـتورين المزيفين وأعمل على تحقـيق هدفى وهو تعقب رقية وإنقاذها من المصـيبة التى ألقت بنفسها فيها .

صادفت نهـاية بختـيار شـهور محـاولاتى الالتحـاق بشعبة التحـقيق والاستجـواب ، وبعد أن خدعت الدكتور بيـجن والدكتور جهـا نجير بأنى أريد أن أعثر على أثر لرقية وألقنها دروسًـا فى محبة الشاه وأنى سوف أظل تحت إمرتهما فى شعبة الاستخبارات ، التـحقت بشعبة مأمور التحقيق تحت إمرة سـيادة الفـريق . سوف ترون أننى لست إنسـانًا رحيمًـا لينا لكن هذا السفاح كـان يعجز ألفًا مثل شـمر وجنكيز وتيمور . كـان أصحاب الرتب

الكبيـرة الآخرون يسمـون جميعًـا باسم (تيمسـار) لقب تعظيم لكبـار الضباط . وأنا بدورى سـوف اسمـى هـذا الفـريـق بسيادة الفريـق أو (التيـمسـار) لكى يكون مميزا مـعروفًا وليـعلم بنفسـه من هو المطلع على أسراره . فـأنا نفسى الذى عملت من جنـيف ١٣٤٩ حتى ذلك الوقت أى نحو أثـنى عشر عـامًا فى الجـهاز ، وكنت رأيت مـن خلال ما قـرأته من الملفات ، قلّت أو كَـثُرت ، الوسائل المسـتخدمـة لا نتزاع الاعتـرافات من المجرمين أو المتهمين ، إلا أننى لم يصادفنى قط مثل هذا الحيوان .

يوم أن دخلت مكتبه بـتوصية الدكتـور بيجن وجها نجيـر ورئيس الجهاز كان يجلس وراء مكتبه ولم يرفع رأسه لبضع دقائق كأنه لم يشعر بنا مع أن جنديا برتبة عريف أبلغ سكرتاريته مسبقًا بدخولى وتسلّم تصريح دخولى ، رأيت مبلغ إجادته التمثيل والشطارة كأنه لم يسبق له معرفتى ورؤيتى .

كان يعرف جـيدًا أصول اللعبـة ويجيد تمثيـل دوره فيها . كان يتـصفح ملفًـا قليل الأوراق . ثم رفـع رأسه وبـدون أن يـسمح لى بالجلوس أخـذ يشرح لى لمدة نـصف الساعة عظمـة إيران وعشق الشـعب وحبـهم المفرط للشاه ومـحبة الشـاه تسرى فى عروق الإيرانيـين وأعصابهم تخـتلط بدماء الوطنيين وأشياء من هذا القبيل . كأنه كان يقرأها من ورقة يحتفظ بها دائمًا عنده وخلال كلامه لمحّ إلى رقـيه بقوله (هذا دليل عظيم وهو أنك صرفت نظرك عن أسرتك وأصـبحت مسـتعدًا لخـدمة الحضرة العـليا من كل قلبك وروحك) .

ثم وضع إصبعـه على زر و استدعى إلى مكتبه رجلاً اسـمه (خاطى) وتركنى إليه وأمـر بأن أنتظر بحجرة الانتظار . ربما مرت عـشر دقائق حين جاء خاطى واصطـحبنى وقدمنى إلى مجـموعة من المحققين كـانوا جلوسًا وواقفين .

قضيت بضعة شهور في قراءة الملفات وتعلمت رموز وأسرار أخذ الاعترافات وأشركوني في بعض المرات مع بعض المحققين في جلسات استجواب المتهمين والمقبوض عليهم . كانت أهم مأمورية لي في الشهور الأولى هي إرهاب أحد السادة المحميين من قبل أحد أكابر الحكومة كان أحد أقارب زوجته برتبة فريق أول . وكانت هذه المأمورية بمثابة اختبار لي هل أنجح في مهمات أصعب بعد ذلك أم أفشل .

لم يكن مدير الأمن العام يريد الانقياد للجهاز ويستدعي الموظف والمتهم بالتعاون مع الطلاب المؤيدين للاتحاد من أوروبا ويسلمه لنا . كانت هذه المأمورية مفيدة وضرورية جداً لأنه من وقت حادثة بختيار كانت أنظار الجهاز والصحافة متجهة لنشاط الحزبيين في أوروبا وأمريكا . كان أغلبية الطلاب يهاجمون مقار القنصليات الإيرانية ويحتلونها ويهينون أعضاء بعثاتها ويحطمون ما بها من أثاث ورياش ومكاتب وآلات كاتبة ويمزقون صور الحضرة العليا ويظلون أحيانا ساعات طويلة يقلبون كل شيء رأسًا على عقب حتى تطردهم الشرطة بذلك البلد وتلقي القبض عليهم . وحين كانت السفارة ترفع شكواها إلى الجهات القضائية كان يؤخذ من بعض الطلاب مبلغ كغرامة وينتهي الأمر فكثيرا ما كان يدفع الاتحاد ما حكم عليهم من غرامات من صناديق الأحزاب التي كانت لها أفرع في أغلب دول أوروبا وأمريكا . وبناء على هذا فقد كانت معاملتهم من وجهة نظر الجهاز وحيثية الحكومة الشاهنشاهية وجلال الحضرة العليا الهمايونية تحوز أهمية قصوى . وفي ذلك الوقت كان ثمة ولد ابن أحد الأمراء ولا يميز بين الألف وكوز الذرة يريد أن منعنا من القيام بتحركاتنا . اتفقت أنا وامرأة جميلة بأن نهين كرامة هذا الديوث . لم يكن الأمر سهلاً . تمرنت مع المرأة عدة أيام . كانت إمرأة مغناجًا من اللواتي كن دائمًا تحت الطلب وكنت أنا رجلا وقوراً . عملنا لبضعة أيام بإتقان . لكن الأمر كان مضحكا

وجاداً فى نفس الوقت . حينا كنا نضحك وحينا كنا نتشاجر بسبب حركة خبيثة من المرأة أو شخط وزعيق منى بلا سبب إلا أننا أدينا الامتحان بنجاح أمام (خاطى) فى أحد الأيام . انتظرنا حتى نأخذ التصريح من القيادات لتنفيذ هذه المسرحية . كان وقت تنفيذ المأمورية يوم أن أقيم فى نادى الضباط احتفال عظيم لزفاف المدير العام على إحدى الآنسات المتعلمات من عائلة الفريق أول وكان حديث كافة المجالس يدور حول جمال العروس ووجاهة العريس وبعد هذا الزفاف ببضعة شهور تقرر أن أسافر إلى أصفهان لتنفيذ المأمورية . ركبتُ معى تلك المرأة الجميلة سيارة ونزلنا فى نفس الفندق الذى كان ينزل فيه هذا الهدف وفى إحدى الليالى حين كانت مجموعة من الرجال مشغولة بالشرب والمتعة فى فندق (شاه باس) ولم يكن صعبًا علَى أمرأة جميلة أن تستولى على الألباب بدلالها وغنجها وأن توقع بالمدير العام . وذهب الاثنان بعد تناول الطعام والخمر إلى حجرة النوم ليختليا بها بضع ساعات . لكن لم يمر نصف ساعة حتى كنت أنا العبد الحقير وزوج المرأة الحسناء واقفا أمام باب حجرة نومها أزمجر وأزعق وأطرق الباب . كان سعادته لا يميل إلى فتح الباب وكانت صرخاتى وصيحاتى تزداد ارتفاعًا مع توسلات الزوجة الجميلة وبكائها مما أجبره على أن يسارع بارتداء ملابس النوم ويفتح الباب . وكان دخولى وإمساكى بخناق العشيق وضربى لزوجتى وتهديدى لهما بالقتل فاضحًا إلى حد أن تجمَّع العاملون بالفندق ومديره وفرقوا ما بيننا وتقرر أن يحول الموضوع إلى الشرطة فى نفس الليلة . وأخذت بيد السيدة الحسناء وأطلقنا ساقينا للريح . وفى صباح اليوم التالى سلم مدير الفندق للسيد المدير العام خطابًا وضعه فى الليلة السابقة أحدهم له فى مكان تعليق مفتاح حجرته وكان مكتوبًا فيه (هكذا يُحاسب الناس) . كان السيد المدير العام أعقل من ألا يفهم من أين وجهت إليه هذه الضربة . وكان من ضمن مأموريتى

بلا شك أن أبلغ فضيحة أصفهان لكل المحافل والتجمعات خاصة إلى أصدقاء المدير العام ومرؤوسيه و(دز آشيب) . وما يماثل هذا النشاط ضربي لأحد الأساتذة الناشئين في الجامعة وكان يتحدث في بداية دروس التاريخ عن الحرية والديمقراطية ويلوح بين الحين والآخر إلى استبداد أولياء الأمر وقسوة أموالهم وسلطانهم وكان قصده طبعا الشاهنشاه والجهاز ، وكانت هذه المأمورية التي وقعت بين (جيزر) « دزآشيب » تعد من بين امتحاناتي للقبول في فرع التحقيق والاستجواب .

ولم تكد دورة تدريبي وامتحاني تنتهي حتى حدثت أحداث منطقة (سياهكل) السوداء وأعد من شهر بهمن (١٣٤٩ / ١٩٧٠) فصاعداً جميع موظفي الجهاز وجواسيسه ومرشديه لحرب الفدائيين . لم أشترك حتى ذلك الوقت في جلسات التحقيق والاستجواب . وكان استجواب المخرّب ينتهي إلى صفعه وضربه بالعصا أو لكمه وكنت أتفرج وكان من ضمن التعليمات أن أتابع وأتعود على ممارسة بعض أعمال التأديب حتى يدلي المخربون باعترافاتهم . ولم يكن زملائي المحترمون يسمحون لي بأن أشاركهم في إرهابهم . لكن منذ أن بدأت في بهمن ١٣٤٩ الهجمة الأولى للعصابات لم يعد هناك مبرر لاختباري فكان مفروضًا على الجميع المشاركة . كانت مفزعة لي تلك الهجمات الأولى من العصابات على أقسام الشرطة والبنوك والقتال في سياهكل والتي أسفرت عن إعدام خمسة عشر وتعقب تسعة آخرين علقت صورهم على الأبواب والجدران . كنت أرتعش حين أنظر في هذه الصور فربما تكون رقية أحدهم . اتصل بي في أحد الأيام بالتليفون (موسى جون) الذي أصبح رئيس بنك (لاهيجان) للاطمئنان عليّ . تعجبت فقد انقضت مدة لم أعرف عنه شيئًا . أدار حديثه علي رقية : - أعتقد أني رأيتها في « فومن » . لم تعرفني . لكني على يقين من أنها كانت هي . رغم ندائي لها يا رقية مراراً فإما أنها

لم تسمعني أو لم تكن تريد مقابلتي . هل لديك أخبار عنها ؟ هل تزوجت ؟ ما تفعل في فومن ؟ أفعل كل ما بوسعي من أجلها . أنا أيضا على استعداد أن أرتب لها عملاً في البنك .

لم يعد عندي شك في أن رقية أصبحت فدائية ضمن العصابات الفدائية ويمكن أن تعلق صورتها على الجدران في أي يوم . حقًا أني فصلت ما بين حياتي وحياتها لكن انفطار قلب أمي عليها كان يؤرقني . مهما حدث فهي اختي وتربت في حجر أمي . أيقنت أن موسى جون نفسه أحد جواسيس الجهاز . سمع شيئًا عن رقية ، وتزرع إذ ذاك برؤيتها في فومن ، ليطلعني بالأمر ولم يكن هو أصلاً بفومن ولم ير رقية ولم يناد عليها .

أمضيت في دورة التدرب على التحقيق والاستجواب بضعة أسابيع في سجن (أوين) . وكنت أسترق كلما منحت فرصة - النظر - من خلال ثقب الأبواب أبواب الزنازن التي يسمع منها الآهات والصرخات وكنت أرتعد خوفا من أن أرى رقية في إحدى المرات . رأيت مرة بنتا هزيلة بائسة وكنت أريد أن أقنع نفسي بأنها أختي . لكني لم أجد الجرأة على أن أعود مرة أخرى وألقي من خلال ثقب الباب نظرة عليها .

لابد من الاعتراف بأني رأيت في دورة تدريبي على التحقيقات آلات التعذيب : السوط والعصا الكهربائية والكماشة الحديدية وغيرها . لكن معلمنا الدكتور فريد الذي تعلم هذا العمل الشريف في أمريكا وأستشهد في حادثة سقوط طائرة في سبيل الوطن كان يطمئننا نحن طلاب علم الاستجواب بأن هذه الوسائل لم تعد تستخدم . فقد استوردوها من إسرائيل في السنوات الأولى من فترة رئاسة تيمور بختيار وصارت كهنة إذ ذاك ولا تصلح للاستخدام ذكر الحضرة العليا الهمايونية بنفسه في أحد التصريحات الصحفية (لدينا من وسائل الضغط المعنوي ما يفوق وسائل تعذيب القرون الوسطى تأثيراً) .

وأنا الذى لا أزال أؤمن بأحـاديث الحضـرة العليـا الهمـايونيـة أعـتنق أوامـره ، لكنى أذكـر ما قرأتـه فى الصحف الأجنبـية فى سنوت إقـامتى بأوروبا وفى ملفات الفدائيين وأترك للقراء مسألة تصديقها أو تكذيبها .

أنا نفسى لم أشترك فى أى جلسة تعـذيب لأى مجرم أو متهم أو فدائى أو مخرب . رأيت فى دهاليز سجن أوين الطويلة بنتا عـارية الجسد يسوقها جلاد بسوط فى يده وكنا نحن السافـاكيين واقفين فى أطراف الدهليز ونرى مـرة أحد الموظفـين يركل بقدمـه المرأة العـارية ويلقى بهـا على الأرض ثم يجـرها أمـام الضارب بالسـوط ، وأسـودّ ناظرى لحظة وأصـابنى غـثيـان وارتعشت ركـبتاى وتخيلت أنهـا هى رقية وزوجـتى وأمى كل منهن تجرى بإلية عارية وتسقط على الأرض وتطلق صرخاتها ولا تعود تستطيع النهوض من كبوتهـا . وحين عدت إلى وعيى فى المستـشفى لم أكن أدرى ما الذى حدث لى . ما ذكروه لى أن دورة تدريبى انتـهت وسوف يعهد لى وحسب بالاستـجواب الهـادىء غير المزعج . كـنت أخشى أن يطردونى نهـائيا من الجهاز ، لكن التيمسار الفريق تلطف بى ولابد أنه فكر بينه وبين نفسـه بأن (يارو هذا اكتسب مـعلوما عن أسلوب عملنا وليس من الصـلاح أن نتركه إلى حال سـبيله خاصـة أنه على علم من خلال الملفـات بعلاقتى بشـيخك وليس من مصلحتهم تعقبه لأى سبب ؟ الأمر مهم بالنسبة لى ، لكن هناك يدًا أعلى من يد : بشكل واضح .

لسوف أذكـر ما وجـدته فى الملفات ومن خلال أحـاديثى فى أوروبا مع الناجين من سـجن أوين والسراديب التى تحت أرض مـقار الشـرطة وذلك بسبب أن معيشتى لابد أن تسـتمر بأى شكل فى الغربة . إن الأحداث التى وقعـــت فيمـــا بين بهمـــن (١٣٤٩ / ١٩٧٠) حتـــى أرديبهـشت (١٣٥٠ / ١٩٧١ م) ملحـمـة لا تـنسى فى نظر الفـدائـيين والمضـحين

بأرواحهم الحاليين . وفى هذه الجزئية سوف استخدم مصطلحاتهم ولن أكرر مصطلحات السافاكيين من أن جميع المخربين خونة وبلهاء ومجانين و . . وهم فى نظر الحضرة العليا الهمايونية شرزمة من الشباب المغفلين يريدون وقف مسيرة تقدم البلاد والشعب لأن ذاته المقدسة أعلن فيما سبق أن كل أنواع الحريات موجودة فى إيران ما عدا حرية الخيانة .

لن أذكر اسم بطلة هذه الملحمة . أعرف أنها هربت من السجن فى اليوم الخامس من شهر فروردين ١٣٥٢ ولم أحصل على معلومات حتى الآن تفيد بأن هذه المرأة هل ما تزال حية أم ماتت وإذا كانت حية أين تقيم وماذا تعمل وهل لا تزال باقية على إيمانها أم لا . هذا على الرغم من التحقيقات الكثيرة التى قام بها موسى جون الموجود بإيران والتى بذلها المسؤولون السافاكيون ولهم معى علاقة واتصال ولم أسمع عنها من شيخك الذى لاقيته مراراً اثناء مقامي بلندن وبحثت معه أمرها . حتى فرزان الذى صادقته فيما بعد فى أوروبا لا يعلم خبراً عن هذه المرأة . لكنى أعلم أنها كانت بنت بضعة وعشرين عامًا قيدت بعد القبض عليها بسرير حديدى ولم يكن يسمح لها بالذهاب إلى المرحاض إلا ثلاثة مرات فى اليوم بعد الصراخ والسباب والشتم حراس السجن . كانوا يضربونها بسوط معدنى كهربى ويحرقون مواضع حساسة من جسدها بالعصا الكهربائية . وكانت قد حاولت فى إحدى المرات أن تمزق بشوكة عنقها وتنتحر . سمعت أن أحد طلاب الحرية والثوار البرازيليين قطع لسانه بأسنانه حتى لا يتمكن من الإجابة عن أسئلة مستجوبيه فأرادت تقليده لكنها فشلت . وفى حضور بضعة من الرجال جعلوها تنبطح على الأرض وكانت عارية مكشوفة . وحاول أحدهم أن يجامعها . وكان هذا الفعل مجازا بإذن التيمسار الفريق . كانوا يخزون لحمها ويشدونه بالكماشة ولم تكن ترضخ للاستجواب . وقمت أنا نفسى بنصحها بكلام لطيف مراراً فى حجرة منفرداً بها ومعها

امرأة كانت تقف بجوار الباب لمنعها من الهروب فكانت توجه سبابها إليّ . سمتني بالجلاد والعميل و . . فلم أهتم وكنت أعيد عليها قولي (لماذا تؤذين نفسك لهذا الحد ؟ لماذا لا ترحمين نفسك ؟ لماذا تنخدعين بكلام الجهلاء . فكري في والديك . فما يقاسيان كمداً عليك . أفسدت حياتهما . تسببت في قتل أحد أخوتك . قبض أيضًا على أخيك الأصغر . اكتبي كلمة واحدة فيها أسماء أصدقائك وانصرفي . سوف يعطونك مالاً ويمكنك الاستمرار في دراستك والسفر إلى أي مكان تريدين. لا تؤذي نفسك إلى هذا الحد . من هم أصدقاؤك ؟ ألست أنا إنسانًا . إن قلبي يحترق من أجلك . أنا أيضا لا أوافقهم في كثير من الأشياء . إن الخضرة العليا . . .

وفجأة أنقضت على كطائر مضروب برصاصة تريد أن تأخذ بخناقي وأخذت تسبني وتشتمني ثم هدأت وأخذت تنشد :

أذهب وأنصب هذا الشرك لطائر آخر . لأن عش العنقاء عال لابد من الأخذ في الاعتبار أن الخضرة العليا قد أصدر أوامره بألا تقتل أمرأة من الندائيات ولا شك أن رحمته كانت في محنها ، أما ملاحظات الصحفيين الأجنب فكانت تتفق وهذا الأمر فلا يجب إذن منح المعارضين أي حجة . خاصة أن طلاب الحزب الذين لا يعلمون من أين يستقون أخبارهم ، ومن أين لهم هذه المعلومات التي ينشرونها عنهم في صحفهم . ولأن الفتاة على علم مسبق بأنهم لا يمكنهم قتلها أضربت عن الطعام مدة أثنى عشر يومًا . ولم يثمر إعداد حقنة شرجية بماء حارق ، والتهديد بإدخالها فيها ،

فلم يحرك هذا فيها ساكنًا . وضعوا برازها فى فمها ولوثوابه رأسها ووجهها . وفى النهاية لم يجدوا مناصًا من أن يرفعوا أيديهم عنها ويدعون أنها مجنونة . . وفى الساعات التى كانوا يعذبونها فيها كان تتغنى بأشعار (فون تروى) الفيتنامى .

كانت تهمة هذه الفتاة أنها شاركت فى كتابة منشورات (سياهكل) وكتبت على الجدران شعاراً هو (لن نتراجع خطوة واحدة حتى الموت) .

لم يكن هذا مجرد شعار لأنهم قاطبة كانوا يؤمنون بهذه الشعارات الأمر الذى لم أكن أدرى ما هو . كيف يتأتى للمرء أن يؤمن بشعار خاوٍ وغير عملى لكنه مخادع من قبل أناس لم يرهم ولم يعرفهم ويضحى بنفسه فى سبيله . قبضوا على واحد منهم وهو يوزع منشوره . لن أذكر اسمه . لا أعرف هل هو حي أم ميت . كان منطقه ضحلاً جدًا . قرأته مراراً . لم أصدق ما فيه إلى أن صادفته بنفسي يومًا . كان كل موظف يذكره لزملائه الأخرين . كانت إحدى يديه أقصر من الأخرى بخمسة سنتيمترات . قبض عليه أثناء توزيعه منشوره ، اشتبكوا معه أولاً وأطلقوا عليه الرصاص . هرب رفاقه على دراجاتهم البخارية ولم يستطع الجنود والسافاكيون القبض عليهم . لم يقدر على الحركة بسبب جرح رجله المصابة برصاصة فشلوا فى معرفة أسماء الهاربين وأماكنهم منه لأنه كان يغشى عليه حتى أنه لم يجد فرصة للانتحار بتناول ما يحمله من السم . فحملوه إلى مكان التعذيب وقاموا بتعذيبه ولم يحصلوا منه على معلومة واحدة . وسنحت له الفرصة أثناء ذلك فألقى بنفسه واثبًا من النافذة على الفناء . لم يتمزق غير ظاهر بطنه . فشلت محاولته الانتحار بتمزيق بطنه وأحشائه . كان هذا المسلك عاماً : أطلق النار على شاب كان رفيق الأخ الأصغر للفتاة الفدائية التى ذكرتها آنفا وشرحت صور تعذيبها ، وفى لحظة

واحدة رأى هذا الشاب نفسه وحيداً ابتلع سماً حتى لا يكشف عن رفيقه . كان كل منهم يسمي أخاه بالرفيق . حملوه إلي المستشفى حتى يحولوا دون موته ، لكنه مات ، فحوكم الطبيب الذى لم ينجح فى علاجه وعوقب .

حين كان أخو الفتاة المعذّبة يُستجوب ويعذب كانوا يسجلون صرخاته وسبابه ونواحه وأسمعوها لأخيه الأصغر وقت استجوابه وأظهروا له أنهم يقومون فى نفس تلك اللحظة بتعذيب أخيه فإن كشف لهم الأسرار خلصوا أخاه . وأصيب الأخ الأصغر بالجنون نتيجة لأعمال التعذيب ، وذات يوم أنشب أسنانه فى رجل خاطى ولم يعد برأسه ذرة عقل . لهذا منح خاطى ألفى تومان جائزة .

وفدائى آخر وشى به أحد زملائه الخونة وأثناء محاولات القبض عليه جردوه من سلاحه وزجوا به داخل الأتوبيس وفى غمضة عين ابتلع سماً معه وأخرج من بين طيات ملابسه قنبلة جذب فتيلها وألقى بها أمام الأتوبيس . وحاول الخائن أن يبعدها فتنفجر فيه القنبلة ويموت كلا الاثنين

وفدائى آخر اسمه جنكيز أثناء أحد اشتباكات ربيع عام ١٣٥٠ تمكن من الفرار على إثر اشتباك مع الجنود . وفى شهر مهر من نفس العام حوصر منزله وكان يقيم فيه واشتبك هو ورفيقان له مع الجنود ومع آخر رصاصة له على السافاكيين فجر قنبلة فى نفسه .

أخو الفتاة المعذبة تحمّل كل أنواع التعذيب لمدة خمسة عشر يوما . [illegible] أغلفة كليتين بسبب ركله ولكمه فكان يدمى فى بوله . لم يتحمل قلبه. قيل إنهم نشروا بمنشار قدمه أو فصلوا أصابعه بساطور .

ولم تقتصر وسائل التعذيب على هذا وحسب . فبناء على قول الحضرة العليا فقد كان تحت تصرف الجهاز من وسائل الضغط النفسى ما يفوق وسائل تعذيب القرون الوسطى تأثيراً . كانوا يخرجون للفتاة المعذبة أوانى

من الدماء كـان أخوها تقيـأها بعد مـرضه . قالوا لأحـد الاخوة : اذا لم تعترف وتكشف عن اسـماء أخوانك وصفاتهم فلسـوف نأتى بأختك عارية أمامك حتى تتحرك فيك الغيرة . ومن الوسائل النفسية تمثيل القيام بالإعدام

ففى الصباح الباكر كان يعلق على شجرة سجين معصوب العينين بقصد إطلاق النار عليه وتقوم فـرقة الإعدام بمراسمها ويقـرأ قرار الإعدام ، وقبل إطلاق النار بدقـائق يسيرة يسـرع رجل وهو يصيح (أتت الأوامـر بتأخـير تنفيذ حكم الإعدام) .

لم أقرأ فى أى ملف هذا الخبر لكنـه شيخك يؤكـده وهو أنه من أجل تحطيم (نواب صفوى) رقصت إمرأة عـارية أمامه . ومن الوسائل الأخرى تلطف الموظفين ، حتى معاملتهم بعد إنهاء الاستجـواب بهدف أن يؤوب المتهمـون فى محاكمه إلى رشدهم ويحكمـوا عقولهم حتى تتم المحـاكمة بدون صداع ولا يتطرق خبر إلى الخارج . أنا لا أفهم مـا العلة أصلاً فى عقد هذه المحاكمات . فهؤلاء معـارضون للمقاصد الهمايونية . إذن فكان من الواجب محاكمتهم . فما فائدة كل هذه المحاكـمات والجلسات ؟ حتى تتوافر الحـجج لصحف الفرنسيـة والشيوعية . شـاركت بنفسى فى بعض محاكمات الفدائيين وللحق فقد كـان هؤلاء المدعون مجرمين حقيقيين . لا يمكن إيقاف حلوقهم عـن الكلام . أحدهم واسمه أحمـد زاده قام بتحليل أوضاع الشـرق الأوسط وإيران وأبرز مناحى القدرة الاستعـمارية . ودخل نفس هذا السيد المثقف معتقل التعذيب . انتشرت نفس أقواله في الصحف الفرنسية . وذكرت صحيـفة أخرى أن تعذيب المتهمين يبدأ من أول يوم من أيام الاعتـقال فى البداية يجلدون بـالسـياط المعـدنية المكهربة ثم يتـولى أمر المخربين خبراء لعبتى الكاراتيه والجـودو فيوجهون إليهم ضرباتهم المؤلمة التى لا تترك آثاراً على أجسـادهم . فى العادة يسـقط الفدائيون مـغشيّـا عليهم

وأغلبـهم يعود إلي زنزاناتهـم بأيدٍ وأرجل مكسورة . جـمع شيـخك هذه الصحف وقمت بتصويرها وأنا بأوروبا ولا زالت عندى وسوف أنشرها حين يقتضى الظرف .

هذه التحقيقات كانت تتم حيناً من قبل السافاكيين فى سجن أوين وحينًا آخر عن طريق موظفي الشرطة بسراديب أقسام الشرطة . وكان النقاش بين الشرطة والسافاك باعثا لكل منهمـا على السعى الحثيث إلى تعذيب المتهمين بقسـوة أعظم وبفظاظة أشد حتى يدلـوا باعترافاتـهم فى أبكر وقت قبل أن يقضى المتهم والجانى نحبه .

وقبل محاكمة الفدائيين ببضعـة أيام يحسنون معاملتهم فيعطونهم طعامًا أفضل وأسرة ناعمة ويبينون لهم إن القضـاء العسكرى مستقل وسوف يلقون محـاكمـة عادلة وعلى كل منهم أن يكتب بدون حـاجة إلى مـحام أفكاره ومشـاريعه بخطه . وقـرار الجهـاز موجود فـى ملف المجرم وعليـه توقيع التيمسار الفريق ومَن هو القاضى الذى يجرؤ على أن يصدر حكماً يخالف أوامر السافاك ؟

ويحاول الجهـاز ألا تظهر أثناء المحاكمة أيـة آثار للحرق والمخراز ولكن هذه المحاولات لم تكن تنجح على طول الخط . وكان يعطى لمن ينجح فى انتزاع الاعترافات جوائز مالية . أذاعت الصـحافة الفرنسية والانجليزية أنهم أعطوا امراة خلال شهر واحد ثلاثة آلاف تومـان أجراً إضافيا ومكافأة ومن ذلك الوقت حتي الآن تتردد بسيارتها الـبيكان على سجن أوين . كما كان أحيانا يفـشل بعض الأفراد من الـسافـاك . ففى عام ١٣٤٩ و ١٣٥٠ حين كانوا يوقـعون بالميليشـيا الفدائيـة كان بعض الـسافـاك يقع في المأزق بسبب تعجله . كان أحدهم واسمه حسين بور والذى كان يدعي أنه مهندس يلقى القبض على كل من كان يراه يتـسكع فى الشوارع مفترضًا أنه يقـصد كتابة

الشعارات علي الجدران ، وكان يطلق سراح الأبرياء فى مقابل تسلم فدية من أهاليهم وأقاربهم بعد إيقاع الإيذاء والأضرار العديدة بهم حتي أن الأمر كان يصل إلى حد التعذيب وصارت كتابة الشعارات فى تلك السنوات مصدر دخل للصغار من أمثال حسين بور . لم أبلغ اليقين لكنى أظن أن نفس هذا الموظف قبض فى أحد الايام على رقية وتمكنت أختى من الإفلات من مخالبه . قص فرزان هذه الحادثة عليّ عام ١٣٥١ فى باريس وكان واثقًا من أنها أودعت السجن عام ١٣٥١ أو كانت ضمن الضحايا الذين يعد التيمسار الفريق مسئولاً عن قتلهم . أما حسين بور فقد دفع ما عليه من قصاص .

كان من بين المعتقلين امرأة منقبة تبين فيما بعد أنها فتاة أمريكية . وأثارت صحافة طهران ضجيجًا . أفاض حسين بور الذى كان من أتباع تيمور بختيار ثم ظهر على السطح شديد الإخلاص للشاه شرحًا وتفصيلا فى هذه الحادثة (نعم إننا نقبض على الجواسيس ولو كانوا أمريكيين . إيران بلد مستقل ولا تخشى بأس أحد) . وأظهرت الصحافة هذا الحدث دليلاً على ذكاء السافاك وتضحيته خاصة مجموعة حسين نور صبى بختيار أثاروا الضجة بأن جاسوسة أمريكية ألقى القبض عليها حتى تجذب الرأى العام إلى فدائية الجهاز . وكان بسبب حوادث (سياهكل) هائجًا مستنفراً أعلنوا أن الفتاة جاسوسة من الدرجة الأولى ووجدوا فى بيتها صوراً لبعض أحياء العاصمة والبلاد المجاورة ، وصار مؤكداً أنهم تمكنوا من صيد ثمين وهم غافلون عن أنهم حفروا بئراً سقطوا فيه .

كانت إليزا خطيبته أحد أعضاء اتحاد الطلاب والذى كان يعتبر فى نفس عام ١٣٥١ من بين كوادر الخبراء . ولما لم يكن بمقدوره العودة إليّ إيران أرسل خطيبته إلى أسرته حتى تتعرف على أهله . وزارت (إليزا) أصفهان

وشيراز برفقة والدى خطيبها وكانت تظهر فى المساجد منقبة . واسترعى انتباه موظفى السافاك فى منطقة (شاه جراغ) بشيراز أمرأة غربية تدخل المساجد في زى مسلمة وعلى وشك أن تثير عليها المسلمين وربما يلحقون بها أذى . وفى ذات ليلة وهي تنتظر فى أحد شوارع طهران لقاء أحد أصدقاء خطيبها يلقى بالقبض عليها .

لم يستطيعوا إيذاء إليزا بأى صورة لأنها أضربت على الطعام بعد اعتقالها ببضعة أيام ، وكانت تطالبهم بالإفراج عنها بسبب براءتها . أوصوها بالاعتراف بجرمها وإبداء الندم وتوجيه رسالة إلي الحضرة العليا فيطلقون سراحها . فرفضت تنفيذ هذه التوصية لأنها يمكن أن تعد دليلاً على إدانتها بالجاسوسية . ووصل الموضوع إلى السفارة الأمريكية لاسيما وأن إضرابها عن الطعام أثار فى الصحافة الأمريكية جدلاً وضجة ولم يستطع موظفو هذه السفارة أو لم يرضوا بإقناع إليزا بالاستسلام لهذه الإهانة وأضربت للمرة الثالثة إضرابًا شديدًا ولم تذق ماءً أيضًا . وثار السجناء السياسيون الآخرون أيضًا تأييداً لها وكانوا يرمون إلى الإضراب الجماعى حين نشرت الصحافة أن الجاسوسة الأمريكية أعلنت توبتها وأن الحضرة العليا الهمايونية عفا عنها . لكن هذه الحادثة التى قصمت ظهر جين بور وآخرين لم تنته إلى هذا الحد . فقد عادت إليزا إلى خطيبها وكذّبت نبأ ندمها ووصفت صحافة إيران بالكذب والجهار بالتزوير وأدعت بأن إهانة لحقت بكرامتها وبكرامة الشعب الأمريكى وطالبت الحكومة الإيرانية بدفع بضعة آلاف دولار نظير كل يوم قضية معتقلة فى سجن طهران تعويضًا لها وتعهد خطيبها والاتحاد الذى يتبعه وثلاثة من المحامين الأمريكيين بالدفاع عنها والتزمت الحكومة الإيرانية بدفع مبلغ ضخم غرامة. لكن هل أقتنعت الصحافة الأمريكية بهذا ؟ جعلت هذه الحادثة كقميص عثمان وأطلقت دعاويها حتى اضطرت الحكومة الإيرانية إلى إقالة حسين نور وتقديمه إلى المحاكمة .

وفى خضم هذه الحادثة وقعت أسرار تعاون السافاك مع جهاز الإستخبارات الأمريكى موضع البحث التفصيلى فى الصحافة الأمريكية وصار هذا الموضوع مادة دعاوى الحزب المعارض هناك .

وقد حدث نظير هذه الحادثة للدكتور بيجن واسمه الحقيقى حاجى ساوجى . لكن غاية ما حدث له أنهم صفعوا قفاه وأعلوا مرتبتى ولسوف أقص فيما بعد هذه الواقعة .

فى الأيام السابقة للمحاكمة فى المحاكم العسكرية كانت الذئاب السفاكة تبدل رعاة ودودين وكانوا يخدعون بمعسول الكلام ووسائل الترغيب الساذج حتى لا يفشوا الأسرار ويخفوا أثناء التحقيق ما ارتكبوا فى حقهم من تعذيب وإضرار ، لأن القضاة لن يصدقوا غير ذلك من أقوال فهم يؤمنون بتصريحات الشاهنشاه بأننا لدينا من الوسائل التى تفوق أساليب أخذ الاعتراف في العصور الوسطى الا وهى الوسائل النفسية . وبناء على هذا فلا يجب إثارة حفيظة القضاة وآلا اضطروا إلى الحكم عليهم بالحبس لمدد طويلة وبالإعدام . تناقشت فى هذا الموضوع وفى باريس مع شيخك الذى انقطعت كل آماله فى إصلاح أحوال إيران انقطاعًا تامًا وكان يتوقع مصيبة تقلب إيران رأسًا على عقب . وكان حديثنا عن جرأة الفدائيين وتهورهم ومقاومتهم قال :

- إنهم نوع آخر من خواص الناس .

قلت : أجل ، نوع مختلف من خاصة الناس . مع كل هذا الأذى الذى يلحق بهم ، يهينونهم ويعذبونهم بالكى والكماشات حتى أنهم يخرون أحيانًا مغشيا عليهم بعد جلسات التحقيق لفترات لكنهم حين يفتحون أعينهم يعودون إلى سابق إصرارهم كأن شيئًا لم يقع .

- ألم تقع فى الحب مرة يا يارو ؟

- لا

- هل تحب أمرأتك وولديك ؟ .

- هيه ! .

كانت امرأتي قد ماتت وضعفت صلتي بأولادي أو بالأصح أنهما أشاحًا بوجهيهما عن السافاكي ، وكان يعتبران هروب رقية بسببي أيضا . هز شيخك رأسه وقال : صحيح ، أنتم ، ولا أقصدك ، لا يجري فيكم دم ، أنهم لم يعشقوا عشقا حقيقيا قط . لم يتنفسوا نفسًا واحدًا من العشق . إن الإنسان لابد أن يعشق شيئا أو قضية ، عليه أن يفتتن بشيء حتى يضحي من أجله . هؤلاء الفدائيون جميعهم عاشقون ويضحون بأنفسهم من أجل ما يعشقون وأنتم تقفون حيارى أمامهم وبأيديكم السياط المعدنية الكهربائية والكرسي الكهربي . وأنا أيضًا مثلك . تلكمون حلاقيمهم اليوم وتتصاعد بالغد من مئات الحلاقيم الأخرى صيحاتهم التي تصيبكم بالصمم .

وكل ما تحدث يؤكد ما يقوله ، فلم تسفر نصائح موظفي الجهاز وموعظاتهم عن أثر . وفي المحاكمة كان الفدائيون لا يعيرون الرسميات أدنى اهتمام ، فحين كان رئيس المحكمة يعلن افتتاح الجلسة رسميًا كانوا يتمازحون ويتضاحكون ويقهقهون ويتصايحون ويوجهون شتائمهم إلى موظفي الجهاز الجالسين في حضور القضاة كالفئران المبلولة وسط المشاهدين ويذكرون أسماءهم الحقيقية بلا ألقاب مثل الدكتور والمهندس والأستاذ . وحين كانوا يسألون عن أسمائهم وأعمالهم كانوا يدلون بإجابات متملقه فكان يسمي كل منهم نفسه (ابن الشعب) وعمله (ثائر) . وحين كانت الدمى ذات اللباس الذهبي - وكان هذا الاسم الذي كانوا يطلقونه على الضباط - تحاول تسكينهم ترتد عنهم مرعوبة . وكان القضاه يتشاغلون عن عمد بقراءة الملفات ويتصفحونها متجاهلين عدم انضباطهم بل كانوا

يتسمـون أحيانا كأنهم يريدون إفهام المتهمـين تلويحاً لا تصريحاً بأنهم هم أيضا مثـلهم أسرى وعبيـد . كانوا يختلسـون النظرة إلى الفـدائيين ويهمس بعضهم إلى الآخر . وما إن ينفـد صبر رئيس المحكمة حتى يقع الجنود فى شجار مع المتهمين فلا يبدي هؤلاء مقاومة بل ينهضون من أماكنهم ويعتلون الكراسى وينشدون الأناشيد الثورية ويحيرون الجنود والضباط . وفى النهاية يصمتـون جميعًا وقـت الدفاع عنهم ويصيخون السـمع . وهذا الدفاع فى الحقيقة مـا هو إلا صحيفة دعوى المتهمين ضـد القضاة والجهاز الحكومى . كانت تبلغ بهم الجـرأة حد إهانة مقدسـات البلاد واعتبـار حاشية الحـضرة العليا مهربى مخدرات .

كانوا يقذفون بالاتهامات الأسرة المبجلة الملكية بالحد الذى لا أجرؤ على ذكره . أى تهمة لم يلفقوها لأخت الشاه الكبرى . أطلق أحدهم على هذه السـيدة المحـترمة اسمًا جـعل الجنود ينفجرون من الضحك. فضـحوا أخوة الشـاه واحدًا بعـد الآخر . جـمعـوا - بقولـهم - ثرواتهم بطريق سلب الفلاحين والرشوة . اسـتلبوا أملاكهم من صغـار الملاك بالقوة يذهبون فى رحلات الصيد بالسيارات والطائرات المروحـية . كانوا يلفقون من الأكاذيب ما لا يمكن وجوده فى جعبة أى كذاب .

حكم على أثنى عـشر فـدائيًا من (فـدائيى خلق أو فدائيى الشـعب) بالاعدام والـحل والمؤبد ولم يتخـل هؤلاء وهم في السجن عن واجـبهم الذى كانوا يتصورون أنه مناط بهم .

وحل فى الميدان محلهم تنظيـمات أخرى بأسماء مختلفـة مثل (منظمة تحرير الشعب ، التى هاجمت البنك الانجليـزى الإيراني قبل ذلك وهاجموا سيارة للسفارة الأمريكية بهدف اختطاف السفير الأمريكى و (جماعة قضية الشعب) و (للمجـاهدون) و (الفدائيون) واسـتمروا فى نضـالهم للنظام الشاهنشـاهى حتى وقوع الثورة . أشـعل نضال الجماعـات المسلحة نارًا لا

يمكن إخمادها . زادت أعداد خبراء جهاز الاستخبارات الأمريكي في إيران . أوفد مئات الإيرانيين للتدرب على أسلوب مكافحة المقاومة المسلحة إلى أمريكا . أضافوا عدد المسلمين على أبواب البلاط ومقار الوزارات وأوصوا باستيراد عشرات السيارات المصفحة من ألمانيا لحراسة زعماء البلاد.

أخذت الثورة تجتاح أيضًا المثقفين وكانوا حتى ذلك الوقت لا يرون غير النضال السلمي بالقلم والخطابة وسيلة مع السافاك . قصّ على أخبارهم التي يجدر إثباتها شيخك الذي كان له مداخلة في أمورهم بوساطة أو بغير وساطة وكان قرأ أغلب مؤلفاتهم وقام بشرحها وله صلات ببعضهم . كان حديثنا أثناء السنة الثانية للثورة حين كنت مريضا ومقعدًا ولم يعد لدى شيخك خوف من أن يفشي سرًا . كان يقول لم يكن أحد يطاولهم حيلة وخداعًا . كانوا يؤلفون الأناشيد الثورية التي تفيض بالكراهية وتدفع إلى تقويض أساس الظلم والاستبداد ، وكانوا يصورون منها نسخًا ينشرونها على الطلبة ويروجونها عليهم بأسهل مما تروج الحلوى . كان الشباب يلتصقون إما باليساريين أو اليمينيين لكي يتصلوا بالفدائيين وكانوا يسافرون إلى رشت ومازندران ويتعقبون في الغابات الفدائيين والمجاهدين والمضحين بأنفسهم فيحصلون منهم على المعلومات حول أوضاعهم في السجون وقسوة القائمين بالتعذيب ووسائل التعذيب المستخدمة . كانوا يدونون منهم سيرهم وسوابقهم والرشاوى التي تقاضوها ويتبادلونها فيما بينهم ويرسلون بها إلى الخارج . وكان هذا الكاتب وذاك الطالب أو المثقف يعتبر صلاته بالاتحاد بالخارج من بين ما يفخر به .

وقاطعته : المهم يا شيخك من أين يعرف هؤلاء الذين تسميهم مفكرين بما يدور في السجون ؟ انت ساذج جدًا ، كيف تكون سافاكيا وأنت لا
٣٠ تعرف السماء من العماء ؟ إذا أردت أن تعرف شيئا فاتصل بفرزان . إنه

قابع في باريس في شقة حقيرة هرمية السقف ويعرف بأحوال كل مكان . اسأله فهو عليم بأشياء كثيرة . والآن وقد تحطمت خزانة الأسرار فليس بعيد أنه سوف يميط اللثام عما يحمله من أسرار . كان لدى صديق تخرج حديثا فى الجامعة وله عيادة فى شارع (باماشين) . كنت كلما مررت بها أرى بحجرة الانتظار مجموعة من الرجال المختلفين كانوا يتسللون خفية ما إن أظهر لهم ويتركون مجلسهم . كانوا أولاداً مفتوحى الصدور وذوى أحذية ممزقة بالية قذرة أو مجموعة أخرى بقمصان بيضاء ونظيفة أو برباطات العنق وسراويل مكوية وأحذية لامعة ، وكان منهم المشايخ والأفندية والشباب والمسنون . لم ينطق لى صديقي الطبيب كلمة واحدة تتعلق بهؤلاء الناس الذين يتجمعون فى عيادته ، وطبعًا كنت من الذكاء بالقدر الذى يجعلنى أفوت الأمر . ما أكثر من كانوا يعاودون الطبيب صديقى وهم مكسورى السيقان وحين كانوا يخرجون بسيقانهم المجبسة كانت الوثائق مختفية داخل الجبس وتذاع فيما بعد على صفحات جرائد الاتحاد والجمعيات الإسلامية فى أوروبا وأمريكا . وقد قتل هذا الشاب فى الثورة . ومذكراته عندي . كانت عيادته فى حى شعبى مركزاً لجمع المعلومات ونقلها وتوزيعها . كان طبيبا فى غاية الأناقة والرقة بحيث لم يخالجنى شك أنه من أهل السياسة والعقد والإبرام والخصام والكفاح . لم ير فى أى محكمة وكان يكتب روشتاته ويحقن حقنة ويجمع المعلومات للفدائيين ويوصلها إليهم .

– لماذا لا تذكر لى أسمه ؟

– ما أشد جرأتك لماذا أذكره لك وأنت سوف تدونه وتنصب به على أحدهم ؟ لا لن يصل إليك شيء عن طريق أسمه . إن بعض هؤلاء الأبطال كانوا يجعلون أنفسهم أسرى السافاك لأسباب واهية فارغة . كانوا يدخلون السجن عن طريق أمثال حسين بور ويلقون التعذيب ويشترون

حريـاتهم بدفع الرشاوى والاسـتعـانة بهذا وذاك . حـدث أن بعض هؤلاء الفـدائيين مات فى السـجن . قـام السافـاكيـون بقـتل واحد منهم بيـضع رصاصات ونالوا عن ذلك مكافآت .

ثم صمت عدة دقائق ولم أرد قطع صمـته . كان يجيل فكره ولم يكن يعرف هل يفشى آراءه أم يخفيها .

- كنتم فى غاية السذاجة وكانت كل تحركـاتكم حمقاء . كنتم تتخيلون أن الجميع كان يصدق كلام رئيسكم حين يفخر بأن لديكم وسائل أكثر تأثيراً من عذاب العصور الوسطى . كان الأمريكيون الذين يحمونه يسخرون منه . كل ضغط له رد فـعل . كنتم تستـخدمون مـعهم القوة وكـانوا هم يعدون أنفسهم لمواجـهتكم بالحيل . ذكر هذا الطبـيب فى مذكراته أن الأولاد أبناء الستة عشر أو السـبعة عشر عامًا كانوا يحتـفظون دائمًا بكبـولات السم فى جيوبهم وكانوا يضعونها فى أفواهم إذا حاق بهم الخطر . لقد آمنوا بوجوب تغيير العالم . هل تعلم ما هو الإيمان ؟ كـانوا يقولون إن الأمور لن تستقيم بمجرد الكلام والكتابة والدعاية . قال أحدهم : لقد أحاطوا عالمنا بسور من الحديد والرصاص وعلينا أن نخترقه ونـفجره . لم يكن كلامهم هذا يعدو وهمًا لكنه كـان أمنية عزيزة . كـانوا مفتونين بـالإنضباط ولم يسمـحوا أن يخالطهم أدنى ريب فى نتيجة تحركاتهم .

استمرت مناقـشتى مع شيخك شهوراً فى أيام مـا بعد الثورة وأنا الذى كنت حتى ذاك التاريخ أرى الدنيا من خارجها وربما بعين غافلة أيضا وانتهى منها إلى نتيجة فى صالحى وبعد استشارة شيخك الذى قطع السمكة وذيلها وبعد مـراسلة فرزان ، لا أقـول اننى أصبـحت مؤمنا بل توجـست من أن بعض ممارساتنا لم تكن عـاقلة . ومن المسلم به أننى تأثرت فى تدوين هذه المذكرات ببعض أفكارهما .

على أية حال تمركز القسم الأساسى من نشاط الجهاز بين عامى(١٩٧١م و ١٣٥٠ هـ) (١٩٧٥ هـ و ١٣٥٤ هـ) على المثقفين والصحفيين والشعراء والأدباء والكتاب . هؤلاء الأساتذة والكتاب والفنانون وشباب السوق لم يعودوا أولئك الذين يجلسون فى إحدى الوكالات فى الخان ، بل كانوا يديرون أعمالهم فى الشوارع الراقية من المدينة بالتليفون والفاكس ويشغلون خاصة الصحفيون الناس بعضهم ببعض . صدرت الأوامر بعدم صدور نحو ستين صحيفة . لم يكن غير تأييد الحكومة سياسة أخرى لها وتنشر كل أسبوع وأحيانا كل يوم صوراً للحضرة العليا وتفصيلات همة الأسرة المعظمة وأحلامها وتضحياتها وإيثارها . وكانت هذه لا تجرؤ على نقد كبار المسئولين حتى لا يمكن أن يُشتَمّ . ولا قدر الله - منها رائحة معاداة لأسلوب الحكومة . كانت إشارة أو تلميح بين الحيَن والآخر كافيا لأن يتصور نقدا وجهه صحفي لأحد المسئولين بسبب غرض شخصى له . اقفلوا الصحف والمجلات . طبعا . أشتروا مؤسساتها بأسلوب لطيف وسددوا قروضهم المصرفية وعينوهم فى وظائف تدر دخولاً مجزية بدعوى أن التليفزيون والاذاعة فى حاجة ماسة فى الأقاليم إلى تعاون الصحفيين . وأرسلوا البعض الذين كانوا يشاغبون رغم كل هذا الإحسان ممثلين للتليفزيون والإذاعة ووكالات الأنباء والأخبار إلى أوروبا وأمريكا . وكان بعضهم يقوم بالتجسس فيما بعد من أجلى مع أنه لم يكن رسميا موظفا بالجهاز . بالإختصار قصوا أذيالهم إلى حد أن طامحًا منهم لم تبلغ به الجرأة على التنكر لكل هذا الإحسان .

وفى خلال هذه المعمعة نال كثيرون أيضا نذراً يسيراً من المال فى أثناء هذا الصراع انتحيت بدورى جانبا وأخذت أفكارى . كلفت بالتفتيش على جريدة (زيروزير) . عهد التيمسار الفريق بهذه المهمة إلىّ . فهمت لماذا اختارنى . حتما أفهمه (حاجى على ساوجى) الملقب بالدكتور بيجن أو واحد آخر من أولئك الذين استفادوا جيداً عن طريقى . إننى

مساوم جيد وطبعا أدفع الحقوق والمستحقات لمستحقيها . ولسوء الحظ لم يعرفوا أن رجلاً داهية من مثل شيخك قنوعًا حاسمًا لم يعد محل اعتمادى . ورأيت أن صحيفة مثل (زيروزبر) ليست باللقمة السائغة ولا يمكنها إشباع بطن رجل كالتيمسار . ولحسن الطالع ابتسم لى الحظ وعلمت أن من وراء مدير الصحيفة أحد الرجال غير المعروفين والذى يدعى أهليته لشغل منصب رئاسة الوزارة . يجب كسبه . أكدت بقوة لهم أن حق هذا المدير أن يناله أربعة أمثال ما يدفع فى العادة للآخرين نصيبًا . وأخذ المدير المسكين نصيبا تافهًا ودخل جيب التيمسار الفريق ثلثا الرشوة وكان نصيب الدكتور بيجن قليلا . أما ما بلغنى من مال فقد كنت أتخيل أنه سوف يكون ذخيرة ليومى الأسود . ولكن هيهات .

وفى صيف ١٣٥٣ أنهى موت زوجتى صداعى الذى استمر بضع سنوات . بلغ بها الضعف حد أنها لم تكن تسأل عن ولديها . كانت فى البداية تسافر إلى كاشان وتبقى بضعة أيام ثم تعود . ولم يعد فيها قدرة . كانت فى نحافة الشعرة فى الشهور السابقة لموتها وتحول سائر جسدها إلى لون عناقيد عنب آخر الصيف . قضت مدة غير واعية ولا تقدر على شيء . كانت تئن من فرط آلامها . كنت أجرى من هذا الطبيب إلى ذلك الصيدلى . كانت تزداد نحافة من يوم لآخر . فقدت كل شهية للطعام وكانت تتقيأ ما يوضع من طعام فى فيها . كانت محمومة على الدوام . أنقذها الموت من عذاب أليم . وقبل موتها بعدة أسابيع أتيت بالولد والبنت من كاشان إلى طهران وتركتهما عند أمى . كانت تبدو سعيدة بهما وراضية كانت تعتبر نفسها من وقت أن هربت رقية من المنزل وحيدة . لم يكن لها اختلاط بأحد . كانت تجلس وتدخن غليونها وتسبح بمسبحتها وتقعى بجوار باب الحجرة وتأخذ الفأل بحبات الحمص . وإذ ذاك أصبح الطفلان اليتيمان

يدوران حولها ويشيعان فى المنزل حركة وجلبة . كان الولدان يتشاركان فى اللعب ويضاربان أولاد الجيران فكانوا يسامحونهما بسبب يتمهما . وجدت أمى ما يشغلها . كانت تعتبر نفسها ثانية اكبر الأسرة . لم أكن أفكر فى رقية وكذلك هى ، أو على الأقل لم تعد تظهر لى قلقها بسبب رقية ، إلى حدود علمى وتصورى بينى وبين نفسى فقد كنت أخشى من أن تكون على يقين من أننى سافاكى ولا بد أن تخفى عنى كل شىء . كنت أعلل نفسى بأنها نسيت مثلى رقية التى كانت أنيسًا مؤنسًا لها ذات يوم. أحيلناً كنت ألوم نفسى لماذا لا أفاتح أمى بالحديث عن مصير رقية إلى بضعة شهور خلت كان أول سؤال يتبادر لأمى حين ترانى : هل علمت شيئا عن رقية ؟ فكنت أشرح كافة مساعىّ للبحث عنها . كنت أقول لها لم أجد أثرًا لها . فمع أننى لم أشترك فى تعذيب المساجين وضربهم لكنى كنت دائم السؤال والبحث عنها من زملائى ورؤسائى . ولم يكن يتبادر إلى ظنى أصلا هل يمكن أن تكون أمى على اتصال برقية ؟

لم يرد اسم رقية فى أى ملف ، حسنًا يمكن أن تعيش باسم آخر . ربما ليست فدائية من الأصل . لم أستطع مطلقا أن أقبل أنها هربت للارتباط برفيق أوخطيب أو فاسق . كنت أقنع نفسي بأنها تركت لىّ الحبل على الغارب ولا تريد أن تتآلف مع أخ سافاكى . كنت أستشهد لنفسى بهذه العلة : حسنًا إذا أحبت أن تتركني ولا تتصل بى فلماذا وهى المؤمنة والصادقة أو الثورية تريد أن تمنعنى عن كسب عيشى وتحول دون ارتقائى فى الحياة ؟

كان ابنى هاشم حين كنت أراه عند أمى فى الأسابيع الأولى يسألنى :

- لماذا لم تأت بعمتى رقية معك يا بابا ؟ .

كان معلومًا أن أمى أفهمته أن رقية تعيش معى وحين يأتى أبوك فى المرة القادمة فسوف يحضرها معه . لكن هذا المرة التى كنت أذهب فيها إلى أمى لم يذكر هاشم شيئا عن رقية .

كانت هذه الأفكار تطوف بخاطرى حين أكون عند والدتى . كان عملى يحيطنى بالمشاغل والمشاكل والسعى الحثيث والتزوير والاحتيال والخداع إلى الحد الذى لم أستطع أن أتذكر رقية . لم يكن لها ملف كذلك . لم تذكر جماعات الفدائيين على اختلافها شيئا عن رقية . كانت صورة لفرزان استخرجوها فيما يبدو من بين وثائق بختيار قد أضيفت إلى أوراق رقية . لم يكن لديهم أى معرفة بفرزان باستثناء أنه كان ضابط شرطة ثم اختفى فجأة بذريعة سفره لكربلاء وجاءتهم عنه أخبار من بغداد وبيروت .

وبعد قفل أفواه المثقفين بذل الجهاز مرة أخرى فكره وذكره وهمه ومساعيه وأخذ يمارس فى سائر إيران الاعتقال والاستجواب والتحقيق والتعذيب وقتل الفدائيين الذين وقعوا لتوهم في المصيدة والمجاهدين وأصحاب الملل التابعين لآية الله الخمينى . فى أحد الأيام تلقيت رسالة بمنزلى فى نياوران غفلاً من اسم المرسل وعنوانه وتوقيعه وليس فيه غير هذه الجملة (أدرك مرضية فهى تموت) . وفجأة لمع ذهنى . أسودت عيناى وداخ رأسى . وكانت هذه الحالة تحدث لى لحظة الاضطراب .

- سوف أصل إليه وأسوى حسابى معه وأقتص منه بشدة .

- هل تريد أن تقطع عيشى هذا معه ؟ .

فأجبته لا ، كن مطمئنا إنه دكتور ملعون لا يحل المشكلة زاد أو نقص. كنت متألماً حين كنت أودعه . كنت أود أن ألثمه . كان هذا الرجل يحب يومًا رقية حين كانت تعاني بعد انفصالها عن زوجها بالطلاق وآلامه . ضغطت بشدة على يده ولم يضغط هو على يدى . وحين جلست بالسيارة وكنت أتتبع ظله وسط زحام السائرين بالليل لاحت لى فكرة ووجدت وسيلة المساعدة بدون أن يفهم من أين اتجهت إليه النعمة .

طرت من باريس إلى جنيف وقابلت عن طريق خليفة (مملوك) السفير المتنقل الشاهنشاهى الذى يتولى الإشراف على جميع الطلاب فى عموم أوروبا . كنت أريد معرفة هل غيرً نشر صورة رقية كواحدة من بين المخربين وضعى السياسى والإدارى أم لم يؤثر فيه .

كان مسلك هذا السفير الكبير ، الذى يبدو أنه أدرك أهميتى وفعاليتى بعد فضيحة الدكتور بيجن ، كثير الود وقضينا الليل فى الحبور والانبساط . ذهبنا إلى ملهى ليلى ولا عبنا بضعاً من الجميلات وعدنا آخر الليل بين السكر والإفاقة إلى مضاجعنا . وحين كان يودع أحدنا الآخر كان سيادة السفير من الإفاقة حد أن يقول لى : - تعال إلىّ غداً قبل سفرك . أمامنا عمل مشترك لمدة نصف ساعة . إذا لم يكن لديك وقت أوصلك إلى المطار) .

كان مقصده التباحث بشأن عملائى . سألنى فى مكتبه : متى سينتهى تلاميذك هؤلاء من دراستهم ؟ كم بقى لهم من وقت الكسل والبطالة ؟ متى يعودون إلى إيران ؟ أفكر في تكليفهم بأعمال ألا تسمع أن الحديث الآن يدور حول حقوق الإنسان ، والشاهنشاه مصمم على إعفاء الشيوخ والعواجيز ولا بد فى مقابلهم الاستفادة من الشباب الموثوق بهم المخلصين للشاه .

راجـعنا ملفات أهارى وخـان على ودمـاوندى . قال حـين وصل هذا الثالث : - اهتم به . لا يدرك هو دوره . يلعب على الجانبـين معاً . عينه فى الجنة والأخـرى فى النار . اتركه يقوم بـأعماله . يفى بما نريـد بالحالة التى هو عليها .

ضحكت وسألته : - نحن ناره فأين جنته ؟ .

فـأجاب وهـو يضحك أيضـا : - حـيـثمـا يقف رجـالنا حـتى الآن مستسلمين .

لم أقل شيئا لأنى كنت أعرف أنه هو واحد منهم .

وتصفحنا ملفات آخرين ، كانوا من أتباعه هو .

أخرت السفـر ساعة . درست ملف دماوندى فى مكتب السـفير المتنقل حتى استكمل مستنداتى . وعدته بأن أراقبهم بكل حواسى .

سعدت وفرحت لأنى ما زلت حائزاً بهذا الحد على ثقة الشاهنشاه حتى يسمح لى بالتدخل فـى اختيار الرجال ذوى الرتب العـالية لبلادى . أيقنت أنه لم يلحق غبار قط بوجـهى وأن مرآة حظّى صافية لامـعة . ألقيت نظرة أيضا على ملف فرزان . لم أجـد عندهم أمراً يزيد عما أعـرفه أنا نفسى . طرت إلى لندن قبـيل الظهر . اتجـهت مباشـرة إلى مكتبى . كـان مكتبى يغص بالخطابات المرسلة من الـزملاء والأعداء والحـساد بـشأن نشـر صورة رقية . إلا الدكتور بيجن والتيمسار الفريق فلم يصلنى منهما تقرير . فظننت إلى أن هذه المجموعـة تدبر لىّ مصيبة . يريدون إعداد حـذاء العثرة لىّ . كان حسادى (يضربون ويلاقون) أو يتوسلون بكل الوسائل المكيدة ، وكان واضحاً أن علىّ أن أرشوهم وأخـدعهم . لا يجب أن أتركهم يسقطون فى بئـر الفضـيحة مـن الـسقف على الأرض . كـانوا يتصـورون أن بإمكانهم

تكتيف يدى وقدمى ثم يبلغون هم مـآربهم . أصبح من الضرورى أن أعود إلى طهران وأفتح حافظة نقودى .

تلقيت رسالة من موسى جـون تمتلئ بالألم . قص لى أحوال أمى أنها تحتضر وتصر على أن أعود للوطن بأقـصى سرعة ولو لبضعـة أيـام (آمل أن يحدث تحـسن) . لم أكن أستطيع أن أخيب رجاه . أردت أن أواسـيه برسالة وأتعـهد بأن أعود إلى أمى فى القـريب العاجل وحتى عـودتى فإنى أرجو من ذلك الذى كـان صديقى ومعـينى ومرشدى ألا يقـصر فى العناية بأمى فى الدواء والغذاء واستدعاء الأطبـاء والممرضين لها ويجب أن يطمئن من أننى سوف أعوضه عن كل تعبه ومـعروفه . كتبت الرسالة وكنت أزمع إرسالها لولا حدوث حادثة عجيبة منعتنى من إرسالها .

كان الوقت جوف الليل . نظرت فى ساعتى كانت تجاوز الرابعة بعشرين دقيـقة . قال لىّ شخص بالتليـفون إذا كنت بالمنزل فإن أحـد أقاربك يريد الحديث معك بصورة فورية . سوف يدق جرس تليفونك بعد ساعة .

كان لى تليفون خاص فى حجرة نـومى لا يعرف رقمه غير أقرب الناس لي . إذا كـانوا يطلبـوننى من طهـران فى أى وقت فكان عامـل التليفـون بالسفـارة يذكر لى رقم الطالب وكـان بإمكانى أن أتصل بنفـسى بطهران . لكننى كنت أعـرف صوت عامل التليـفون ، أما من اتـصل بى فكان رجلا كـبيـر السن غيـر انجليزى . فـضلاً عن أنه لم يـنتظر إجابة منى وحـدثنى بالفارسية . وضع السماعة وبقيت أنا حائراً . غلب علىّ الخوف . من هذا الذى يعرف رقم تليـفونى السرى ويتصل بى فى مـثل هذا الوقت ؟ يصدر أمره ولا ينتظر منى موافـقة . وبعد مدة خرجت من حـيرتى وقدحت زناد فكرى واستقصيت الأمور ومـر بخاطرى ألف دسيسة . تصورت فى الوهلة الأولى أنها مكيدة دبرها لىّ حسـادى وأعدائى . لكن من أين حصلوا على

هذا الرقم . تمثل لى فى الوهلة الثانية أنه جاسوساً أجنبيًا تسلل إلى جهازنا أخذنى الرعب . هل ثم خطر يتهددنى ؟ هل حدث فى طهران حادث ؟ ويريد أحد الأصدقاء وفاعلى الخير أن يحذرنى . قرعت جرس عامل تليفون السفارة .

- هل أعطيت رقم تليفونى لأحد ؟ هل اتصلت بى ؟ هل يمكن أن يكون هذا الرقم وقع فى يد غريب ؟ كان النفى إجابة كل هذه الأسئلة . غادر النوم رأسى . نهضت . فتحت النافذة . كان الهواء رديئاً أقفلته . خرجت من الغرفة . أخذت أذرع من هذه الغرفة إلى تلك الغرفة . تمددت على السرير لم يمر نصف ساعة حتى دق ثانية جرس التليفون . رفعت السماعة . لم يكن الصوت الأول كان شخص آخر غيره هو الذى يكلمنى، لكن صوته من الضعف بحيث لم أستطع سماعه . رفعت صوتى ، زعقت أكثر من مرة . (صوتك غير مسموع . ارفع صوتك . لا أسمعك أترك السماعة . أذكر لى رقم تليفونك ومدينتك وأنا أتصل بك ...) لم تفلح جميع محاولاتى . ألقيت بالسماعة بشدة . وعدت إلى ذرع الغرفات. لم يعاودنى النوم كنت أود الذهاب بأسرع ما يمكن إلى مكتبى وأبحث عن الجاسوس المفسد واستجوب كافة من أعطيتهم رقمى هذا هل يريدون منى شيئا . تذكرت أن التيمسار الفريق لديه هذا الرقم .

صار الوقت حوالى السادسة . حلقت لحيتى ، كنت أريد مغادرة البيت حتى دق التليفون ثانية . كان هو الصوت الأول وقال (كان أحد أقاربك . كان يريد أن يقول لك (كف عن عنادك قبل فوات الأوان وخلّص نفسك من الخطر الداهم) .

ترك السماعة ولم يعد يسمع غير الصمت المطبق وبقيت السماعة فى يدى هل يريدون السخرية بى ؟ سجلت المكالمة هذه المرة . أدرت الشريط وتمعنت بدقة فى كل كلمة فيها . (أحد أقاربك) كان يريد أن يقول لك

(كف عن عنادك) مـاذا حدث ؟ ماذا فـعلته ولا يجب فـعله ؟ أقاربى : رقية ، والدتى ، موسى جون ؟ لا أحـد لى غيرهم : ربما كانت أمى فمن أين لهـا هذا الرقم ؟ هل هى رقـية ؟ أرادت أن تفـهمـنى أنها لم يقـبض عليهـا؟ من أين أتصلت ؟ من طهران ؟ من مدينـة أخرى ؟ من فلسطين ؟ من التيمسار الفريق أم من الدكتور بيجن ؟

ذهبت إلى مكتـبى يسيطر على الخـوف والوحشة والتـردد . كنت أنظر حائراً فى وجوه جـميع من أعرفهم . هل عندهـم أيضاً علم ؟ هل سـمعوا شيئا ؟ هل خطر يتهددنى ؟ اتصلت بشيخك . لم يكن لديه ما يقوله سوى سخـريته منى . ضحيت بعـطائه تجنباً للقائه . ذهبت إلى السـفير متـذرعاً زريعة . كـان مسلكه مـعى عاديا . أمر بإحـضار الشاى لـى . تحادثنا لمدة نصف الساعة عن الأوضاع من خروج نيكسـون من الرئاسة وأحاديث كثيرة متنوعـة . سائر هذه الأعمـال الشاغلة فى هذه الساعـات العديدة لم تكن لتقضى على اضطرابـى . كان قلبى ينزل فى قدمى فزعاً عندمـا يقرع أحد باب مكتبى . عـدت إلى منزلى بعد الظهر . نمت نصف ساعـة ، نهضت من نومى وصممت على السفر إلى طهران حتى أتفحص الأمر برمته .

رتبت أسباب السفر خلال يومـين أو ثلاثة . استدعيت فى اليوم التالى كل الثلاثة إلى مـكتبى خان على وأهارى مـعا ودماونـدى منفرداً . آهارى الذى ذاق مكرى من قبل كان يحسب حسـابى كالكلب . بل كان طوعاً لى ويرسل لى خطابات الانقيـاد ويتملقنى فى السنوات التالية حـين كان يمكنه مضايقتى .

لم يكن الاجـتماع بـخان على وآهارى صـعباً كـثيـراً . بدأت بالغلظة والخشونة : إلام يا سادة سـوف تظلان معلقين ؟ إذا كنتما تحـبان وضعكما هذا فاتركا الأمـر ونخسر القضـية . ألا تعلمان أن جميع هـؤلاء اليسـاريين

وأعـضاء الاتحـاد أعداؤكم ؟ ويجب عـليكما ألا تعطيـانهم الوسـيلة التى يهدرون بها كرامتكما . القضـاء على جرائمهم بأن نكتب رسائل الدكتوراه وهذا الأمر يستغرق دائماً من أربع إلى خمس سنوات وليس أمامنا أكثر من سنتـين أو ثلاث قـبل أن نصل إلى هذه المرحلة نحـاول أن نسلم رسـائلنا للأستاذ المشرف بعد عام واحد ، والتبريرات التى سقتماها فى هذا الموضوع لم تقنعنى تماماً . ثم تلطفت فى الحديث وشجعتهـما وحفزتهما لكى ينهيا دراستـهما بأقصى سـرعة وأضفت : إيران بلدنا العـزيز يتجه بسـرعة إلى الارتقاء . سمعتما أوامر الحضرة العليا إن علينا أن نسبق خلال عدة سنوات البلدان الخمسة العظمى فى العالم.

من يحقق هذا المطلب ؟ يجب أن يتحقق على أيدى أمثالكما من الأفراد فمن أين نحصل على الأفراد ؟

ألا ترون كيف أن الشـاه يهتم بكم أيهـا الدارسون ؟ أنظروا إلى السـيد آرمايش كان سيادته طالباً مثلكما قبل عدة سنوات وهو اليوم أحد مستشارى الشاهنشاه ، يتولى رئاسة محـافظة كبيرة بإيران ويديرها بعقل وتدبير ويدين كل شعب إيران بخـبرته وبراعته . كـيف حدث أن السيد دماونـدى يتقدم عنكما ؟ صحـيح أنكما تزيدان نشاطاً عنه فى الأمور السيـاسية ، لكن هذا لا يكفى ، عليكمـا إنهاء دراستكمـا أيضا بأقصى سـرعة ولا تتـخلفا عن دماوندى .

فقالا كـلاهما بلسان واحد : أنه لم يدرس يا سيدى شـيئا فى الأصل. وهناك من يكتب له رسالته : حسناً إذا كنتمـا تواجهان مشكلة بسبب اللغة فاستعينا بأناس غيركما يعيشون فى باريس وهـم مستعدون لمساعدتكما .

وكان قـصدى أن الفت انتـباههـما إلى فرزان . ولم أدع لهـما فـرصة لمداومة المناقـشة والجـدال . قمت من مكتبى ، فـأطاعانى طوعـا أو كرهاً ونهضا .

- أنا الآن ليس عندى وقت . تعاليا إلى منزلى الليلة فى الخامسة والنصف لكى نتناول معاً كوباً من الشاى . أفصحا لىّ عن أفكاركما وعدانى بأن يعودا إلى إيران بلقب دكتور .

كان قصدى أن يذهبا إلى فرزان ويطلبا منه أن يعد لهما رسالتى اجتهادهما وأرسلهما إلى إيران بلقب مزور .

وحين أتيا منزلى بعد الظهر تحدثت معهما بنحو أكثر صراحة . أفهمتهما تلويحاً وإشارة بأن يستفسرا من أصدقائهما ومعارفهما من يعمل بهذا العمل فى هذه المدينة ويمكنه أن يقدم لهما عونه فى هذا المجال . لابد أنهما فهما مقصودى . إذا تطلبت مساعدته نفقات فإنه مصرح له من قبل وزارة التعليم بأن يتعهد أمرهما . وعدنى أهارى ورفيقه بأن يأتيا إلىّ بعد شهور عدة ومعهما رسالتان إحداها فى القانون والأخرى فى القانون السياسى .

ولم تكن ملاعبة دماوندى بمثل هذه السهولة . فما أن بدأت بالقسوة حتى غضب وشخط فىّ بأنه ليس من أهل العلم ولا يعرف هل العلم المسمى بالبوليتولوجى يشكل صعوبة خاصة للأجانب الذين يريدون نيل درجات الدكتوراه فى هذا البلد - لقائى بهذا الصبى الممخوط الأنف وجه انتباهى إلى نقطة كانت قد صادفتنى حتى ذاك التاريخ لكنى لم أنفذها عمليا . تذكرت معاملة الدكتور بيجن والدكتور جهانجير وغيرهما لشيخك . فما أن يزج الجواسيس بأقدامهم داخل جهاز آخر حتى يبدأوا فى إظهار قوتهم وتهديدهم ويظهروا أن عظامهم ليست طرية . لكن هذا المغشوش كان قد دخل الميدان لتوه ولم استطيع تحمل خداعه لى . فسددت عليه الطريق وكسرت منقاره وقاطعت حديثه قائلاً .

- ياسيد دماوندى ، اذهب وقل هذا الكلام لأبيك . نحن أيضا على علم بهذه الحيل ومارسناها . أنت هنا أجير عندنا وعليك أن تنفذ مهماتنا .

لا يهمنا البوليتولوجي والساينس هل تظن أنني لا أعرف من يعد لك رسالتك؟).

حمّلته بعنف مالا يطيق حدّ أنه لم يجد مناصاً من أن يسحب ذيله ويمضى لحال سبيله . أخرجته من المكتب وقلت له (أنا ذاهب إلى طهران بعد عدة أيام) . وحين أعود عليك أن تخبرنى متى تنتهى رسالتك، لا تخدعنى ولا تخدع أصدقاءك ، كونوا معاً هذا أفضل لكم . قال الشاهنشاه أن الشباب المتعلم يعود بأقصى سرعة إلى وطنه ليتسلم زمام الأمور) لقى من الخجل والإحراج مالم يكن يصدقه هو نفسه . كان كفأر مبلل يزحف داخل الشق رتبت أسباب السفر . كلفت أحد كتبة السفارة بأمور الطلاب . أخبرت السفير بالهاتف أننى مسافر إلى طهران ، سقطت في يده ، فسألنى هل هناك أخبار جديدة ؟ .

- لم يحدث أى جديد . هدفى هو إعداد وظائف وأعمال للخريجين حتى لا يتشتت حالهم فى إيران وينشغلوا بأعمال فى أسرع وقت .

حجزت تذكرة الطائرة متعجلا ، اشتريت بعض الهدايا للمعارف والمنتظرين . اشتريت لرئيس الجهاز وعاء للفاكهة من الكريستال بسعر (٧٥٠) جنيها وأعددت بعضا من علب السجائر الذهبية والمذهبة وبضع ساعات وخواتم وهدايا أخرى لصغار الموظفين . امتلأت حقيبتى بالهدايا . دخلت طهران آخر شهر بهمن عام ١٣٥٣ واتجهت مباشرة إلى منزل أمى ، نفس هذا المنزل الحقير الذى ولدت فيه وعشت فيه . كانت آثار الفقر والعجز والانهيار تثير من الباب والجدران الاشمئزاز . هزتنى الحقارة والبؤس بعد أن اعتدت النعيم والنعمة . طرقت الباب كثيراً حتى تمكنت والدتى من الوصول إلى درجات الباب وفتحه . تغضّن وجهها كثيرا . لم يغط هيكلها غير الجلد والعظام الباهتة . كانت من الهزال بحيث كنت أخشى أن أحطمها على صدرى . انعقد لسانها ما أن رأتنى . أصيبت بالخرس . لم تقدر على التفوه بكلمة . كأن عينيها لم تعودا تريان .

تعرفت على صورتى . تحسست بأناملها الميتة وجهى . لا طفتنى . رفعتها من فوق الأرض . ألقيت بساعدها على عنقى.

كانت أنفاسها تتقطع . حملتها إلى الحجرة وأرقدتها على السرير وجلست بجانبها ورفعت بكلتا يدى أصابعها الذابلة التى استحالت عظماً وقبلتها وسألتها :

- أمى كيف حالك ؟ .

-إذا لم تأتِ ماكنت رأيتنى ثانية .

مكثت بجوارها بضع دقائق . غطيت وجهها . أخذت يديها الشديدتى الهزال فى يدى :

- أمى العزيزة ماذا حدث لك ؟ .

أجابتنى بأنفاس متقطعة وبصوت خفيض : - ليس فىّ أى شئ . أنا بخير . أنا على ما يرام . كل ما هنالك أنى كنت متألمة لأنى لن أستطيع أن أراك ورقية مرة أخرى ثم رفعت رأسها من فوق وسادتها . كانت تريد أن تقترب إلى أذنى . قربت أذنى إلى شفتيها ، وببطء كأنها تريد أن تفضى إلىّ بسر لا يجب أن يعلمه إنسان قط :

- رأيت صورتها ؟ .

هززت رأسى .

- هل هى نفسها . عيناى لا تريان جيداً . هل الصورة لها ؟ .

أخرجت من تحت المرتبة صورتها . ألقت بنظرة حواليها وأرتنى صورتى رقية ، إحداهما من عهد خطوبتها والأخرى صورتها وهى محجبة . لم أسألها من أين حصلت عليهما . أغمضت عينيها . حركت شفتيها .

- طلب ألا أفضى بشئ لأحد . جاء بها خطيبها . يقول ان صورة المحجبة ليست صورتها . لاطفت والدتى . قبلت ما بين عينيها . كأنها

كانت تريد أن تنام . صمت كلانا بضع دقائق . كنت حينا أنظر إلى وجهها . وحينا كنت أنظر من النافذة إلى الفناء الذى بدا لى أقل اتساعاً .

بدأت أمى تزمزم . كانت تريد أن تغنى . نفس الأغنية التى كنا نتغنى أنا ورقية فى سن الرابعة والخامسة بها بعد موت أبينا . كانت أمى تغنيها وكنا نحن الاثنين نتراقص معها .

ليس فى القلب رغبة فى المراتع والصحراء . . ولا ميل للتريض أو الفرجة .

لم تكن تعرف باقى الأغنية من الذاكرة فكانت هى تنسج الشعر بنفسها

الزمان لا يفكر فى التوافق معنا . . فلا رأب لنا شئ لدينا ... لم أفهم بقية الشعر . الصقت أذنى بشفتيها . سمعت رنينها . لم يكن يأت صوت آخر ... برزت فى مخيلتى من الظلام آلاف الأخيلة ، ونمت وشبت وانفصلت وولت هاربة . استعرضت حياتى فى بضع لحظات .

تتبعت فى عالم الخيال الحجرة التى كنت أقوم بأعمال النجارة فيها . كانت شجرة البقس تبدو من خلف زجاج النافذة . وكانت شجرة الخوخ بذاك الطرف من الحوض الصغير كنا ونحن صغار نقطف ثمارها قبل نضجها ونأكلها ونبصق تفالتها . لم تظهر حجرتى . كان حائط طويل بارتفاع مترين يخفيها . سمعت سابقاً أن أمى أجرتها لكسب معاشها ثم باعتها . ذهب حدسى إلى أن الجهاز أشتراها لكى يطلع على من يتردد على منزلنا . لا تزال سجادة عهد الطفولة مبسوطة فى الحجرة بقليل من التغير .كان كرسى موضوعاً فى زاوية منها . فى مواجهة الباب لا زالت المنضدة وعليها مفرش الحرير المشجر الذى أتيت به من لنجة من قبل ، وشمعدان شمعتين ومرآة هذا ما بقى ولا شئ آخر من آثار العهد الذى يولى فى هذا المنزل الحزين وكانت أمى المسكينة قد اشترتها أساساً لزواج ابنتها عن طريق الاقتراض والاستدانة . وبجانب الشمعدان كان يرى المصحف هدية رقية إلى أمها .

لم تستغرق هذه الراحة المبهجة غير بضع دقائق لكنها انقضت عمراً بالنسبة لى . استفاقت أمى شيئا فشيئا . قالت : - سأقوم لأعد لك شايا . أذهب لأعد لك طعاماً للغذاء سألتها : - أمى من الذى يخدمك ؟ .

- موسى المسكين . أخذ إجازة منذ بضعة أسابيع ويطل علىّ كل يوم . يشترى لىّ كل ما أحتاجه يحمله لىّ . لم يقصر فى أى شئ يخص الطبيب والدواء . امرأته حين تجد فرصة تطل علىّ ، الاثنان يحبانني كثيرا جازاهما الله خيراً . والآن أخبرنى عن نفسك . هل أنت على ما يرام ؟ رزقك واسع ؟ .

ثم خفضت ثانية صوتها حتى لا يسمعها أحد مطلقا .

- هل تعرف شيئا عن أختك ؟ يقولون إنها صارت فدائية ؟ .

لم أكن أدرى بأى إجابة أجيب قلت : هى فى الأمان إن شاء الله .

- الحمد لله .

سألتها : - أمى الحبيبة ، ما أحوالك الآن ؟ .

- لا شئ . منذ أن عرفت أنك آت وصحتى فى تحسن يوما بعد يوم. رأيت البارحة فى منام أن رجلاً أخضر العمامة يأخذ بيدك ويسلمك لى . تلك الحالة التى رأيتنى فيها بجوار الباب كانت بسبب جزعى عليك . أنا بخير الآن . سوف أرتب الآن كل شئ من أجلك . يمكنك أن تنام أيضاً هنا إن أردت . بعت الحجرات التى بذاك الطرف . كنت فى احتياج. الآن أحوالى أحسن .

نهضت أمى على قدميها بينما كانت تتحدث . وضعت على رأسها طرحة سوداء وقامت بترتيب أثاث المنزل . كان المطبخ ودورة المياه بجوار

نفس هذه الحجرة . ذهبت برفقتها وغسلت رأسى ووجهى تحت صنبور الماء . اضطربت لأننى لم آت بحقيبة سفرى معى ، سأمضى الليل هنا إذا لم أصحب أمى إلى منزلى .

ظننت أنى بحضورى إلى منزل أمى سوف أنفخ فيها وهى تقضى أيامها الأخيرة روحاً جديدة وأسعدها ولو لمدة قصيرة . يجب العمل على أن نقضى فترة معاً . كان كلانا يحاول ألا يذكر كلمة عن رقية . كانت أمى قد أعدت لىّ حساء اللحم والخضار والكفتة وأتى موسى جون بخبز طازج معه . بهت حين رآنى . لم يكن قد سمع من أى مكان ولا من (العريس) الذى كان يراه حيناً حول البيت والفناء أننى راجع . وما إن سنحت لى الفرصة حتى اختليت به . سألته أسئلة عويصة عن أحواله وعمله وعن التوقعات التى لديه عنى عن حالة أمى وعن المصاريف التى أنفقها على علاجها ، ثم استقصيت منه عما يعرفه عن أحوال رقية ومآل حياتها . لم يكن يعرف شيئا . رأى كغيرة الإعلانات الملصقة على البيوت والجدران . أخبرنى بأن أحد أقارب زملائه اعتقلوه فى قمشة ثم هاجموا منزله وقلبوا رأساً على عقب سائر أثاثات منزله وأخذوا معهم بعض الأوراق والكتب . اعتقلوا أيضا زميله فى العمل لثلاثة أيام ثم أطلقوا سراحه . ولا يزال أحد أقارب صديقه هذا معتقلا ولا يعرف عنه أحد شيئا . رأى (العريس) أحيانا فى الشقة ذات الحجرة الواحدة التى باعتها أمى . لم يستطع أن يحصل منه على معلومات أخرى .

قلت له : - لن أستطيع أن أبقى فى طهران أكثر من بضعة أيام . وأنت تود أن تجد هنا فى طهران عملاً أفضل . سوف أجد وسيلة أجعلك بها تستقر هنا . والأمر الهام الذى أريده منك هو أن ترضى والدتى بأى طريقة بأن تنتقل إلى منزلى . ترددى على هذا البيت بعد هذا ليس من صالحى . نؤجر هذا المنزل أو نبيعه .

دسست يدى فى جيبى لأناوله مالا . رفض . لم يكن يريد أخذه . قلت له : -لا ترد يدى بلا مبرر . أنا لا أعطيك إحساناً . وإنما أقرضك هذا المال وحين تجد وظيفة أفضل فى بنك أو فى السوق سوف تعيده لى . ولا بد أنك أنفقت مصاريف على علاج أمى ودوائها . باقى المبلغ أنت تدين به لىّ وسوف ترده لىّ حين تحوزه أعطيته ألفى تومان . لم يقل كلمة أخرى . وضعها فى جيبه وقبلنى . كان استنباطى هو أنه لم يكن يتخيل أن المال الذى سوف أعطيه له بهذا القدر من الوفرة .

أمضيت كل يومى مع موسى جون . رأيته يجهل كثيرا عن العالم الخارجى . لا يعلم شيئا عن أى شئ خارج ما يجرى فى أردبيل وقم ولا هيجان وفيما حوله .

كنت أريد أن أستدرجه لأعرف من كلمنى تلك المكالمة الغامضة . من الذى أعطى رقم تليفونى إلى غريب ؟ سرعان ما زال الاشتباه لدى بأن موسى وأمى يمكن أن يكونا هما اللذان أعطياه . إذن تبقى رقية نفسها وأعوانها وأنصارها .

هذه الجماعة بالوسائل التى تحت تصرفهم يمكنهم أن يفعلوا ذلك . هل يمكن أن يحدث شئ من هذا القبيل ؟ ربما يكون من بين زملائها سافاكون، يمكن لهؤلاء أن يتدخلوا بالشر بين اثنين . ليس الأمر صعباً عليهم . وربما الروس لم يخترقوا الجهاز وأعطوا رقمى لأحد أعدائى الألداء سراً . ويوجد من يعلم كم يدر عملى من ربح عظيم على صاحبه . هم من يريدون أن يسحبوا البساط من تحت قدمى . ظلت ألف فكرة باطلة تجتاحنى . لم أكن أجد أى مفر وحل . وفى النهاية حين أعجز يعود أيضاً منظر التيمسار القبيح وبطانته ينتصب أمام عينى . لن أستسلم لهم لو كان علياً جمالاً فإنه يعلم أين يبيت جمله .

استأذنت موسى جون واتفقنا على اللقاء السريع فى منزل والدتى وإذا أمكن فى منزلى . وفى الخامسة بعد الظهر استأذنت أمى واتصلت هاتفيا برئيس الجهاز وأبلغته أنى وصلت نفس ذاك اليوم من لندن وأود مقابلته قبل أى شئ آخر : (إذا سمحتم بمقابلة سيادتكم الليلة فى أى وقت تأمرون بمنزل سعادتكم لأداء فروض الطاعة والاحترام) . أبدى شديد اهتمامه . فهم على الفور أننى لم آت صفر اليدين . دعانى على العشاء أول الليل وتيقنت من عدم وجود مؤامرة .

اشتريت باقة ورد وذهبت بالتاكسى إلى منزله .

كنا فقط نحن الاثنين على مائدة العشاء . أفصحت له عن كل ما بقلبى. كان رجلا وديعاً . أعلن أن الفظائع انتهت تماماً فى سجن أوين وفى معاقل السافاك من وقت أن تولى سيادته الجهاز .

رويت له بالتفصيل ما أضمره بقلبى . ذكرت له جميع مشاكلى من نشر صورة رقية والمكالمتين الغامضتين وتأنيب أتباعى ومنهم دماوندى وكان هو يسمعنى ويعطينى من وقت لآخر الطعام والشراب ويبتسم . بحت له بكل ما يداخلنى وشعر هو أننى لا أبلغه شيئا بل أبحث عن مخرج . وبعد العشاء وضعت على المائدة باقة الورد فى وعاء الفاكهة الكريستالى . مكث ينظر إليهما بضع دقائق وقال :

- ذوقك راقٍ جداً .

ثم جلس على كرسى وجلست فى مواجهته .

-قم بأعمالك ولا تشغل نفسك بهؤلاء المحتالين . الجهاز ليست لديه أدنى فكرة عن موضوع أختك . ولا يعلم أن هذه الصورة الثانية صورتها . الصورة الأولى كانت لها وقت خطوبتها أو زفافها . أنا لم أحط علماً بالطبع بجزئيات الملف ولا أعرف ما السبب فى ورود اسمها فى ملفات

الفدائيـين . إذا لم تخنى الذاكرة فإن مدار الكلام عن سـوار ظهر فى منزل أحد الماركسيين الإسلاميين وادعى أحدهم أن السوار كان يتعلق بأختك .

وكنت قد درست ملفك قبل أن أقبل طـلبك وأقرر مقابلتك . أنت منذ نحو سـتة عشر عـاماً حتى الآن تعمل فـى الجهاز ويعلم الجمـيع بوضعك ووضع أختـك لم تقصر مـطلقاً فى عـملك . كنت على العكس من ذلك سبـاقاً وجاداً فى البـحث ووصلت من وظيفـة متواضـعة إلى هذا المنصب الحالى . لا أعرف بالضبط من يـتدخل بلا وجه حق فى أمورك . لا بد أن الفريق التافه الذى لا يعرف السمـاء من العماء ويريد أن يسيطر على جميع الأمور فى الجهاز هو مَن وراء ذلك . لقد حكموا دون أن يحققوا فسألت :

- ذكرتم سيادتكم أن سواراً اكتشف فى محل لتجمع الماركسيين ؟ .

- يقال إنه كان ملك اختك ، لا تبالِ . هذا ليس أمراً مستجدا . يوجد حول القائـمين بالخدمات أشخـاص منحرَفون . يمكن أن أذكـر لك أسماء بعضهم . راجع الشـعبة المختصـة فيما يتعلق بـالسوار . انظر هل سبق أن رأيت هذا السوار أو تعرفه ؟ هل هو فعلاً ملك أختك ؟.

كنت أستأذن السيدة زوجته فى القاعة الكبرى حين نادانى ثانية وقال :

انتظر . تفضل اجلس دقيقة . لدى مـذكرة تتصل بعملك . حسناً طالما أنت هنا فأجّل سفـرك واشترك فى المؤتمر الذى سيعـقد بوزارة الداخلية بناء على الأمـــر الملــكـى حـول إعـادة الـنظر فى أسلوب إدارة البـــلاد وفق المقتـضيـات الـراهنة . هل لديك الفرصـة فى أن تعود إلى مـحل عملك متأخراً بضعة أيام ؟ .

فقلت : -أنا طوع لـكل أمر تأمرون به . مـهماتى فى الـسفارة تسـير سيـرها العادى وهم يحيطوننى علمـاً بها كل يوم . ولو اقتـضت الضرورة أعود لمدة يوم ثم أرجع .

- حسنًا جداً . قال هذا وهز رأسه ونهضت أنا .

وفي صباح اليـوم التالي عرجت على شعبـتي بدون انذار سابق . بهت الدكتور جها نجير حـين رآني متصوراً أنهم أنزلوا بي الهوان . وما أن رآني أدخلُ بعنجهيـة وكبرياء وأصدر أمري بأن يأتوا إليَّ بملفات الفـدائيات حتى فغر فاه دهـشة . رفع السماعة ولم أفهم هل كـان يطلب إذناً من رئيسه أم كان يأمـر بأن يأتوا بالملفات . لم يأت أحد بالملفـات وأتى سافاكي مبـتدئ ومغمور وأدى إليَّ احتـرامه واصطحبني إلى شعبة الاستجـواب وكان معلقاً على حائط فـيها صـور خمس من النسوة . نفس الصـور التي نشروها في المدن ورأيت فيمـا مضى نسخة منها في باريس عند شـيخك . وجدت في الملفات صـورة خطوبة رقيـة والصورة الثانيـة بعدها بعشـر سنوات أو اثنتى عشرة سنة يمكن أن تكون لأختي ، غير أن الحجاب الأسود الذي غطى كل وجهها ولم يكن يظهر غير دوران الوجه . لم يمكنني أن أحدد إذا ما كانت أم لا . هي . وقد زاد من الغموض وجود نظارة سوداء عـلى عينيها طبعا يمكن أن تكون صورة رقية لكنني أنا أخوها أشك في هذه الحقيقة .

أمرت بإظهار كل ما حرّزوه من منازل النسـاء والفتيات، الفدائيات ليّ . فقمت بـفحصها وكـانت بعض الكتب وبعض أشياء وأغـراض أخرى كان المسئولون يحققون فيها .

كان السوار في كيس من النايلون وهو الذي اشتريته من ميناء لنجة . لم أبد اكتراثاً سألتهم : هذا السوار ملك من منهن ؟ .

أجابوا : كـانت واحدة فقط تعيش في هذا المنزل حـتى الآن من خمس نساء ، فـقبض عليهـا واختفت الأخريـات . أدعت هذه المرأة أن ليس لها علم بأي شئ ، وأن أمها التي ماتت أجرت الحجرة لامرأة تجهل هي اسمها وكـانت تتـردد على هذه الحـجـرة بضـع نسـوة أخـريات لم تكن تعـرف

أسماؤهن. ويبدو أن المخربات خدعن تلك المسكينة الجاهلة واستأجروا منها الحجرة . ولم يضبط أى شئ آخر .

فسألتهم : فمن أين جاءت صورة رقية ؟ .

- السوار كان ملك رقية . أكد هذا أحد معارف رقية .

تنبهت للحقيقة ، اكتشفت آثار الدكتور بيجن و (العريس) .

ذهبت أبحث عن الدكتور بيجن و (العريس) . حكيت له عن كل شئ . كان الخطيب أو العريس قد أكد أنه رأى هذا السوار فى يد رقية وقت حبه وولعه بها ولا بد أنه ملك لها أو كان ملكاً لها . دققت الفكر . إذا افترضنا الآن أن هذا السوار كان يوماً ملكاً لرقية فمن أين نستنبط أن رقية كانت تعيش بين النساء الخمس فى هذه الحجرة . ربما أيضا كانت رقية باعت السوار ثم وقع فيما بعد بأيدى إحدى المخربات اللاتى كن يردن بيعه للانتفاع بثمنه فى أمورهن . صورة رقية الأولى كانت نفس الصورة التى بحوزة العريس لكن من اين أتوا بالصورة الثانية ؟ الأخ نفسه لا يتعرف على اخته منها . ليس من دليل على أن رقية كانت على علاقة بهولاء النساء الأربع المفقودات الأثر . طبعا يمكن أن يكون السوار بلا شك قرينة، ولكنه ليس دليلاً .

تشاجرت و الدكتور بيجن . اتجهت إلى منزله . كانت لافتة منزله لا تزال تحمل اسم الدكتور بيجن . تخلصت من زوجته . امسكت به . قبضت على الحاج على الساوجى وحيداً فى منزله الذى اكتسب إذ ذاك مظهر بيوت الأعيان وتجهيزاتها وتخلى عن حالة منزل (العريف أول) . قلت له بمجرد مقابلته : (ياحاج على ساوجى) مع من أوقعت نفسك ؟ هل تظن أنك تستطيع أن تطعننى من الخلف ؟ هل وبقوة التيمسار الذى كنت يوما جندى مراسلة لمنزله ، تنظف دورة المياه فيه تستطيع أن تقضى

عليّ ؟ الآن انكشف المستور . مـا الذى يمكن للتيمسـار أن يقدمه لك ولا أقدمه أنا لك ؟ كف عن عنادك . تعال وضع يدك فى يدى . لو كان لديك فهم وشعور لكنت أدركت حتى الآن أننـى كنت على الدوام ظهيراً ومسانداً لك . أنت من الذكاء بالحد الذى يجعلك تفهم قوتى الآن .

كنت كلمـا حاول أن يقـاطعنى أمنعه وأحـبطه تماماً . لم يكن يكفـينى جمل مثل (أنا دائماً كنت صـديقك وخادمك) (لم أتجاسر) (الآن أيضا أطيع كل أمر تأمر به) قلت :

– مـاذا حدث ؟ وتذكرت فجأة رقية . لماذا ؟ هل تريد أن توقع بى ؟ ماذا ؟ هل بإمكانى أن أمـلأ جيوبـك أكثر أم تيـمسارك البـائس الذى صار موضع غضب الحضرة العليا الهمايونية ؟ .

كان « يهاجم مرة ويهادن أخرى . » ويقول (ليس الأمر هكذا) (ظهرت فى النهاية وثيقة وكان لا بد من التحـرى عنها) . كنت أشحذ المثقب أكثر حتى قطـعت به عـرق منامه . كشـفت له عـن قضـية مرضـية . قلت : (أطلقت سراح عدو للشـاه اشترك فى اغتيـال العقيد أركان الحـرب مقابل رشوة قبضتها منه) .

ارتفع صراخه .

– لا تزعق . هل تعلم معنى هذا ؟ .

أراد أن يقـول (كنت ...) فكتـمتـه بقولـى : من الذى سوف يقـبل كلامك الفارغ ويرمى بكلامى على الأرض ؟ .

أجبـر على التراجع ، ارتبك وتلعثم . خـاف أن تضيع منزلته ووضـعه الذى ظل لسنوات طويلة يبنيه بطلوع الروح وتدبيـر المكائد والغش. ترفقت فى حديثـى أنذاك وقلت (لا يمكنكم أن تطرحونى جـانبا كـيفـما اتفق .

زعماء أعداء الحضرة العليا من أعضاء الاتحادات تحت ركابي . أقوم بترويضهم جميعا . تحركاتهم مرصودة . أراقب أيضا تشكيلات رجال الدين في أوروبا . جرابي مملوء . لن تستطيع أنت والتيمسار السيطرة عليّ . قل له أن يسترو مونيكا صاحبته القذرة ولا يثرثر . وانتح جانبا ولا تتدخل في الأمور العالية . وإلا سوف تنال أجرك مني) .

وأخرجت من جيبي علبة سجائر ذهبية وخاتما فيروزي الفص وقلت :

- أتيت بهذا هدية لك ولزوجتك لكن بشرط ألا تصب يا حاج على الماء في طاحونة الأعداء ثانية وإلا فسوف ألعب بالرهان الأخير .

وعدت بالليل إلى منزل والدتي . كانت قد أحسنت ترتيب الحجرة فرشت في وسطها سفرة بيضاء وكانت الشمعدانات تبرق ، وبوسط السفرة كان مصباح مرتفع القاعدة مضاءاً ، بينما أنارت سقف الحجرة لمبة بقوة مائة شمعة . سألتها .

- ما كل هذه المصابيح التي تنير بالجاز و بالكهرباء ؟ هل ستستضيفين بلداً بأكملها ؟ .

- كل ما في الأمر أن الكهرباء تنقطع أحياناً . تعودنا هذا . فلدينا مصابيح الجاز ومصابيح الكهرباء .

فسألتها : ولماذا كل هذه الترتيبات ؟ .

- دعوت موسى وزوجته الليلة - وهذا من أجلهما .

حقاً استردت أمي حياتها بعد خمود ولم تكن تلك التي كانت منتهية نهاراً وما أن سمعت طرقات الباب حتى همست أمي ببطء في أذني :

- لا تقل شيئا عن رقية . أمرأته غريبة لا نعرفها .

جاء الضيفان . كانت مينجة هانم زوجة موسى جون جميلة وجذابة ، اهتمت كثيرا بزينتها وماكياجها . بمجرد أن كان أحد يخاطبها ، كانت تبتسم لم أفهم هل كانت تعرف الحقيقة أم تجهلها . كانت تقهقه بشدة أحياناً إذا طاب لها الكلام . عرفت أنها كانت جاهلة تماماً بأمرى وعملى وكانت تظن فيما يتصل بى أننى ذاك العظيم ذو الوقار والعقل الذى سقط من الفردوس الأعلى على بلاد الخراب العتيقة هذه .

وبدأ موسى جون الشكوى من عمله . أموره لم تكن على ما يرام . الحياة فى المدن الصغيرة لا تكلف كثيراً . كان يوفر أيضاً بعض المال . لكن صبره يكاد ينفذ فزوجته لا بد أن تعود إلى أسرتها شهريا ويبقى هو وحيداً . أهل مدينة (فا) وديعون لكنهم محدودو الفكر وبلا تجارب . لا تزال كثرة من نسائهم تخفى أموالهن فى جواربهن وزوجته لا يمكنها الاختلاط بزوجات رؤساهم الأقسام لأن لكل منهن مشاكلها الخاصة وكانت تبالغ فى الذهاب إلى ضيافاتهن . كل هذه الشكوى أول خيط يمهد به موسى جون فى حضرة زوجته المجال لانتقاله إلى طهران وكنت أحفظ كل هذه الحكاية وأفهم أنه يريد إرضاء زوجته .

كانت أمى مع شيخوختها ووهنها مدركة كيف أن موسى الذى كان يباهى يوما بحديقته وحوض سباحته يتملقنى الآن وينافقنى ويسعد بهذا النفاق . لكنها كانت متجاهلة ولا تسعى بكل ما لديها إلا أن يسعد ضيفاها . كانت ليلة هانئة وكانت روح رقية الخفيفة ترفرف فوق رؤوسنا . كنت راضى النفس ، فلن يؤدى نشر صورتها إلى القضاء علىّ . كانت أمى تهم بأن تضع وسط المائدة طبق الأرز حين انتفضنا جميعاً بغتة من مجالسنا على صوت تحطم زجاج النافذة المواجهة للفناء . أصاب ظهرى حجر مدبب وكنت جالساً وظهرى إلى الشباك . وثبت من مكانى كطائر الكركى .

أخرجت مسدسى من جرابه المعلق بصدرى . قلت لموسى : انتبه للمرأتين . أنا ذاهب لأرى ماذا حدث لم يدر بخيالهم قط ما سبب هذه الحيرة والارتباك . أيقنت أن الهدف إذا لم يكن اغتيالى فقد كان إرهابى على الأقل . هذا هو مسلك رفاق رقية الذين يراقبوننى على الدوام فى لندن أو (كذا كلانتر) . فى منزل والدتى كان الجيران فى الحارة قد خرجوا من منازلهم ، سألتهم : هل ألقى أيضا بأحجار على منازلكم .

فأجابوا جميعًا معاً دفعة واحدة : لا ، رموا بجذاذات من الورق .

رأيت (العريس) يختطف مرتبكا الأوراق من أيدى الناس ويجمعها . أخذت من يده واحدة وقرأتها . قرأت نفس الجملة التى سمعتها منذ فترة مضت فى التليفون : (كف عن عنادك قبل فوات الأوان . إمضاء جمعية الإرشاد) .

كان الخطاب هذه المرة بصيغة المفرد . لم أشك فى أننى كنت الهدف . سألت (العريس) :

- ماذا تفعل هنا ؟ ! .

- (كنت أحرسك قلت لىّ أنك أنت موجود هنا وكان لدىّ خبر عن أن الماركسيين الإسلاميين هم أعداؤك الألداء . ومكان تواجدى فى الأصل هذا . أقضى أغلب الوقت فى هذه الحجرة فى نفس هذا الفناء الصغير الذى اشتريته من السيدة والدتكم . وحين تولى غيرى الحراسة الليلية أعود إلى منزلى .

- هل كنت تراقبنى أيها النذل أم تراقب كافة المنزل ؟ .

- لو تكرمت لاتسألنى .

- أنت الذى سلمت صورة رقية للجهاز ؟ .

- وهل كان بإمكانى أخفاؤها ؟ أنا ربيب نعمتكم .

- وكيف وصلتهم الصورة الثانية ؟ .

- الصورة الثانية ليست لرقية .

- ومن أين تعلم هذا ؟ .

- سيدى اتركنى اكل عيشاً .

- أجب على هذا السؤال وسوف أحميك ولن أسمح بقطع عيشك.

- ذلك الملعون هو الذى أعد تلك الصورة حتى يحطمك .

- من الملعون هذا ؟ .

- من لم يعد الآن كما كان ويعملون على طرده .

- الدكتور بيجن ؟.

- أنا لم اذكر اسماً .

أخرجت حافظتى من جيبى ووضعت في جيب معطفه ورقتين أو ثلاثاً من أوراق النقد من فئة المائة تومان . ربتُ على كتفه ومسحت بلطف على قفاه . انحنى العريس ليقبل يدى . لم أدعه

- أمضى يا بنى وباشر عملك . انتبه بأقصى ما تستطيع إلينا أنا ووالدتى . أنا سأغادر هذا المكان ، لكنى على يقين الآن من أنك سوف تحافظ دائماً على حياه والدتى .

- أنا محسوبكم .

- ماذا تعرف عن رقية ؟ .

- لا شئ على الإطلاق.

- أصدقني القول.

- أقسم بريشة تاج الحضرة العليا أن أحداً لا يدرى عنها شيئا .

- أذهب وباشر عملك .

- سوف أبقى هنا حتى شروق الشمس وأعمل متنبهاً على ألا يقوم أحد بخلل . ولو أمسكت بأحد من هؤلاء الإرشاديين فسوف أحاسبه حساباً شديداً .

انقضت نصف الساعة وأنا أتحدث فى الحارة مع العريس وبقية الجيران وظل موسى يفتح باب المنزل مرازاً ويطل برأسه ، هدأته وقلت :

-لم يحصل شئ ، هدئ السيدتين . قل لهما إن الأطفال القوا علينا أحجاراً وأصاب أحدهم زجاج نافذتنا .

كان موسى أكثر حنكة من أن يصدق هذه الكذبة . قلت له ثانية حين أطل برأسه فوق السرير من النافذة رتبوا البيت قليلا . سوف نغادره الليلة . أعدّ أمى لكى ننتقل سويا إلى منزلى .

وحين أقمنا منفردين أنا وأمى فى سكنى فى نياوران سألتنى :

هل كان الملقون بالأحجار هؤلاء أعداء رقية ؟

قلت : لا يا أمى كانوا أصدقاء رقية.

- كيف ؟

- يا ماما أى انكار فيه تحطيمى.

وحين ذهبت إلى الجهاز فى صباح اليوم التى علمت أن أحجاراً كثيرة

القيت في أحياء (باجنار) و(خيابان ما شين) و (سنكلج) و (تجريش) و (يناوران) واعتقل العشرات . ولم يكن الوقت يبلغ العاشرة حتى اتصل سكرتير رئيس الجهاز تليفونيا ليقول : سوف يعقد الليلة في الثامنة مؤتمر (إعادة النظر) فادرس ملفات الجميع حتى تكون على علم بها . قال سيادته لابأس في هذا .

ولم يكد يضع سماعته حتى أتى ذاك الموظف السافاكي المبتدئ إلى مكتب الدكتور جهانجير واقتادني إلى شعبة أخرى . رأيت هناك على المكتب ملفاً ضخماً جديداً تصفحته لعدة ساعات حتى أتعرف على المشاركين في المؤتمر . تعرفت على بعضهم من خلال صورهم أو من خلال أسمائهم .

دونت ملاحظات حول بعضهم واستعددت . كان جميعهم من المخلصين للشاه ومن منهم يجرؤ بالتلميح أو التصريح علي مناقشة الحضرة العليا . كان لكل منهم فضيحة لكن إخلاصهم للشاه كان غطاءً لأخطائهم. وصلت إلى قاعة المؤتمر قبل بدء أعمال المؤتمر وصافحت أولئك الذين كنت أعرفهم في أوروبا وتغاضيت عن أنى على علم بما ارتكبوه من تزوير وخداع ، وأني أعرف ما قاموا به من حيل حتى وصلوا إلى ماهم فيه . قاموا بتقديمي إلى أصدقائهم وسرعان ما أدرك الجميع من أكون . أفتتح رئيس الجهاز المؤتمر . كان الجميع حاضرين، المديرون العموميون ، رؤساء القطاع الخاص ، رؤساء البنوك والشركات الحكومية وإمام المسجد الجامع وكبار الوعاظ ، وممثلوا أركان حرب الجيش والشرطة والأمن والمشرف على المرافق العامة . أثنى رئيس المؤتمر على معرفتي بجميع الطلاب في أوروبا وباطلاعي الكافي والوافي على آمالهم وحاجاتهم وأيد الرأى القائل ان الأمور المستقبلية للبلاد يجب أن تظل في أيدى المخلصين للوطن سواء في الخارج أو بداخل البلاد وأن الصلاح في الإفادة بخبراتهم ، وأضاف : -

- إنهم لم يتمكنوا من الاشتـراك بانتظام فى المؤتمرات فى كل الأحوال لكنهم سوف يحضرون حين تقضى الضرورة .

أظهر الجميع سـعادتهم وهزوا رؤوسهم وابتسموا لى وكانوا جـميعا من الذكاء لكى يفهموا من أكون . رأوا جميعا أهمية التفاهم معى .

كـان النقـاش فى الطريقـة التى يجب اتخـاذها والوسـيلة التى ينبـغى استخـدامها حتى لا تنقـضى قوة الشاهنشاه وحـكمته وتوجيهـات الحكومة وتصل الصلاحيات تدريجياً إلى أيدى ذوى الخبرة . ولا شك فى أن الشرط الأول هو أن يتأكد بقوة أساس الدين والثقـافة والشعب تحت الشعار العظيم (الله . الشاه . الوطن) . وفى الأمـور الفورية والمصيرية والحتـمية التى تهيمن على المصـالح العليا للبلاد والتى لا يفهم الشعب ضـرورتها فسوف يعلن عن طلب الرأى والمشورة بالشكل الذى يتصور الجميع به ويتيقنون من أنهم بأنفسهم أخذوا مثل هذا القرار غير الشعبى .

وألقيت كلمات تفـيض حماسة ، كان كل منهـا أبلغ وأغر من الأخرى حتى أثارت شوقى ، وكنت غافـلاً ، وتمنيت أن تتحقق كل هذه الأمانى . وأخذ خـطيب آخر ينتـقد ويرفض ويبـين أن الرؤساء ذوى النوايا الحـسنة وقعـوا تحت تأثير أفكار الـبلاد الغربيـة التى تجر أوروبا وأمـريكا إلى ورطة الهلاك . وكان البعض يتفلسف بكلام مستـغلق حينا ويستشهد بالشعر إلى حد إنى لم أكن أفهم لغـوهم ولا أسمعهم أصـلاً وكنت أرى خلف خيوط عنكبوت أقوالهم وخطبـهم شكل الخطيب وصفاته التى وضعـتها فى ذهنى من خلال الملفات .

منذ سنوات عديدة خلت ، قضى رئيس الشرطة بضعة شهور فى سجن البوليس الحربى بتهمة بيع أسلحة لعشائر (البوير أحمديين) . ونجح محاميه فى أن يثبت أن موكله لم يرتكب جرما وأن هذه التهمة رماه بها رؤساء العشائر المعارضون له واستند بخاصة على هذه النقطة وهى أن كافة عشائر فارس وقبائلها استقبلت أثناء رئاسة موكله الشاهنشاه المحبوب بالاحتفالات المجللة أثناء سفر الحضرة العليا إلى الجنوب ولم يتقدم أحد بشكوى ، فبرئت ساحته .

كان وراء كل منهم مصيبة أو كما يقول المثل : (حين تمسك قربة كل منهم تخرج منها دودة) . كان ممثل أركان حرب الجيش عقيداً مدمناً للمخدرات . أثناء مكافحة المخدرات هاجم الجنود المبتدئون منزله ووجدوا فيه بعض الكوكايين . كان بدرجة نقيب فى ذلك الوقت . وعلى أثر التحقيق فى هذا الحادث . أذيع أن الجنود أنفسهم هم الذين أدخلوا الكوكايين إلى منزله ، ولم يستطيعوا معالجة الأمر مع أنهم أخبروا أحد نقباء الجيش . وكانت فضيحته آخذة فى الزيادة حتى تدخل أهله ومعارفه ونجدوه . وفى النهاية أجبروا موظفا صغيرا على الاعتراف بأن الكوكايين المسروق من أحد المهربين أُدخل على سبيل الخطأ إلى منزل النقيب ونسى أن يحمله معه. حبس هذا التعيس عدة شهور حتى توسط من أجله سيادة النقيب واشترى حريته .

والأجمل من كل هذا قصة رئيس المرافق العامة الذى يصل بنسبة إلى الشاه طماسب الصفوى . كان عليماً بكل الفنون . اشتغل فترة فى الكتابة الصحفية ، ثم سمسارا ، ثم رفع علم (جمعية مكافحة الفساد) عمل مع البغايا والدواعر وشغلّهن لحسابه ووصل الأمر إلى المحكمة وأهدرت كرامته

أثناء الانتخابات حتى تدخل أتباعه وسويت المشكلة بتوسط أحد الوزراء وأنقذوه . أخرجوا أسمه من صناديق انتخابات مدينة (باسوج) شمال غرب شيراز - فلم يعد أمامه مناص من أن يتصرف وكأن علي فمه خاتماً بخاتم على فمه فلا يتحدث بغير الحمد والثناء على القائد العظيم الشأن . وسوس إليه الشيطان ، وانتقد يوما فى مجلس الشورى الوطنى وزيرا أنجاه من مصيبة من قبل ، وكان هذا وقت أن أسس الشاهنشاه حرب (إيران الجديدة) ، وحيث أن جميع الصغار من الأتباع . كانوا يجترون الأوامر الملكية فقد أصدروا الأوامر وسمحوا علي سبيل التمويه لبعض النواب البارزين يهاجموا ويدافعوا ، وهذا يظهر إيران بلداً ديمقراطياً وهكذا تكمم أفواه الشيوعيين وأتباعهم فى أوروبا الغربية بهذه الحيلة . لم يكن يعلم أن الشاه كان قد طلب خياطين لا سروجيين ولم يدقق نائب ياسوج البائس كثيراً فلم يعيدوا انتخابه ولازم بيته متعهداً رئاسة المرافق العامة حتى لا ينقطع رزقه .

لو أردت أن أكتب شرحًا فى ارتفاع أمر كل منهم لنفد صبرى وصبر القارىء ولضاعت تلك القروش التى ربما تكون من نصيبى

لكن لابد من ذكر أن أحد هؤلاء الدواهى لأنه سىء الطوبة كثيراً ولا يحب أن يقلع عن شره . هذا السيد هو رئيس (شركة الأقمشة المنسوجة) وهو أحد أشد النصابين وأكثرهم وقاحة ومكرًا فى العالم . كان فى البداية إمام مسجد سوق صناع الصفيح . كان أحيانا يقرأ الروضة ليلاً فى سوق الحدادين بمنازل الحرفيين . كان يركب حماره ويطوف به من هذه الحارة إلى تلك واذا لم نقل أنه شحاذ فلا أقل من ذكر أنه كان يفرح بجمع

الصدقات، ويرفع كف الضراعة بالشفاء للمرضى لينقذهم من المرض وبعد ذلك وعلى أثر علاجه لعدد من المرضى بردهم إلى طبيب الحى ذاع صيته وأخذ يمارس التينيو . كان يعلم أن فلانا الزبون يعجل بالسفر ويجمع ثروات ويرتقى مكانة عالية ويعطية الله ولداً وتنزل به مصيبة كبرى فيعجل لمساعدته ويعيد إليه سعادته . كان يأخذ الفأل ويقرأ الطالع ويستشير الرمل والاصطرلاب ويعيش . وفجأة اشتهى وتزوج أرملة غنية عملت ضرتها بالسحر والمندل وكانت تريد أن تدس السم اليه قفز إلى منزل الأرملة السابقة وأقام فيه . خلع العمامة ولبس القلنسوه وأدار وكالة فى سوق الأتراك وشغّل الصبيان والكتبه وأفلس . طلقت الأرملة نفسها منه فاضطر إلى الفرار إلى منزل زوجته الأولى خلع القلنسوة الطويلة وعقد الكرافته حول عنقه ولبس البنطال المكوى وأراد هذه المرة أن يأكل عيشا من السمسرة . كان يتوسط بين الباعة والإدارات الحكومية ينهى المشاكل بين الطرفين فكون ثروة وأسس شركة (شراء البضائع الوطنية وبيعها) واستطاع أن يقترض مبلغاً عظيماً من البنك التجارى ويبيع البضائع المستوردة فى شركته التى أنشأها ويعد من كبار رجال الاقتصاد بإيران . وتصالح مع طليقته وخدعها لكى تترك ثروتها تحت تصرف زوجها . ازدهر أمر (شركة شراء البضائع الوطنية وبيعها) وبهذه الصفة يحق له بلا شك أن يشترك فى مؤتمر (إعادة النظر) .

كانت خطبة رئيس الشركة هذا حول تعميم اقتصاد البلاد وإعطاء الدور للرأسماليين الصغار بحثهم على تأسيس الشركات وإلغاء الاحتكار الحكومى وأشار إشارة قصيرة إلى وجوب

سحب المحيطون بالبلاط أيديهم من الصفقات الكبيرة الأجنبية خاصة فى مجال شراء الأسلحة والآلات الصناعية والفنية العسكرية والملاحية فى البحار والفضاء وترك ذلك للشركات الوطنية لأن ذلك سَيُعَد من أكثر الدوافع تأثيراً على دفع سائر أعضاء المؤتمر إلى التفكير والتحمس للتوفيق بين مصالحه الشخصية والمصالح العامة . أضيف أن ممثل وزارة الثقافة والفنون وهو أحد أساتذة الجامعة وصديق وزير أمور الشاهنشاه أيد نظرية الليبرالية الاقتصادية هذه حتى رئيس الجهاز كان يعتبرها - جديرة بموافقة الشاهنشاه إلى حد أن هذا الأستاذ تناسى أنه بعد أستشارة خاصة حول تأسيس جامعة همدان وتحديد مكان إنشاتها بسيارته ، اشترى لنفسه بضعة آلاف متر وباسم وزارة الثقافة والوزير وسجل عقدها قبل أن يعلم أهل المنطقة بهذا القرار وترتفع الأسعار نتيجة ذلك .

وشاعت من ذلك الوقت كلمة (الليبرالية) وأعتبرت الخطوة الأولى نحو (الاقتصاد الحر) فى البلاد .

لم أستطع الاشتراك فى هذا المؤتمر أكثر من عدة مرات وعدت بعد ثلاثة أيام بتصريح من رئيس الجهاز وتقرر أن يبلغنى حينما يتخذون قراراً يحتاج إلى مساعدتى .

عدت إلى لندن واستدعيت الطلاب المؤيدين للنظام الذين يتجسسون لحساب الجهاز واحداً واحداً وأفراد الجمعيات المختلفة المؤسسة فى مدن أوروبا المختلفة ونبهت الجميع إلى أن إيران فى حالة التطور والتكامل تحت قيادة حضرة الشاهنشاه العليا ومن أجل تنفيذ المهام الصعبة التى تواجهنا من قبل بناء المفاعلات النووية وصناعة الغواصات والكمبيوتر والسفن العابرة للقارات فإننا فى حاجة ماسة لوجود الطلاب الفدائيين المخلصين للوطن المحبين للشاه ويجب أن يشمر الجميع عن سواعد المهمة حتى نفوق الدول

العظمى فى العـالم بناء عن بشـارة شاهنشـاه مملكتنا - ارتقـاءاً فى مجـال الصناعة والاقتصاد والعلم والثقافة والفنون وخلال خمس سنوات ، يجب أن يتحـقق هذا البرنامج . أتى أهارى بخبـر مفاده أنه سوف ينهى رسـالته بعد عدة شهور . وطلب خان على مهـلة عام لإنهاء رسالته وقال دماوندى الذى صـار هذه المرة مـؤدبًا ومطيعـاً أنه سلم رسـالتـه وينتظر أن يأذن له الأستـاذ المشرف بـالطبع ويمكنه أن يضع قبل اسـمه لقـب دكتور . وبـعد الانتهاء من أمرهم عدت إلى تحرى أمر رقية . ذهبت للبحث عن فرزان . أرسلت إليه تذكرة ذهاب وإياب لندن - باريس . فـأعادها وأفهمنى بأدب أنه لا يستطيع الاستـفادة منها وقدرته المالية لا تمكنه من السفـر على نفقته الخاصة .

لم يكن يريد أن تناله فائدة ولو كـانت مفيدا تفيد حـالتى أنا . فهمت من لهجـته الرقيقـة فى التليفون أنه سـعيد بسفـرى إلى طهران ويجب ألا تنقطع العلاقة بيننا . ربما فـهم أيضًا أننى أرسلت إليه الطلاب المزيفين لكى يعـد رسائل الدكـتـوراة الخاصـة بهم . مـاذا يفعل المسكين ؟ كان يقـوم بإعدادها ويكسب منها عيشه .

ولم ينقض شهران أو ثلاثة من سـفرى إلى إيران حتى وصلت قرارات توصيات مؤتمر (إعادة النظر) إلى لندن . كانت افتراءات متداخلة النسيج لا أول لها من آخر . هم أنفسهم لم يكن بمقدورهم مضغها وهضمها فماذا يحـدث حين يقدمـونها للنـاس . ومن بين هذه التوصـيات مـا أعد بعـد استشارة الخبراء الأمريكيين ويفيد فى تعمـير صحراء (نيفادا) أكثر مما يفيد مدننا .

وأصبح من نتائج هذه التـوصيات أن الجهاز نفسه عليـه أن يتخذ إجراءً عاجلاً ليحرك عجلة التقدم .

الفائدة التى جنيتها من هذا المؤتمر هى أننى أكتسبت ثقة رئيس الجهاز . فضلاً عن أننى رتبت بناء على تعرفى على رئيس البنك عملاً لموسى جون.

كان الرئيس فى مكالماته التليفونية وتأكيده على انتقاء الطلاب والتدقيق فى خبرتهم وحب وطنهم والشاه وغير ذلك يبلغنى من وقت لآخر بتوصياته الخاصة . مثلا ابنته سوف تمر على لندن فى طريقها إلى لوس انجلوس والأفضل أن أهتم بها حتى لا تقع لها مشكلة . بعث مرة إلى إشارة شديدة الخصوصية مفادها أن الأسعار ارتفعت فى انجلترا أو تألمت زوجته كثيرا لأنها لم يكن معها ما يكفى من المال لتشترى به (البالطو) المفضل لديها . طبعا فهمت الإشارة ووضعت تحت تصرفهما ما يغطى الثمن . وجدته من أهل الضبط والربط وأن وعاء الفاكهة الكريستالى وحده ليس يكفى لإرضائه . تيقنت من أنى كسبته ولن يتجرأ ثانية على مثل التيمسار والحاج علىّ الساوجى الذين يلقوا بالعراقيل فى طريقى .

فكرت فى أن أقيده بمعروف كبير ألقيه حبلا حول عنقه أجذبه به حين أحب . وكان هذا الأمر شديد الحساسية . فمع أنى لم يكن لدى شك فى تعليمه عبادة المال وأعلم أنه يشابه أيضا الآخرين فى التفكير فى يومه الأسود ولكن سمعته الطيبة كانت تحذرنى بألا ألقى بنفسى فى البحر دون تحسب . لأنى كنت أعرف بالتجربة أن السمعة الطيبة ليست دليلا على الطهارة والعفة ، بل هى إشارة إلى وجود الحيطة عند الإفادة من كل نعمة حتى لا تحرق رائحتها أنوف الحساد .

ظل فكرى وذكرى طوال شهور فى البحث عن أثر لرقية من ناحية ولهذا السبب نفسه كنت أسعى إلى ألا أقطع علاقتى معه ، ومن ناحية أخرى (كنت انتظر فرصة أمنحه من خلالها) رئيس الجهاز منفعة ضخمة .

كـان عملى اليـومى هو إعـادة الطلاب المتـخرجين إلى إيران وإعـداد الوظائف لهم فى المناصب الحسـاسة وأسفارى المتواليـة إلى البلاد الأوروبية والاتصال بالجهات الأمنية لهذه الحكومات وبأسـاتذة الجامعات وبالسافاكيين المقيـمين بهذه البـلاد . أصبحت فى الـواقع بسبب معـرفتى بل صـداقتى برئيسى الطيب السمعة كل شئ فى جهاز الاستخبارات والأمن الإيرانى فى غرب أوروبا وشرقها .

وبعد سـتة شهور مـن عودتى إلى إيران ولقائى برئيس الجـهاز أرسلت آهارى بمجرد إخبارى أن رسالة الدكتوراة وافـق عليها أستاذه وقبل أن يقدم لى شهـاداته أعدته إلى إيران وحـشرته بناء على توصـيه الرئيس فى وزارة البلاط . أفهمته أن الطريق أمامه أصـبح مفتوحًا وأن تقدمه ووصوله يرجع إلى مهارته وذكائه وخبرته ونشـاطه . عليه أن يتصرف بالنحو الذى يصبح به موضع اهتمام الشاهنشاه ولا يغضب منه رجال البلاط .

ومن البلاط يمكنه أنه يرنو ببصره إلى الوكالة والرئاسة والوزارة . كنت موقنا بأنه تعلم جيداً ما ينفعـه ويضره ووجد المنفذ بما جمع من تجارب من أيام سرقته تبرعات يوم واحد من الحزبيين وهروبه إلى باريس وأثناء عمالته فى خدمة السافاك وأنه سرعان مـا سيصل إلى هدفه وسوف يراعى مصلحة الشاهنشاه ومصلحتى أيضًا .

أمرت مساعـدى الموظف بالسفارة لشهور أن يتصل كل عـدة أيام هاتفيًا بدماوندى ويشغله ويشجعـه على العمل . ذهبت مرة أو اثنتين للقاء فرزان ولم أحب أن أخفى أمامه أنى شجـعت أتباع الجهاز على أن يأتوا برسائلهم إليه ليترجمها إلى الفرنسية الفصحى . اهتممت كثيرا بشكـواه (فى النهاية أنا لست معدا للرسائل . أنا أستطيع فقط أن أعيد صياغة عباراتهم الركيكة بالفرنسية الصحيـحة . لكن واحداً من هؤلاء السادة وكان لا يعرف الألف

من كوز الذرة كـان يطلب منى أن أعد له رسالتـه . كان يقصـد دماوندى الذى كان يود أن يجعل بلا وعى لنفسه مكانًا فى حلقة الرجال .

طلبت دماوندى وهاجمته بشدة جعلته يفزع ويتراجع . قلت له :

- يا سيد دمـاوندى أنا أفهمك جيدًا . ست سـبع سنوات وأنت تأخذ منا الفلوس . بلا جدال لم نأت بك هنا للتجـسـس . كان المقرر أن تدرس وتصبح موجهًا لدفة البلاد . كف عن هـذه الألعاب التى تلعبها فى الخفاء وإلعـبـها مع والـدك . إما أن تقطـع صلتك بنا وإمـا أن تذهب وتواصل التجسس للأجانب . أنت فى حالك ونحن فى حالنا . انهض واذهب من هنا لا أريد أن أرى وجهك ثانية :

- انخرط فى البكاء . وجدت أنى قرصت عرقه الحساس . صببت الماء البارد على رغبته فى الشهرة والجاه . خرجت من الغرفة وعدت بعد ثلاث دقائق حين عدت كان قد جفف دموعه وأخذ ينظر إلى الأرض .

- حسنًا نظرت فى الأوراق على مكتبى . سلم محتواها إلى الأجانب . لا يمكن أن يكون للخادم سيدان .

انفجر غضبه مرة أخرى : - ماذا تريد منى يا سيدى ؟ ماذا فعلت حتى تعذبنى هكذا وتكرهنى هذا الكره ؟ .

- أنا لا أعذبك أنت الذى تخدعنا . وهذا يكفى .

- أى خطأ يا سـيدى صـدر منى ، أى غلط أرتكبـته ووقـعت فيـه . سامحنى . أعدك من الآن أقسم بحياة أبى أنى لن أخط قدما واحدة إلا فى طريق تنفيذ النوايا الملكية .

- قبلت وعـدك وقـسمك أمر يتـعلق بك . أنا رجل رؤوف وبإمكانى

وأود أن أغفر جميع ذنوبك بشرط أن تتابع دراستك وتحصل على شهادتك للدكتوراه بأقصى ما تستطيع . ما فات مات ونحن أولاد اليوم . الأجانب يمتصون عصارة الإنسان كمن يضغط على الرمان لمصه ، ويقذفون بالتفاحة بعيدا . الوطن هو الوطن . إن الشاهنشاه لا يحون وجهه قط عن الأوفياء له .

لم تبق هذه النصائح والتهديدات بلا نتيجة . أظهر عجزه التام . عرفت من خلال بلاغات خان على وغيره أنه لم يعد يسافر بعد لقائى به فى منزلى الخاص بلندن وأنه رؤى مرارا عائدا من المقهى الذى كان يتنحى جانبا منها فرزان يقرأ ويكتب وأنه يسعى هذه المرة جديا لإنهاء رسالته بعون فرزان لم يعد يتذرع بصعوبة انبوليتولوجى والسايئس كما كان يفعل أمامى وأمام غيرى .

فى نفس هذا العام بعد عودة أهارى نشر فى الجرائد خبر مفاده أنه تسلم رئاسة المكتبة الملكية وأن خطة وضعت لتجديد هذه المؤسسة وأن الشاهنشاه ضمن ذلك وافق على إنشاء بناء جديد على طراز مكتبات أمريكا . شجعت أيضا نهاوندى على أن يعود بأسرع ما يمكنه إلى طهران وإلا سوف يتخلف عن القافلة .

أخبار عن ذكاء أزمايش وحنكته فى إدارة إقليم فارس وأنه من الممكن أن يصل إلى منصب رئاسة الوزارة وشائعات أخرى من هذا القبيل . وفى النهاية عاد إلى طهران بعد أهارى بعام وبضعة شهور . وبعد أكثر من تفاوض من قبلى مع رئيس الجهاز فى طهران ولندن وباريس أعطوه وظيفة فى وزارة العلوم وأدخلوه أيضا الحلقة . وكان هو القطعة الثانية لى من قطع الشطرنج التى استقرت فى مكانها .

حسنا ، أذكر أنه فى أثناء لقائى برئيس الجهاز فى لندن حين كنا نبحث

ما يتصل باختيار الطلاب المتخرجين وتعيينهم فى المراكز الحساسة للبلاد سألنى فيما يتعلق بدماوندى :

- هل تثق فى هذا الولد ؟ إن أباه من الفضوليين الحاذقين .

فقلت : - سعادتكم تعلمون أفضل منى أن الأنسان لا يجب عليه أن يثق فى نفسه . لكن شريط تسجيل محادثتى معه موجود على الدوام ومسجل بدقة ووضوح . يمكن الاستفادة منه إذا لزم الأمر . خاصة ذلك الجزء الذى وعد فيه و . . . . من الذى يجرؤ على أن يرقص إلا على ألحاننا ؟ .

ضحك رئيس الجهاز وقال : - أعمالك لا يخر منها الماء .

وكان فى نفس رحلة لندن أن رتبت أمر إرضاء خاطره . ذهبنا معًا إلى باريس وأنهينا الموضوع تمامًا كنت قضيت شهوراً فى رسم خطة وهى أنه يجب - لاسترضاء الطلاب المحايدين والمخلصين للشاه والمعادين للاتحاد - بناء مبنى فخم فى أحد أحياء وسط باريس وفى شارع معتبر ومعروف تفتتح فيه المؤسسات الاقتصادية والثقافية مثل البنك الوطنى والبنك الصناعى وشركة الطيران وشركة النفط الوطنية وشركة السجاد أفرعاً لها فيه وتتولى الإنفاق عليه فى كل متطلباته من حيث شراء الأرض والرسوم الهندسية والبناء والديكور وغير ذلك . وتكلفت الخطة نحو ثمانية ملايين فرنك سويسرى . ومن الطبيعى ألا يستطيع الجهاز تنفيذ هذه الخطة مع ما تحت تصرفه من ميزانية ضخمة . ولابد أن تمولها المؤسسات المذكورة . وفى مقابل هذا تعفى من دفع الضرائب الفادحة للحكومة الفرنسية . كان شراء الأرض على الأقل يتكلف مليونين أو ثلاثة . وافقت على هذه الفكرة وزارة البلاط والجهاز والحضرة العليا ذاتها . ظلت المفاوضات والمباحثات حولها لشهور عديدة فى البنك الوطنى والمراكز الاقتصادية . وفى النهاية اعتمدت ميزانيتها .

وفى نهـاية (١٣٥٣ س / ١٩٧٤ م) أخـذت فكرتى هذه صـورتهـا العمليـة وقمت بكل حيلة لكى أسـجل شراء العقار باسم رئيس الجـهاز . المهم أن يكون التسـجيل بصفته الـشخصية لا بصـفته الرسمـية . أى كان ملكيـة الأرض والبناء الذى لم ينشـأ قط باسم السيـد . . . والذى لا يزال باقيًا أيضا تحت تصرفه بعد الثورة .

وحين أظهر له محامـيو القضاء الفرنسى العقـد أخذ لأول وهلة وامتنع عن توقيعه .

استشـارنى بالليل . أفهمتـه انه الصلاح أن تكون إدارة هذا المبنى تحت تصرف الجـهاز وليس صـلاحنا فى أن نترك إدارته للشـركات المستـأجرة . وحين يتم بناء العقار سوف نسجلـه باسم الحكومة الإيرانية . أما الآن فإننا نراعى الظاهر حين نأخـذ فى الحسبـان قوانين فرنسـا ونكتب العقار بعـقد شخصى ما بين بائع ومشـتر وطالما أن البناء لم يتم بناؤه فإنى أرى الصلاح فى أن يحرر العـقد باسمكم الشخـصى . تأخر التوقيع عـدة أسابيع فكان يضاف إلى سـعر الأرض بضعـة آلاف فرنك كل يوم . سـافر الرئيس إلى طهران وعاد إلى لندن وذهبنا معًا إلى باريس ووقع العقد .

وبناء على أمر الحـضره العليا الشـاهنشاهيه فـإن لدى رسالة من طرف الجهـاز إلى المسئـول عن هذا البناء وهو العـبد الفقـير تحكم بأن الحـكومة الإيرانية هى المالك للعقار فى المستقبل . لم أقيد هذه الرسالة فى أى ملف مطلقا ولأن الرسالة تعـد ضمن أسرار الدولة الغاية فى السـرية فهى ليست بحوزة غـيرى ، ومالك تلك الأرض فى الواقع هو . . . بشـرط ألا أفشى هذا السر وكانت هذه هى القـطعة الثالثة للشطرنج التى غرسـتها ، وإذا لم توجد رقية هذه ولم ينزل كل هذا البـلاء على رأسى تصوروا أى حياة كان بإمكانى أن أحياها .

لم يكن أمر خان على صعبا . كـان ولداً مطيعا . كان يأتى بلا تأخير دقيـقة فى الميعاد الذى أطلبـه فيه وكان يـنفذ تعليماتى بالحـرف الواحد . طلبت منه مرة أن يشترك بأى ثمن فى مؤتمر الطلاب المقـيمين بألمانيا المعقود فى دوسلدرف أبلغنى قبل انعـقاده بأسبوعين أو ثلاثة أنه لم يختـر من بين الممثلين وبسبب ذلك لن يمكنه حضور المؤتمر . شخطت فيه :

- أى نوع أنت من الطلاب بحيث لا يدخل فى الحساب ؟ حتما ولابد أن تسافر إلى دوسلدرف .

وبعد ثلاثة أيام أخبـرنى بأنه سوف يسافر ويمكنه الحضـور مدعواً بدون حق إبداء الرأى فى أعمال المؤتمر . كان متـقنا الدرس جيدا وترتيب الأمور لم يكن يشكل لديه مـشكله . كانت إدارة الأملاك السلطانيـة تحميـه أيضا وبدون مراعاة المقررات العادية وطبعا بتـوصية الجهاز فاز بكرسى الأستاذية فى جامعة تبريز .

وأثناء وداعه كررت على مسـامعه نفس الورد الذى سبق أن تلوته على أسماع زميليه :

- هذه الوظيفة متكأ لكى تصعد منه . دقق جيدا وانظر ما هى الوسيلة التى اتبعها زميلاك الآخران حتى وصلا إلى ما وصلا إليه . حاول أن تصل إليهما وتسبقـهما . أزمايش وزهارى المثل الأعلى لك . سوف يكون على الدوام الجهاز والذات المقدسة للحضرة العليا حامين لك .

اطلب منى المساعدة إذا تعـثرت قدمك بحجر ، يمكننى أن أزيل كـثيرا من العراقيل أمامك

حسنًا كـان هذا قطعة شطرنج أخرى وإن لم تكن بقـوة الآخرين . لم يعـد لدى شك فى أننى أصبـحت مقـضى المرام . يجب أن أعتـرف أننى

تغلبت أيضاً تدريجيًا على الهم والغم الذى كان يضغط علىّ من ناحية أختى . وكنت أتصور أنه ليس بمقدور أحد أن يصيبنى بلدغة .

إذا كنت أرى فى إحدى الليالى منامًا وهو أن أقنعه بشكل رقية كانت تدخل على بنحو من الأنحاء وفيما يشبه الكابوس تأخذ فى تفتيتى وهرسى وأصحو من نومى مبللاً بالعرق ، فكنت أنهض من السرير وأحاول أن أحافظ على هدوئى . وكنت أستعرض ساعة ذكرياتى حول أختى فكنت أصل بعد التعقل والتفكر إلى هذه النتيجة وهى أنه لا يوجد اعتداء على مصالحى من ناحيتها فقط بل إن رقيه لم تفعل شيئا يستوجب تعقبها . هربت من منزل والدتى وذهبت فأى ضرر فى هذا ؟ ذكرت أسم مرضية ، وجدوا سواراً فى أحد المنازل ، علقت صورة يشتبه فيها على جدران المدينة .. ذكرت مرضية ، كان قلبها يحترق أسى على بنت بريئة - هذا ليس ذنبا . أى إنسان من طراز الحاج على ساوجى يمكنه أن يصنع صوراً مزورة ويخدع بها الناس . كان لها سوار باعته ، ثم وقع بعد ذلك فى أيدى المخربين . لم يثبت فى أى موضع قط أن رقية قامت بخطوة ضد مصالح البلاد العليا أو عاونت فى قتل إنسان أو تعرفوا على خطها فى كتابة المنشورات السرية ضد الشاه والحكومة ، أو أوردت المجموعات الشيوعية اسمًا لها أو عاشت فى أماكن تجمع مع المجاهدين والفدائيين منفذى العمليات الانتحارية والماركسيين الإسلاميين أو كان لها اختلاط مع أعضاء اتحاد الطلاب أو اتصلت بالفلسطينيين . فأى جرم اقترفت يوجب عليها القصاص ؟ لماذا علىّ أن أخاف ؟ من أى شئ ؟ كان أكبر اتهام هو ذكر اسم مرضية التى يقال إنها أشتركت فى قتل العقيد أركان الحرب ، لكن هل كانت هى الوحيدة التى احترق قلبها من أجلها ؟ كانت كل هذه أفكاراً تؤرق مضجعى وكنت فى عراك معها بمخالبى وأسنانى .

إذن فلو كان الأمر هكذا فلماذا لا تظهر وتدلنى عليها ولماذا لا تطلب مساعدتى لكى أحميها ؟ فى هاتين الستين أو الثلاث بعد لقائى برئيس الجهاز فى منزله وتناولى العشاء معه وانشغالى بالمشاكل المختلفة فى لندن ، كنت أعود إلى إيران مراراً فى أسفار يستغرق الواحد منها يوما أو اثنين بصورة خفية وحينا بصورة علنية وكنت أطل على والدتى كلما كانت تستدعى الضرورة . كنت أحافظ على علاقتى بموسى جون ووساطته مع (العريس) . فى هذه السنين العديدة لم يحصلوا على وثيقة واحده يمكن الاستنتاج منها أن قضية رقية تشتعل بحيث تزلزل قواعد حياتى . بعد تسوية أمور أتباعى وصلنى فجأة خبر من موسى جون - الذى كنت أرسل إليه بانتظام المال لكى يؤمن به حياة والدتى فى منزلى فى نياوران - أقلقنى كثيراً . كان (العريس) وقتما لا يكون مكلفا من قبل الجهاز بمهمة ، يراقب هذا المنزل يبيت فيه لفترات متقطعة حين كانت تسنح الفرصة . قال لى موسى بالتليفون : - يوم أن ذهبت إلى منزل نياوران لم أجد الوالدة ثم سمعت من العريس أنها حملت صرة ملابسها وسجادتها وهربت . وحين استدرجها موسى وسألها لماذا تركت عمارة بهذا الرونق والاتساع والتجأت إلى هذه المغارة قالت : - هذا المنزل لا تصح الصلاة فيه وأشترى بالمال الحرام لم تذكر لى حتى من تتشكك وتكره تلك الجنة المفرحة .

الملدوغ من الأفعى يخاف من الحبل الأبيض والأسود . عدت للخيالات والأوهام . فكرت ألف فكرة . كنت أضع هذا أيضا فى حساب المختلفين معى والمتربصين بى والاعداء الذين يريدون حياتى كلها محرمات. كانت أمثال هذه الأخبار والشائعات السبب فى رؤيتى بالليل الأحلام المفزعة وكنت أنهض فزعًا تحت ضغط كابوس قاتل من منامى وأذرع الحجرة حائراً .

لكن لم يكن ترك أمى لمنزل نياوران غير مقدمة للمصائب التى كانت قد أعدت لى . بعد عدة أسابيع لم تجعلنى أغفل ثانية مكالمة تليفونية مباغتة من شيخك وجلسة استمرت ساعات مع فرزان الذى لم يكن يذيع أسراره لى عن طريق التليفون . كنت أتوقع مصيبة .

كان الوقت أوائل عام (١٣٥٥ / ١٩٧٦ م) حين هبّ الجميع . كأنما تطل حشرات الأرض برؤوسها من تحت التراب وتطلب الطعام مع مقدم الربيع . الأسوأ من كل هذا تطاول الطلاب . كل يوم كانت تصلنى أخبار سيئة عن ممارسات الشيوعيين الشيطانية وكان أتباعهم فى الصحافة بأوروبا الغربية يلقون على مسامع الشيوخ من الرجال والنساء أباطيلهم المبالغ فيها وتفزعهم هذه المكالمات التليفونية .

فى نفس تلك الأيام هجمت الطلاب على قنصلية ميونيخ وارتهنوا عدة من الموظفين وسرقوا وثائقهم وانتزعوا صورة الشاهنشاه من الجدار ومزقوها . ونفس تلك الواقعة حدثت فى جنيف فى مكتب السفير المتنقل . وبلغت الفضيحة واشنطون . ففى الحفل الذى أقامته السفارة بمناسبة عيد النيروز وحضره لفيف من كبار الأمريكيين ووكلاء بعض الوزارات ، قفز طالب فوق مائدة (السينات السبعة) وهاجم جميع مقدسات إيران والأسرة الملكية وأطلق على ممثلى إيران فى السفارات اسم سماسرة المؤسسات الاقتصادية ومصانع الأسلحة وقال كل ما فى جوفه . ووصلت الوقاحة بطالب آخر حد أنه أهان إحدى الفنانات المشهورات فى باريس والعالم كله وكان يقال إن لها علاقات وثيقة بسفير إيران . بلغ إفساد الطلاب حداً جعل أغلب المدعوين يغادرون مكان الحفل وحين وصلت شرطة واشنطون هرب أغلب المعتدين بإشارة من أحد الصحفيين المؤيدين لهم واختفوا من باب خلفى للسفارة ولم يحدث أى إجراء يعاقب

الطلاب ، بل وفرت وسيلة فى أيدى صحافة اليسار واليمين للبلاد المتحالفة التى تكتب أحداث إيران بالنحو الذى يشيعه الشيوعيون خاصة وأن اثنين من الخبراء الأمريكيين قتلا فى إيران إبان هذا الوقت وثارت جلبة لا نهاية لها .

زادت هذه الحوادث وتشجع الصحفيون نتيجة جرأة الشيوعيين يومًا بعد يوم . ففكرت جماعة من الكتاب والفنانين فى تشكيل اتحاد لهم وعدم الخضوع لاتحاد الكتاب الذى نشأته الحكومة عن طريق الجهاز وبلغت بهم الجرأة حد أنهم أرسلوا عددًا من الممثلين عنهم لمقابلة رئيس الوزراء وطالبوه بإلغاء الرقابة وبحرية الصحافة . استنبطت من بلاغ سرى كان أرسله لى رئيس الجهاز أن رجال الدين بدورهم نشطت حركاتهم وتحركاتهم وحرضوا الطلاب هنا وهناك فى قم ومشهد على تكرار رفع تلك الشعارات التى سمعت فى (خرداد) عام (١٣٤٢ / ١٩٦٣ م) ألقى الجهاز القبض على بعضهم ورمى بهم فى السجن . لم يقعد حظراتهم بلا عمل فى مغاراتهم وكانوا يتشاورون كل يوم مع الشيوعيين . وبسبب تحركاتهم كان العمال فى مصفاة البترول فى تبريز ومصانع الأسمنت فى (صوفيان) ومصنع سيارات إيران القومى يقومون بالإضرابات . وكان الهجوم على الخبراء العسكريين الأمريكيين فى إيران ضمن الأحداث العادية . وكان لدينا معلومات عن أن تعاون المعارضين والمجاهدين والفدائيين والماركسيين الإسلاميين مع الفلسطينيين يزداد إحكامًا .

الخلاصة فى مثل هذه الأوضاع والأحوال - التى لا يجد المرء فرصة فيها لكى يعيش بدون إزعاج أنه قد أصابتى مكالمات شيخك التليفونية ومقابلات فرزان بالقشعريرة كنت أقول لنفسى عادت رقية فى صب شؤمها على من بُعد . وهذان الشخصان فهما شيئا من ذلك . أو أن شرذمة

التيمسار الفريق دبروا خطة جديدة لى كانت من الحماقة بما جعل هذين الساكنين فى باريس يسمعانها . لم يكن لدى فرزان تليفون ولم أكن أستطيع ضرب موعد لقاء معه وجدت بعد ثلاثة أيام شيخك والمعلومة الوحيدة التى عرفتها منه أن فرزان لديه رسالة لى والأفضل أن تجده بنفسك وترى أى علاج فى حوزته يمكن أن يكون لمشاكلك دواء ناجحًا . فذكّرته ورجوته أن يعمل شيئا يجعله أى السيد النقيب يتصل بى هاتفيا الليلة أو ليلة الغد فى آخر السهرة لكى أتفق معه على موعد اللقاء طالما ليس لدى وسيلة اتصال هاتفى بفرزان .

وفى الليلة التالية أبلغنى مركز الهاتف بالسفارة أن ضابط بوليس متقاعداً يطلب من أوربا المركزية أن يحادثنى فوراً . فأوتهم بتحويل الخط على منزلى .

لم أسمع صوت فرزان فى التليفون . كانت أمرأة تريد أن تنقل لى رسالة من شخص آخر سألتها (من أنت أيتها السيدة وماذا تريدين ؟) .

- أنا لا أعرفك أيها السيد وليس ضروريًا أيضا أن تعرف من أكون . لا أريد إلا أن أبلغك رسالة . أما من أكون وماذا أريد فليس من شأنك .

لم أتعود أن يحدثنى أحد بالهاتف بهذه الطريقة . ذهلت لكننى تغلبت على غضبى بسبب زيادة خوفى وقلت لها بأقصى درجات التحمل:

- عفوا يا هانم . اعطينى رقم تليفونك حتى أتصل بك .

- لا أعطى رقمى لأحد قط فلماذا أعطيه لك .

قلت لنفسى إذا لم تكن هذه رقية فعلى الأقل أحد زملائها . سيطرت ثانية على أعصابى .

أجبتها : حسنًا جدًا قولى لى رسالتك .

(كان كلامى محددًا ودقيقًا) . - صرت معقولاً فى كلامك الآن .

كنت على وشك أن ينفذ صبرى . مضت بضع ثوان من السكون . تصورت أن المرأة كانت تحادث شخصًا ما .

- أوامرك .

- أحد أصدقائى وهو ضابط شرطة يطلب منك أن تقابله بأقصى سرعة . معه رسالة لك قلت . - ليس عندى عنوان هذا الضابط فمن أين أعلم من هو وأين يمكننى أن أجده ؟ كانت إجابتها واضحة :

- تعال إلى نفس المقهى الذى قابلته مرات سابقة فيها .

فهمت الموضوع . انتهت المكالمة وضعت المرأة سماعتها قبلى كان فرزان . وصلت فى اليوم التالى إلى باريس .

كان الوقت شهر فروردين (١٣٥٦ / ١٩٧٧ م) حين لم يكن قد ذابت ثلوج حمامات السباحة فى باريس ذهبت إلى السفارة تصفحت لساعات ملفات الإيرانيين المعروفين . أخفيت عن السافاكيين أن قصدى هو بحث حالة فرزان .

لم يكن بالملف خبر هام . فهو منعزل ليس له أى اختلاط بأى انسان . أغلب لياليه يقضيه فى الجلوس فى مقهى ومطالعة الكتب . إذا أطل عليه أحد وكان يشرب السجائر وقدم له سيجارة كان يأخذها منه . يقضى أوقاته فى ليالى الشتاء حتى يبرد الجو فى ذاك المقهى الذى تستأجره أمرأة إيرانية من أقاربه . المقهى محل تجمع الإيرانيين . يلقى بالتحية على أغلبهم لكنه يجلس منفردًا عنهم . يأتى شيخك أيضًا إلى هذا المقهى .

تلتف حوله دائما جماعة تتحدث وتضحك يرفعون أصواتهم متحدثين بالفارسية . ليس هناك ما يلفت النظر فى أحاديثهم .

اتصلت هاتفيًا بشيخك بعد الظهر . لم أجده . اتخذت مكانًا أول الليل فى مقهى بالقرب من شارع Dupont خلف النافذة وأخذت أراقب مكان جلوس فرزان . نظرت فى ساعتى كانت الساعة السابعة والربع . أمرت السائق بالجلوس إلى مائدتى وما أن رأيت فرزان أرسلت إليه السائق:
- قل لهذا السيد من تنتظره جالس بهذا المقهى .

رأيت السائق وفرزان يتبادلان الحديث . أتى كلاهما صوبى وأشار أحدهما إلى الآخر نحوى . حاولت أن أظهر أنى هادئ . نهضت من مكانى . صرفت السائق . صافحت فرزان وطلبت إليه أن يجلس إلى مائدتى لكى نتناول معًا العشاء . قال :

- -تعال نخرج لنتناقش موضوعنا .

- -أى موضوع ؟

- لدى رسالة يجب أن أبلغها لك .

- ممن ؟

- سيدى . . لا تحقق معى . لن أجيب على أى سؤال تسأله . أنا أتحدث مع أخى رقية وليس مع الموظف النافذ الأمر فى جهاز استخبارات إيران وأمنها ورئيس السافاك فى إنجلترا وأوروبا والمشرف على الأمور الثقافية وأى لقب آخر عندك .

وجدت أن مثقبه فى غاية الحدة وانه فى غاية الود والقوة . كان بصحبة اسم رقية الذى ذكره راحة البال كما كان هلع القلب .

- لا نستطيع أن نجلس هنا وتبلغنى رسالتك .

خرجنا من المقـهى . وقفنا على ناصيـة شارعى Marousg Dupont وانتظرناحـتى أتى تاكـسى ركبنا . ذكـر اسم شـارع لم أستطع أن أحـفظه وقال:

- عليك بلا تكليف أن تدفع أجـرة التاكسى . إذا لم يكن مـعك مال أدفع أنا الأجرة وعليك أن تردها إلى .

- لا عليك معى نقود

ظللنا فى الطريق نحو الساعة والنصف راكبين . حاولت حينا أن أحفظ اسماء الشوارع . كـانت أسماء الشوارع كانت تبدو لى غير مـألوفة بالحبر الذى صعب مـعه حـفظها . توقف التـاكسى فى شارع واسـع لم أجد له اسما. نزل فرزان أمام فندق فـخم كان يقف على بابه خادم أسود فى ثياب البوابين العادية بأشرطة وياقة وسجـاف أزرق غامق . حيّانا الخادم وصعدنا بالمصعد حتى الدور الخامس .

دق فرزان باب الغـرفة رقم (١٣) وقادتنا امـرأة منقبة حـجب النقاب وجهها من حجرة إلى الصالون . كانت أمرأة فارعة الطول وتيقنت من أنها ليست رقية . كانت فكرة أن رقية متـخفية تحت عباءة فكرة واهية . كانت حجـرة الصالون مظلمة يشع نور فى ركن من أركـانها من مصبـاح خافت الضوء . وضع كرسيان للجلوس فى مسـاحـة متر ونصف متر أمام المصباح . كان يبدو أمامنا جهاز تليفزيون وجهاز آخر عرفت فيما بعد أنه كان جهاز فيديو . جلس كـلانا على الكرسيين . فتحت المرأة المنقبـة التليفزيون قطع فرزان الصمت :

(يا سيـد .. عليك أن تعدنى آلا تتحـرى عن أى شئ قط حول هذا

الفندق وألا تحاول أن تتحقق مـن شخصية هذه السيدة المضـيفة وألا تفشى لأحد مـهما كان عـما سوف تراه . لا تبلغ جـهاز الأمن والاستخـبارات الإيرانى بأى تقرير مكتـوب أو شفوى عمـا رأيته أو سمعـته . اننا لا نريد وعداً من أحد السافاكين . لا نريد الاوعد من هو أخ لرقية .

- ما الذى تريدون أن تظهروه لى وتقولوه ؟ .

- لم يكن من المتفق عليه أن تسأل .

- يا سيد فرزان أنا أعرف أنك رجل صادق وأنا أعدك .

- حسنًا جـداً . بما أنك وعدتنى فلابد أن أنبهك إلى نقطة . مـا أقوله لك ليس تهديداً بل هو حقـيقة . إذا تصرفت بخلاف مـا وعدت لن أكون أنا وحدى فى معـرض الخطر بل سوف تقع فى المخاطر أنت نفـسك أكثر منى . لابد من أن تتيقن من أن ثروتك ومـنصبك ومكانتك والمحيطين بك كل ذلك لا يساوى شيئًا عند من يعرضـون عليك هذا المشهد . اعلم جيداً أننى أشتركت فى هذا العمل من أجل رقـية ليس إلا وليس لى أدنى علاقة بمن عـقدوا هذه الجلسـة . واعلم جيـداً أننى لم أجـعل من نفسى هدفًـا لرصاص السافاك بسبب عقيدتى وإيمانى .

سألت نفسى : ما سبب كل هذا ؟

- ماذا أقول ؟ آثرت الصمت

وتقدمت المرأة المنقـبة وكان تقف حتى تلك الـلحظة خلفنا بالقرب من المصباح الخـافت فتـحت التليفـزيون ثم مـدت يدها إلى جهـاز الفيـديو وضغطت على زر آخر بـه ،ظهر على شاشة التليفـزيون الملون بضع صور سوداء وممتدة ، ثم ظهرت حجرة وفـجأة لاح على الشاشة شكل أختى . كان هى بنفـسها . كانت رقـية لم تكن رقيـة الصغيـرة تلك التى أحبيتـها

بُهتّ. لم يخطر على بالى هذا التصور قط . دق قلبى . ارتعشت يداى . كأن إبراً وخـزت ظهرى أنا الذى كنت أتصور أنى ذقت مـر الزمان وحلوه وحنكت الأيام شعرت بالذعر الـشديد كطفل جبان أدركت أنى لا أزال ذاك الصبى الحـقير أمام الدكـتور بيجن وخاطـى رغم ثروتى ومكانتى ورئاستى لمئات من السافاكيين ومعـاشرتى للكبار . بدوت فى صورة دودة أمام قدرة هذه المرأة التى كـانت قـد نظرت إلىّ بدهشـة . كـانـت تغطى رأسـهـا وضفيرتيها بالطرحة السوداء المعقودة بأعلى جبهتها ولم يكن يظهر منها غير استدارة وجهها . تمامًـا مثل الصورة التى علقت لها على جدران المدينة . أما تلك الـصورة فلم تكن تعـبر فعـلاً عن رقيـة . كانت عيناهـا نافذتين وتلمعان وتنفذان فى قلب كل ناظر إليها .

كان قـدها الطويل الفارع يخفى خـصرها النحيل فى قـميص طويل . عقدت يديها خلف ظهرها . مالت إلى الأمام بصـدرها كأنها هيأت نفسها للقتـال والجدال أو كأنهـا كانت تريد أن تلعب دور بطلة الشاهنامـة (كرد آفريد) . كان وجهها يبدو كثير العبس بغير تظاهر .

كانت الكلمة الأولى التى خرجت من فمها هى (أخى) :

– أخى كم كنت أحـب أن نتكلم سـويا . لسـوء الحـظ لم ير رفـاقى الصلاح فى أن ألقاك وجهـا لوجه . لم يأذنوا لى إلا أن أمد لك يد العون بإخاء وأنقـذك من الهلاك الذى ابتليـت به ارتكبت ذنوبًا كثـيرة ، ذنوبًا لا تغـفر . لن يرحـمك الله . لكن الله رحيم لا يزال أمـامك متـسع لطلب المغفرة . . .

لا أستطيع أن أعيد كل ما قالت . كنت أريد أن أدّون أهم كلامها . لم يسمح لى بذلك فرزان الجالس بجـوارى . حاولت أن أحفظها فى ذاكرتى هل كان يمكن حفظ عتابها وخطابها الذى دام ساعة ونصف الساعة . أروى

ما ظل باقيا فى ذاكرتى :

« لا حوار هناك بيننا فأنا التى أتحدث وأنت الذى تستمع . سوف نسمع كل كـلامك لو انتهى الأمـر إلى المحكمـة . لا جعل الله ذلك اليـوم من نصيبـى ونصيبك . لن أحضـر تلك المحكمة التى يدينونك فيهـا . كل ما تقوله فى هذه الحـجرة مسجّل وربما يسـتخدم دليلاً ضـدك . إذن فأنا التى أتكلم وأنت الذى تسمع)

كانت تكرر هذه النقطة وهى أن أتخلى عن هذا العمل الشيطانى . كان هذا تكأة كلامـها أطلب : المغـفرة . كن معنا . لابـد أن تلقى جزاءك . كلما كان أسرع كان أفضل . .

لم تكن هذه رقية التى كـانت تشخط فىّ وتتحكم كأن انسـانًا آخر كان يلقن أختى هذه الكلمات .

أى تهم كانوا ينسبوها إلىّ ؟

لقى تحت يديك عشـرات من الأولاد والبنات ، الشباب والشـيوخ من المسلمين العذاب . لم يطق عدة مئات منهم ما تلقوه من العذاب فماتوا

كنت أود أن أصرخ : هذا كذب . أنا لم أعذب أحداً

أشار إلىّ فرزان بالصمت . أسمع وأنظر ماذا تقول

كانت تكشف لى عن ثرائى . عن أموالى التى بالبنوك .

أشرت إليك مـراراً بأننى أراقبك . فلم تكن تهـتم . أشفـيت أسرتك شردت ولَدَيك . أمضـت أمنا عمراً فى الفزع والخـوف والارتياع ، سوف تكون أنت قاتلها . لماذا خربّت منزلها فى « كلذر كلاتتر » لماذا شردتها ؟

وعادت إنذاك إلى النصـيحة والتهديد بأن كفّ عن عـنادك وبأمثال هذه

العبارات . أسلك الصراط المستقيم . تعال وتعاون معنا قبل فوات الأوان.

أنت سبب كل شقائي وتشردي وهيامي على وجهي . الآن أمنحك الفرصة للندم .

كانت تصرف بكل أعمالي الفاسدة . تعلم ما الدور الذي لعبته في محاكمة المجاهدين والفدائيين والوعاظ تعلم كيف حرمت - الطلاب في أوروبا من الدراسة وألغيت جوازات سفرهم وشردتهم بالمال . تعلم جيداً كيف تسترت على جرائم الشاه والبلاط ونهبهم لأراضي الشعب في مازندران وجيلان ونياوران هل أنت على غير علم ولم تر بنفسك أن الفريق كان يحضر أوقات الاعتداء على البنات البريئات وكان هذا الفسق مجازاً في حضوره ؟

كانت تدعي معرفتها بتواطئي مع الكبار : هل تذكر تلك المرأة ذات الخمسة والعشرين عامًا التي هربت من السجن ؟ كم عذبوها وأهانوها . قتلوا أخاها وذهبت أنت آخر الأمر حين عجز الجلادون تبحث عنها لكي تنصحها . وكان قصدك أن تستسلم .

كانت تتهمني بقتل الشاب الذي قتله الجلادون وأشاعوا أنه قتل أثناء فراره ثم لماذا قتلتم سيد محسن مجاهد ؟

كانوا قد لقنوها افتراءات لا يمكن تصديقها وكانت هي تكررها بغير فهم ولا تدقيق .

- كنتم جميعا تعلمون أن الشاه ووزراءه - لا يشرب ماء بدون إذن من الأمريكيين وسميتم هذا بالوطنية الإيجابية . لم تعلموا أن ملايين الدولارات من كد الشعب الإيراني كانت تنفق في أمريكا وإفريقيا للدعاية لصالح الشاه . ثم ما معنى بناؤكم أحياء في أفريقيا ؟

قالت كل ما بداخلها . نسبت إليّ مـن التهم ماكنت أجهله تمامًا . لماذا كانت تلقى مسئولية قتل ابن الشيخ فى العراق بدوره على عنقى ؟

أحصت فى الربع الأخير من الوقت صور عقابى . أستقيل من عملى . أدون ما حصّلت من التجارب فى هذه السنوات السـبع عشرة وأضعه تحت تصرف اتحـاد الطلاب ، لا أقيم فى أوروبـا وأمريكا ، أتوجـه إلى احدى البـلاد الجنوبيـة أو إلى الهند . هـذا البلد هو الملجـأ التـقليـدى للفـارين الإيرانيين . أهب كل أمـوالى للمستـحقين . أضع تحت تصـرف الفدائيين مائة الف جنيه إنجليزى بأقصى سرعة .

ثروتك فى إيران نحن الذى سنصادرها .

كانوا يتخيلون أنى مليونير ويمكننى بلا مشقة دفع مائة ألف جنيه إليهم. يؤمن الفدائيون حياتى فى أمريكا الجنوبية أو فى الهند .

بشرط أن تكون مطيعا خادمًا للشعب المسلم .

تذكـرت جيـدا الجمل الأخـيرة : (أنا رقـية وأنت أخى . أحـبك . أحـبيـتك . أرسلت لك هذه الرسالة بدافـع الأخوة بيننا . لكنك عـاديت إيران والاسلام . عليك أن تلقى القصاص إذا عصيتنا . لابد أن تحترق بنار جهنم . سوف يعـذبونك فى هذه الدنيا ولن أفعل لك شيـئا . ليس على بالنسبة لك : إلا البلاغ

صمت التليفزيون . كنت قد تيبست من المفاجآة : خذلت قدماى . لم أستطع تحريك ساعدىّ .

كانت الغرفة لا يزال يلفها الظلام . أخرجت المرأة المنقبة شريط الفيديو . وضعته فى الكيس الجلدى الذى كان بيدها وغادرت الغرفة .

نهض فـرزان وأثار الحـجرة . كـنت أنظر إلى الأرض . لم اكن أدرى ماذا أفعل .

كان لا يسبح فى عـقلى غير فكرة واحدة . من الذى أواجـهه ؟ امرأة جاهلة ومتعصبـة كانت فى إحدى الأيام أختى ؟ لا تريد مالى وحسب بل تريد روحى أيضًا ؟

أخذ فرزان بمرفـقى . نهض من فوق كرسيه واتجـه إلى باب الحجرة . أطفأ المصباح وأوصد الباب بلا إقفال . لم نتبادل كلمة . دخلنا الأسانسير وخرجنا من باب الفندق .

كان عدد من التاكسيات ينتظر أمام فناء الفندق المسافرين . سألنى فرزان : أين تحب أن أوصلـك ؟ هل تريد أن ترجع بمـفـردك ؟ فى هذه الحـالة أستودعك الله

ألقـيت بنظرة إلى وجهـه . هل تريد أن تتـركنى وحدى فى مـثل هذه الحالة الآن وأنا أمتلئ بالعجز والانهيار ؟

رأيته كثير الاضطراب والقلق . تجرأت فسألته :

: لنذهب يا فــرزان ونتناول العـشـاء فى نفس ذلـك المقـهى بشـارع Dupont . تذكر أننى لازلت أخا لرقية أيضًا .

كانت الدموع على وشك أن تنهمر من عينى . كنت أحاول السيطرة على نفسى وحلت دون تغلب العواطف علىّ . بدا لى أنه كان حزينًا من أجلى .

ركبنا التاكسى وذهبنا إلى نفس المقهى الليلى . انتحينا منها جانبًا . طلبنا العشاء . سألته :

- هل تحب أن نتناول كأسًا من الخمر ؟

طأطأ فرزان برأسه . بقينا صامتين . هل لم يعد لدينا كلمة واحدة نتحادث بها أنزلقت فى تخيلى ذكرى . تذكرت عهد أن كنت ورقية وأمى نعيش معًا فى (كذر كلاتر) وكنت عائدًا لتوى من رحلة لنجة وكنت عاطلاً وكانت رقية تعمل فى معرض مع نفس هذا الرجل الجالس أمامى . قالت أنذاك لى أمى هذا الرجل يحب رقية ، أما البنت نفسها فليست راضية به . كان هذا بعد زواج رقية أو حملها . . وفجأة انقطعت الأفكار وذهبت بددًا . . صب الجرسون نصف ما بالزجاجة فى كأسينا ورفعت كأسى وتعلقت عيناى بعينى فرزان ضارعتين . طال هذا التضرع والدعاء بعضا من اللحظات . رفع هو كأسه أيضًا وسمعت قرع الكأسين وصوت جليسى يقول (فى صحة رقية) واستيقظت فجأة من نوم عميق ملئ بالرؤى الحلوة .

- فرزان ماذا أفعل ؟

- الملوك يعرفون صلاح مملكتهم .

- لم أشترك فى قتل أحد .

- لست قاضيا عليك . قضاتك من رأيت على الشاشة واحدًا منهم . عليك أن تجاوبهم

- لم أعذب أحدًا .

- لكن حين رأيت الآخرين يعذبون الأبرياء لم تحرك ساكنا لمنعهم .

- أنت الآخر تقرأ نفس تلك الأشعار . ألم تقل أنك لست من أخوانهم ؟

- لكنى حين رأيت شهامتهم وشجاعتهم كيف يمكن لى أن أبقى محايداً ؟ .

- كيف ترى موقفى ؟ .

- أراه حسنًا .

- كيف يكون حسنًا .

- استطعت القوة والمال وغصت أعمق فى قعر البئر كل يوم .

- كانت الحيـاة فى (كلدر كلاتتر) ضيقـة على وطار قلبى فى الهواء الحر .

- من هنا البداية .

- ما الذى يبدأ من هنا ؟ .

- كل ما حل ويحل بك .

- تقول أنك لست قاضيًا على وها أنت تدينني ؟

- أنت بنفسك تدين نفسك . ألم تـقل إنك هويت الطيران فى الهواء الحر ؟.

- لو كان بختيـار هو الذى سيتـولى الأمور هل كنت ستـتعامل مع أعدائه بأشد منا .

- ممكن .

- كنت ستسير نفس الطريق الذى سرته ؟ .

- لا أدرى هل لو توفر لدى العزم كنت رجعت من منتصف الطريق .

- أنا حاولـت مراراً أن أعود ، لكـن الأحداث كان أقـوى منى . لم أرق نقطة دم من أنف أحد .

- الفريق يدعى نفس هذا الادعاء أيضـا ويعلن أنه لم يصفع أحداً فى حياته .

- هل تعتبرنى زميل الفريق ومعاونه ؟

- لم أرد أن أعقد مثل هذا التشبيه . لكن ما الداعى إلى أن تتلوث يد الفريق بالدم مع وجـود الدكتور بيجن وجمـالجير وأزمايش والدكـتور فريد وخاطى : أنت أيضا توليت نصيبًا من ممارساته .

ولم أجد للكلام المعقول إجابة . ولم يكن لدينا شئ نتحدث فيه لبضع دقائق .

- لم أمتلك مـرة مائة ألف جنيه لو سلمت مـا أملك هل كنت تصفح عن ذنوبى ؟

- لست قاضيك . ولو كنت لقلت لا . فضلاً عن ذلك فبإمكانك أن تستخرج هذا المبلغ من الخزانة وتدفعه إلى أصحابه الأصليين .

- ماذا تريدون منى ؟

- أنا لا أريد شيـئا منك ، إلا أن تـتجاهل مـا حدث اليـوم . اسأل اختك ماذا تريد منك

- هل تعطينى هذا الشريط ؟

- ليس الشريط تحت تصرفى لابد أنهم احرقوه حتى لا تصل إليه يد.

- هل رأيت رقية بنفسك ؟ .

- ليس مسموحًا بأن تستفسر منى عن هذا الموضوع .

- هل تحب أختى ؟ .

- لا تسلنى .

- فهمت إجابتك . أدفع شيكا فى حدود إمكاناتى بشرط أن أرى رقية إذا كان لدى أصدقائهـا هذا القدر من القوة على أنهم يمكنهم الاطلاع على دقائق حياتى فلن يكون صعبا تدبير لقاء مواجهة مع أختى .

- أنت لا تزال سافاكيا . لا يثقون فيك .

- الحق معك .

جلست صامتا لبضع دقائق . كان فرزان يراقب بدقة حركاتي وسكناتي . قلت له بعد ذلك :

- معلوماتكم . .

قاطعنى فرزان : - ليس لدىّ أى معلومه عن عملك

أجبته : - قصدى معلومات زملاء رقيـة . لا تتفق والحقيقة ما ينسبونه إلى

- هل أنت على يقين ؟

- تمامًا .

- اتذكـر واقعـة نقل تلك الفـتاة إلى أحـد أصـدقـائك كانت طالبـة اسمها مرضية . .

- أنا الذى أنقذتها .

- أنا لا أعرف هذا . لكن بضعـة من السـافاكيين أطلقوا سراحـها بعد

ابتزاز اسرتهـا ، وبالمال الذى حصّلوه بطريق الرشوة . كانت البـنيّة الطالبة متـهمـة فى جناية فظيعـة . سل كل واحد من هؤلاء الجـلادين هل كنت السبب فى قتلها لابد أنه سوف يثور ويعترض ويعد هذا الاتهام بلا أساس . ربما . . .

لم أقطع كـلامه . أيقنت أن شـيخك روى هذه الواقـعة بالنحـو الذى يكون فى صالحه هو . أعطيته الفرصة لكى يكملها .

ربما كان لهؤلاء السافاكيين الحق . لكنهم صاروا سبب قتل هذه الطالبة بدون أن يقصدوا هذا بأنفسهم أو يعلموا به . فقد أنقذت هذه الفتاة بسبب ثروة أبيها ودخلت مرة ثانيـة ميدان الكفاح وكانت دائمة الثقـة فى مقدرتها على النجاة بثروة أبيهـا متغافلة أن جسدها النحيـل لن يطيق الحمل الثقيل الذى حـّول إليها . ودق أبـوها كل الأبواب لكى يجد من يمكنه التـوسط لأجل ابنته . لكن مساعيه خابت. ماتت البنية فى السجن بسبب التعذيب . المشكلة هى : من الذى قـتل مـرضـية ؟ ذلك الذى أنقـذها أول مـرة من السـجن ، فى حين أنه كان يتـصور أن الرشـوة تحل جمـيع المشكلات أو جهازكم الشيطانى . .)

ها أنت يا سـيـد فـرزان تدقق فى الأمـور وتفـصّل فـيهـا . أمـا هذه المقدمات ؟ ! وقولك لو كان هذا هكذا أو لو أصبح كذلك ؟ !

هذه التساؤلات نـفسها ، الحديث عن الموت والحـياة . الكلام عن فناء أمة وخراب بلد . مثل تلك الأرضية التى تنخر عظام البناء ولن يفهم أحد عمق الفاجعة مالم يتداعَ البناء كله. ولن يعترف أحد من بعد بالذنب

- أنا لا أدرك أستدلالك

١٠-

- لسوء الحظ لم تكن أنت ولا زملاؤك مرة من أهل الاستدلال

- ما الذى عندى أقوله ؟ كان هذا الرجل من أهل الكتاب والدراسة . حصّل فى حياته التجارب . ومع هذا لم يكن برأسة شئ ، لم يلق من قبل سوط الواقع ولم يكن يعلم ماذا يخبئه القدر من الاعيب متنوعة تسحر المرء . كان رجلاً منعزلاً يقنع بالقليل يقضى ضروراته اليومية بالعمل الشاق إلى حد أنه عدم المال الذى يشترى به سجائره أو يدفئ حجرته .

لم أكن أستطيع أن أجاريه . تشبثت ثانية بجدار الجب الذى كنت أغوص فيه فلعل فرجا يلوح من هذا العمود إلى ذاك

- لم تجب على سؤالى يا فرزان .

- ليس مسموحًا لك بأن تسألنى عن شئ . أنا ليس بيدى شئ قط . إذا تدخلت فى هذا الأمر والذى يمثل لى خطراً فليس إلا بسبب الحب الذى زرعته رقية فى قلبى . هى التى طلبت أن أكون أنا الواسطة لإبلاغ هذه الرسالة التى ليس لدى أدنى علم بمحتواها . لم يقع نظرى قط على وجه تلك المرأة التى اقتادتنا إلى الحجرة فى الفندق وربما لن أراها مطلقًا . تأخر الوقت بى لابد من العودة إلى حجرتى . أعطيت شريراً آخر ملجأ ولكلينا مفتاح واحد .

وكان يهم بالنهوض (إذا لم ترد الإجابة على سؤالى فاشرح لى على الأقل وجهة نظرك)

- ماذا كان سؤالك ؟

- لو دفعت هذا المبلغ فهل يمكن مقابلة رقيه ؟

- (أى رأى أبيّنه لك ؟ لا أعرف من المسؤول . تجربتى هى أن هؤلاء الانتحاريين أو الفدائيين كما يسمون أنفسهم لايخضعون للشروط .

- ماذا أفعل ؟

- سألتنى يومًا هذا السؤال . كنت أتصور إذ ذاك أن رقية فى خطر. أمسكت بذيلك من أجل إنقاذها وقلت سافر إلى إيران ، وسافرت وعلمت كفرع البقس أكثر وقاراً وأبهة لكن أختك اليوم هى التى ذكرت لك أنها ليست فى خطر . أنت الذى فى خطر وأنت تعلم هذا بنفسك .

نهض من مكانه وصافحنى ومضى .

كان لا يزال بالزجاجة قليل خمر فصببته فى الكأس نظرت فى لونه القانى . فجأة ظهر سائق السفارة بجوارى .

- ماذا تفعل هنا ؟

- أبحث عنك من أول الليل حتى الآن . لما يأست من كل موضع أتيت إلى هذا المقهى الذى كنا سويا فيه على أمل أن أجد ذلك السيد . ويشاء الله أن أجدك أنت هنا .

- ماذا حدث ؟

- (يطلبونك بالهاتف من لندن وطهران من الصباح حتى الآن)

نهضت متعجلا وحاسبت الجرسون وركبت سيارة السفارة واتجهت إلى السفارة مباشرة واتصلت بطهران فأوصلونى على الفور برئيس الجهاز . كان موجوداً بمنزله . سمعت أولاً صوت امرأته ثم أمسك هو بالسماعة :

– كنت أحب أن اسبق الجميع وأزف إليك بنفسي التهنئة فبناء على أمر الحضرة العليا الهمانيوية أنت من اليوم مساعدى مبروك عُد بأقصى سرعتك وباشر مهامك أبلغ أمر تعيينك فى الوكالة العامة للجهاز اليوم اليكم عن طريق برقية بالشفرة أبلغ السفير أيضا عن طريق وزارة الخارجية لكى تعفى من العمل كممثل ثقافى . الشاهنشاه سعيد جدا بطريقة عمل أهارى وتجهيزه لمكتبته السلطانية وحين وصل سمعه المبارك بأنه ربيب جنابك العالى ودارس تحت إشرافك أظهر لك رضاه بك واستقر رأيه المبارك على أن تتولى مهمة أعظم مسئولية . .

لم أضع من يدى السماعة لفترة .

جلست أكثر من ساعة و أمعنت الفكر . عجزت عن رفع يدى من فوق التليفون . فربما يدق وأسمع ثانية اوامر رقية .

كيف يلعب القدر بالمرء . كأس الخمر في يد وضفيرة الحبيب فى اليد الأخرى أى حياة مثيرة للشفقة هذه التى رتبها لى رفاق رقية هؤلاء أقبع فى جب فى أمريكا الجنوبية فى كوبا أوفى بنارس وأنتظر لقمة من أناس لاأعرف من أى قبر خرجوا . يعرفون كيف ينصحون البنات الفجات ويلقون بهن للإيقاع بالناس . يريد هؤلاء أن يصنعوا الأقدار أى جرأة هذه التى لهم يريدون قلب ملكية دامت فى إيران ألفين وخمسمائة سنة . أى افتراءات هذه التى يلصقونها بالإنسان ؟ من أين لفقوا هذه الأخبار الصحيحة والكاذبة معاً . الإنسان تأخذه الريب لعلهم اخترقوا أيضا جهازنا أى نفس مؤسستنا بنفس شاكلة علاقتى مع شيخك وفرزان وأختى . وربما يكون على ساوجى والتميسار الفريق ورئيس الجهاز نفسه صلات بهولاء المطاريد ويفشون الأسرار المحظور معرفتها إلى هولاء الأنذال .

كانت رقية تتحدث كأنها ليست عبداً لله ، تتكلم عن الجزاء والعقاب

والعذاب الأليم كأنهم يملكون نواصي الأمور وأن القوة بأيديهم .

وهل يمكن تصور أن تتزلزل حكومة الشاه وتجبر على الاستقالة بواسطة أشخاص مجهولي الهوية لا إذا نقص من رأس الشاهنشاه شعرة فأي صدمة سوف تصيبني ؟ يمكنني بالمبلغ التافه الذي ادخرته أن أعيش به في اسكتلنده وميامي وكاليفورنيا لماذا أذهب إلى بنارس ؟ لن أعطي مالي لمن يسخر مني و يتظاهر أمامي بالجدية ؟

كان التردد يأكلني كنت أحس مع كل ضربة أتلقاها في صدري أن الثقل يتجه إلى حيث يوجد المال . عصفور في اليد خيرمن مائة على الشجرة . ماذا كان يقول ؟ أنت لست من أهل الاستدلال ما أعظم معرفتي بالاستدلال واستخدام العقل .

أي كلام هذا الذي كان يقوله ؟ أنت عدو للإسلام وايران . على العكس لقد أسديت للإسلام خدمات . لم أؤذ سوى الكفار . يوم أن أطلقت سراح الأساتذة من الحبس في الجامعة ألم أقدم للإسلام والدين خدمة حينما توليت أمر آهاري وخان علي ودماوندي الذين إذا لم أدركهم لاعتنقوا الشيوعية ألم تكن خدمة للإسلام ؟ التجسس على الحزب الذي كان أعضاؤه جميعا عملاء لروسيا ألم يكن خدمة ؟ عقاب تيمور بختيار طبقا لأوامر الحضرة العليا وكان يريد إقامة حكومة لملوك الطوائف في إيران ماذا كان إذن ؟ أي ذنب اقترفت حين كان الشهوانيون التابعون للتيمسار الفريق يريدون الاعتداء الجنسي على النساء السجينات هم كانوا يتهمونني أنا أيضا بقتل ابن الشيخ

كم لديهم من الحكايات . وأي توقعات هذه التي لديهم ؟

ما شاهدته خلال هذه السنوات السبع عشرة أدونها لكى ينشرها الطلاب فى جرائدهم .لا أنا لست من يقوم بهذا العمل . فتاه كانت تنشر هذا الشعرفى السجن ؟ أذهب وأنصب هذا الشرك لطائر آخر .

كانت الأفكار والتخيلات تتماوج فى مخيلتى آتية ذاهبة .

كنت أقارن منصب وكالة رئيس الجهاز مع قرار الاعتزال فى كوبا ونارس . والأنتظار كل يوم ويدى على فمى لمؤونة حقيرة والتسول من ناحيةو التنعم والتلذذ وامتطاء صهوة القوة من ناحية كان قطبا مصيرى متضادين . لم يكن بين القطبين طريق وسط كان أفضل شئ أن أبقى فى نفس لندن وإذا حدث وتزلزلت لاقدر الله مكانتى وخرس لسانى فى أركان السلطنة الشاهنشاهية لجوت بنفسى وعشت كيفما اتفق .

كنت أغوص لأكثر من ساعة ويدى على سماعة التليفون فى الظلمات المهولة والرؤى المعذبة وليس أمامى أو خلفى طريق .

نهضت من مكانى وأستقللت نفس الليلة تاكسيا إلى مطار أورلى . جلست فى المقهى وشربت القهوة وتجرعت الويسكى وبقيت حتى الفجر حين حل موعد إقلاع طائرة لندن .

بعد ساعات عدة من التفكر و التدبر حسمت أمرى واتخذت قرارى بأن أضطلع بعملى .

تغلب عقلى على عاطفتى . لم تكن محبة الأخ لأخته لدىّ بالقدر الذى يمنعنى من مواصلة طريقى فتصورت أنه بإمكانى أستئصال شأفة محبتى لأختى من قلبى . فاق حب البقاء الرحمة والرأفة لأشخاص غيرمستعدين على الموافقة على رؤيتى لرقية ومشاورتها . اقنعت نفسى أنه

لا يمكن توقع الشفـقة من أمرأة كانت تواجـهنى بهذا العنف ولما هبطت من الطائرة على أرض مطار هيثرو،كنت مصمما على الاستعداد لقبول المنصب الجديد .

فَلْنرَ من لذى يجرؤ على أن يطلب منى مـالا ؟ وصلت إلى السفارة فى الساعـة الثامنة والنصف . سمـعت بعد دقائق مـعدودة صوت السفـير فى الهاتف يدعونى إلى مكتبه أظهر لى البرقية وبدا غاضبا نسبياً .

– . . اذا كنت ترى أن تستبدل بهذا العمل الهام منصبا آخر فكان من الأفضل أن تطلعنى مسبقا على رأيك

لم يكن لدى ياسـيدى أدنى خـبر عن هذا التـعيين ولـم أعـرف به إلا البارحة .ما أعرفه هوأنه العطف الملكى شمل حـالى الحقير . كنت سعيدا بعملى وأعـرف جيداً مـقدار النجـاح الذى حالفنى تحت توجـهات جنابكم العالى فى إبطال أعمال اتحاد الطلاب والمعادين بأفعالهم التخريبية .

-أنا ممنون جداً وسعيد لأننى أسمع هـذه الحقيقة من لسانك أنت . وأنا أيضاً راضٍ كل الرضـا عنك . وتقاريرى فى وزارة الخارجيـة تؤيد قولى . هذا حسنٌ جـدا القرار كما تذكـر اتخذه صاحب أتخذة المقـام العالى وكلنا مطيعون له منصاعون . متى ستسافر إلى طهران

أسعى يا سيدى إلى أن أتولى المنصب بأسرع مايكون ، لكن السفر فوق ذلك يتعلق بالقرار الذى يتخذه رؤسائى)

– (إذن لابد أن تخبـرنى قبل سـفرك ببـضعـة أيام . أحب أن أدعوك بمناسبـة توديعك وأدعو رجال الثقـافة البريطانيين والطلاب إلى حـفل شاى وجاتوه . لابد أن يكون رحيلك مشرف . ألاتعرف شيئاً عمن سيخلفك ؟

قلت لسيادتكم أنى علمت البارحة فقط بالأمر من مكالمة تليفونية.

قررنا أن أحيط سكرتارية السفارة علماً بسفرى قبل الموعد بأسبوع حتى ترتب أمور الدعوة الفخمة ومضى أكثر من أسبوعين ولم يأت إلى لندن من يشغل التمثيل الثقافى ويخلفنى .

خبر تعيينى لسوء الحظ فى مثل هذه الوظيفة قد خرج من بريطانيا وتسرب من هنا وهناك . وتحرك من يتنظرون الخدمة . كان كل من الرؤساء الكبار يسعى إلى إجلال أتباعه الأصغر . كانت تصلنى آلاف من برقيات التهنئة . لم يكن يتقطع جرس التليفون بمكالمات طهران . كانوا يوصونى بالعودة فى أسرع وقت لأنهم سمعوا قبل ذلك أننى علىّ ان أختار من يشغل المنصب الجديد مكانى . حتى السفير المتنقل المقيم فى چنيف جاوبنى بالهاتف وأخذ ينصحنى بأن اكون دائماً مسيراً للأمور . كانت كل هذه الرسائل والمكالمات التليفونية والبرقيات تمنعنى من أداء عملى ولما لم يكن باستطاعتى أن أبقى فترة أطول من لندن رأيت الأفضل أن أفوض الأمور الثقافية مؤقتاً لأحد الموظفين ذوى الخبرة فى السفارة و ثارت جلبة تجاهلتها كان السفير الكبير قد رتب دعوة فخمة . اشترك فيها بعض العاملين فى وزارة الخارجية ولفيف من أساتذة جامعات انجلترا .

كانوا يكبرون على حساب التجار وموظفو شركات الطيران وغيرهم من كلمات التملق والدهاء و كانوا يحسنون منافقتى وخداعى بإظهار تبجيلهم ولم يتركوا خصلة طيبة لم ينسبوها إلىّ وكنت أتواضع قائلاً إننى لم أفعل شيئا وإنما أديت وحسب واجبى. و كل ما حققته كان بسبب اهتمام الذات الملكية وسوف أحقق من هذا الوقت فصاعداً النوايا الملكية حتى أعجل بتنفيذ أهدافه السامية وهى ضرورة أن تسبق ايران خلال بضعة أعوام الدول

الخمس العظمى فى العالم .

وفى خضم هذا التملق والمداهنة التى وجهتها إلى المتملقين مقابل ما ألقاه . منهم أسرّ إلىّ بعض الجواسيس قائلا : سيدى . . الطلاب متجمهرون . اجتمع نحو مائتين وخمسين منهم أمام باب السفارة يهتفون يريد ممثلوهم تسليم السفير رسالة . بصحبتهم جماعة من المراسلين والمصورين والصحفيين ومصورى الأفلام أيضاً ماذا نفعل ؟

وكان آخر يحادث السفير سراً فطلب السكرتير الأول وخرج هو من القاعة ثم عاد بعد ربع ساعة وتوجهت نحو السفير وسمعته يقول :

- أبلغ ضابط بوليس السكرتير الأول أنهم شباب فيما بين الثامنة عشره والخمسة والعشرين ولا ينون تخريباً وإهانة أو على الأقل لم يصدر منهم حتى الآن ما يخل بالأمن ويريدون توجيه رسالة إلى ممثل الحكومة الإيرانية فى حضور الضيوف ويبلغون شكواهم إلى سمع أولياء الأمور . وطالما أن المظاهرة تمت بموافقة الجهات المعنية فليس للبوليس حق التدخل مادموا ملتزمين الهدوء فماذا يجب أن يتم فى رأيك ؟

قلت : - اسمح لى بالذهاب إليهم ومخاطبتهم

- تفضل .

وما أن خطوت فى فناء السفارة حتى صاح بضعة نفر منهم : (أيها السافاكى ، أيها السافاكى لا نريدك . اذهب إلى طهران وقم بأعمال الجلد بها) .

كان التزاحم من الشدة بحيث حال أفراد الشرطة بينى وبينهم . وفجأة وصل سمعى من وسط الهمهمة والألفاظ البذيئة صرخة . لا أعلم هل

كنت خياليا وقتها أم كانت الصيحة حقيقية : - إيها السافاكى بم سترد على أختك ؟

احمّر لونى ولولا أنى كنت أراعى وجود الشرطة - لكنت وجهت إليهم سبابى وشتمى . أتى السكرتير الأول وتدخل قائلا :- هدوءاً أيها السادة . السيد السفير لدية الليلة ضيوف كبار . هم أساتذتكم أرجو ان تعطونى رسالتكم وأنا ساقوم بتسليمها فى حضورهم .

إذا كانت رقية تقصد من استعراض قوتها هذا إلى أن تحذرنى فلابد من الاعتراف بأن هذا كان أول لطمة أصابت وجهى . ثم إن أمثال الحاج على ساوجى والتيمسار الفريق ليسوا من يوجهون إلىّ ضربة كهذه وإذ ذاك كانت جمهرة المتمردين تركلنى وتذكر اسمى وتظهر لى عداوتها المعلنة : - بم سترد على أختك ؟

كنت أتصور أن أحداً من ناحية رقية ورفاقها لايمكنه أن يوجه إلىّ ضربة لكن الصرخة هذه التى خرجت من بين المتجمهرين أشعلت فىّ النار

رحت استجمع قوتى وأتابع عملى . .

كان عملى الجديد قد بث النشاط فىّ وكان خيلائى الجموح يدفع بى إلى العدو إلى حيث ما لن أرى الحقيقة مرة أخرى وكان طلبى للجاه يناطح الفلك .

ولم يكن معارفى وزملائى يكفون عن تشجيعى . كانوا يزيدوننى إصراراً لماذا لا آتى ؟ قال مرة رئيس الجهاز نفسه أثناء طرح موضوع : - أبرق إلى الجهاز قبل يوم وصولك حتى نبلغ الشاه . كان هذا إخطاراً . رتبت أمورى وصممت على السفرمن لندن إلى طهران . لم يأت سائقى

الذى كان مقرراً قدومه مبكرا ساعتين إلى منزلى ليساعدنى فى جمع أغراضى . بعد نصف ساعة أبدى عامل التليفون بالسفارة سعادته حين سمع صوتى ولم تمضِ بضع ثوان حتى هنأنى السيد السفير : - أنا سعيد لأنك على قيد الحياة. وقع لسائقك حادث أليم . انفجرت السيارة وأنا آتٍ بنفسى إلى منزلك لأوصلك إلى المطار

فزعت بشدة . لم أفزع إلى الحد إلى مطلقا فى حياتى . الأمور تأخذ مسارها الجدى . نفوذ الغدائيين والمجاهدين والفلسطينين وصل مداه حتى لندن . ذرعت الغرفة وأنا أنتظر . وقفت بجوار النافذة خلف السيارة وكنت أرى فى كل امرأة تعبر الشارع رقية أو مرضية الفتاة الهاربة من السجن . خلعت . معطفى . أدخلت الخادم العجوز التى فتحت باب مسكنى وأقفلت الباب بنفسى .

أتى أيضا قليل من زملاء السفارة كانوا جميعا مرعوبين وأنا افوقهم رعبًا أتى السائق فى الحال . كان الجميع ينظر أحدهم إلى الآخر .

كان السفيرشاحباً جلس فى نفس المدخل على كرسى وأمرت العجوز بأن تأتى له بالشاى الساخن كنا اثنين على انفراد .

- السيد الوزير أمر أن تسافر إلى طهران نفس هذا اليوم . رأيه هو ألا نعطى الصحافة فرصة إثارة جلبة جديدة .

لم يستطع أحد من الموظفين أن يحدس أو يتصور من وراء هذه الفاجعة . قدم إلى أحد موظفى السفارة . كنت قد رأيته فيما سبق فى أحد مقار السافاك الخفية ولم أره من قبل فى منزلى إلا فى ظروف التخفى . أبلغنى اوامر الجهاز . أعود فى نفس اليوم إلى طهران على الخطوط البريطانية بقدر

الإمكان . هونفسه المكلف بالتحقيق فى الحادث .

-أمر بألا تضيع وقتك ويجب أن تسافر قبل نشر هذه الحادثة فى جرائد المساء . كنت فى الطائرة وسمعت أنباء الحادية عشرة من إذاعة لندن . كان انفجار قنبلة فى سفارة ايران وقتل سائق الملحق الصحفى هو الخبر المؤلم لذلك اليوم وألحق به مظاهرة الطلاب السلمية فى فناء السفارة .لم ترد إشارة إلى اسمى . ثم أذيع فيما كانت تنقله إذاعة لندن من تعليقات صحف الصباح أن الطلاب لم يميلوا إلى مقابلة الممثل الثقافى وأوردت جريدة يسارية أن الممثل الثقافى موظف بالسافاك وتقرر أن يختار فى منصب وكالة جهاز أمن إيران واستخباراتها . وأنا أقصد بلاشك الجرائد الرسمية الصادرة بالإنجليزية . وفى المقابل وقعت فى أيدى طلاب الاتحاد الذين كان لديهم أكثر مما كنت أتوقع معرفة بحياتى وعلم تفصيلى بخط سيرى لدرجة أنى أيقنت أن أناساً من نفس جهازنا هم من أخبرهم بمجريات حياتى وخط سيرى فى الجهاز وكان ظل رقية واضحاً فى بعض المواضع .

طغمة الفريق ورقية فى تعاون معا فى ذاك الوقت كنت أفكر فى هذه المصيبة ، لكنى أستطيع القول إن حياتى من تلك الساعة فصاعداً أصبحت كدراً وألماً . عشت كل لحظة فى خوف وفزع . مع هذا ألقيت بنفسى مقهوراً فى ألم .

بعد لقاء دام بضع ساعات مع رئيس الجهاز ورؤساء الإدارات العامة والشعب والعاملين الكبار استأذنت فى قضاء بضعة أيام للراحة ولكى أشغل نفسى بحياة أمى التى كانت تجهل حادثة تفجير السيارة وقتل سائقها .

١ وكنت أود أكثر من أى شئ أن اتقصى أمر رقية منها . هل تعرف جديداً عنها وهل تدرى شيئا عن شريط الفيديو أم تجهل كل ذلك . إذا كان

بإمكان رقية أن تظهر نفسها إلىّ ولو على الشاشة،لايبعد قط أنها لم تنسى أيضا أمها . كانت والدتى تعيش فى نفس منزلها بكزر كلانتر . وجدتها سعيدة فرحة . لم تشكُ من حالتها أدنى شكوى . ولم تورد خلاف ماسبق ذكراً فى هذه الأيام العديدة لابنتها . حاولت أن أتفهم سر سعادتها . كانت حياتها تمضى بمساعدة موسى جون (هذه المرأة وزوجها متآلفان معى كثيراً . منذ أن ماتت أمه وانتقل إلى البنك الوطنى وهما يعيشان فى نفس تلك الحديقة ذات البركة. هو سعيد بعمله . له دخل مجز ويثنى عليك كثيراً ويقول دائما لاحسر الله ظله . . . يأتى لى كل يومين أو ثلاثة بالدواء والغذاء . أنفقا علىّ كثيرا . لابد أن نحاسبه .كيف حالك ياولدى العزيز ؟ هل يمكنك مساعدته ؟ أنا مدينة له بمبلغ من المال كان كل كلامها معى عن موسى وزوجته : (أعطاهم الله بنتا جميلة ، كم هى لطيفة . .) فى الفناء الضيق كان يجرى كلب له شعر مجعد أسود ينبح حينا ، سألتها:

- من أين لك ياأمى هذا الكلب ؟

- اشتراه موسى لابنته . يأتى به إلى هنا فى الأيام التى يغيب عنى فيها . نفذ صبرى من الوحدة يقفز هنا و هناك وأسعد به

- ماذا تفعلين يا أمى حين تكونين وحيدة غير اللهو بالكلب ؟

- أخيط لمنيجة ثياب الطفلة . لا تعرف كم تكون سعيدة

لم تذكر شيئا عن رقية .لم أكن أريد أن أكذب قائلا بأنى ليس لدى خبر عن أختى . قلت : أحب يا أمى أن أرى موسى . هل لن يأتى إليك هذا اليوم ؟

- يأتى هنا كثيرا ، لكن هل سيأتى اليوم أو الليلة فعلمه عند ربى .

فكرت قليلا . ثم قالت أمى :

- اذهب أنت إلى منزله واصطحبهم معك إلى هنا .

قلت - ربما لايرضيه أن آتى إليه على حين غفلة .

- اذهب واتصل به بالتليفون

- أين التليفون هنا ؟

- نفس بيت الجار فيه تليفون . نفس نصف منزلنا الذى بعته يوم إحتياجى . إذن (العريس) لديه تليفون . اكتشفت بقية الموضوع . إذن هنا مركز آخر من مراكز مراسلات السافاك .

- أمى العزيزة الاتحبين أن تأتى معى إلى منزلنا فى نياوران . أنا وحيد. يمكنك أن تعطى لحياتى شكلاً ومعنى.

- لا ، لا يا عزيزى . لن تخطو قدمى داخل ذاك المنزل ثانية . تجهيزاته واثاثاته كثيرة بالنسبة إلىّ .

- كيف يكون كثيرا عليك ؟ هل تحتاجين أكثر من سرير ؟ وهل تأكلين أكثر من الغذاء والعشاء ؟ .

- لا لا ، بيتك ليس محلاً للصلاة

من لقنك هذا الحديث وهو أن منزل الأبن ليس محلاً لصلاة أمه ؟

- بيتك ليس محلاً للصلاة . إنه ملك مغتصب

- من قال هذا ؟ من الذى وضع فى أذنيك هذ الكلام المبالغ فيه تماماً .

- لا تجـادلنى يا بنـى العـزيـز . كل الناس تعلـم هذا يقـولون كل السافاكيين أعداء الله والرسول .

- ومن السافاكى ؟

- لا تسالنى . اذهب واسأل الشيخ تقى إمام مسـجد الحى . أنظر أى كلام يقول من وراء السافاكيين .

- أمى العزيزة لست عدو الله والرسول . من يلقى بهذه التهم يخونون بلادهم .

ليس من فائدة أن أجـادل أمى أكثر من هذا . مـافهمتـه هوأن دعايات رفاق رقيه نفذت إلى عمق المجتمع حد أن الناس يتجرأون على الإعلان بأن السافاكيين خائنون مجرمون .

خرجت من عند أمى إلى منزل (العريس) طرقت الباب . فتح الباب شخص لم أكن أعرفه .

سألتـه - عفوا ، أزعجـتك . صاحب المنزل يعرفنى . لم أكن أقـصد سـيادتك . كنت أريد إذا سـمحت أن اسـتـخدم تليـفونك وأتصل باحـد أصدقائى . أنا مسافر غريب وعدت اليوم من السفر .

- تفـضل ،على الرحب والسـعـة، أنتم ابن الهانم الجـارة . تفـضل بالدخول واتصل . وجـدت موسى جون . أتى وزوجـته نفس تلك الليلة لرؤيتى . لما ذهبت أمى إلى المطبخ ومعـها مينجة تحمل على صـدرها ابنتها وبقيت أنا وموسى منفردين انتهزت الفرصة وجعلته يتحدث :

- يا موسى ما الذى حـدث ؟ أمى صارت صعبة جـدا . لم تعد تتفق

معى . من أين لها بأحاديث السافاك هذه ؟

- (كأنك لاتدرى شيئا عن الدنيا . هذه الأحاديث صارت على ألسنة الجميع . ولاشك أن التقصير من السافاك نفسه . بل إن الخبز المستوى بالحجر إذا دخله رمل فهذا بسبب تقصير السافاك . حين يضل أولاد الناس طريقهم أو يصابون بالعمى فاعتبر السافاك مسئولاً عن ذلك أيضا يلوكون ألسنتهم بكلمة السافاك بخفوت حتى لايسمعها غيرهم . زال عن الناس خوفهم ويدون أن يفمهوا ما هو السافاك يتفاذفون الحديث عنه بهذا الشكل . أما الفاهمون فهم يعتبرون أن الشاه هو المقصود من كلمة السافاك . أمك لا تعرف ما هو السافاك ولاتعلم أنك اشتغلت فى الجهار . لكن فهمت هذا وهو ان كل ماهو شاهى سافاكى . أمك صارت الآن تقرأ الجرائد أيضا . كانت تسألنى منذ بضعة شهور عما قرأته أنا من الصحف .

كانت تأخذ الجريدة منا وتقرأها بنفسها . اشترينا لها نظارة ، ومضى أسبوعان ثلاثة وبائع الجرائد يلقى بواحدة منها من ثقب الباب إلى الفناء. أمك بنفسها تقرأها . فلماذا تستغرب الآن أنها تخاف من السافاك ؟

- ألايخالجك أنت أدنى خوف وأنت تقول لى هذا الكلام ؟

- لاتتحدث هكذا . تعال يوما إلى البنك الوطنى وانظر ماذا يحدث ؟ ليس لهم شغل شاغل غير الحديث فى مثل هذا الموضوعات معا . حسنا أنا ومثلى يبلغ عنهم . ولافائدة . لابد أن تجد الرؤساء ، كأنهم لم يعودوا يتحكموا . فيهم ولايمكن أن ترمى جميع خلق الله فى السجن

- صارت أمى الآن عدوا للشاه حتى أنها سعيدة بهذا الحد ؟

- لا ، فى رأيى هناك سبب آخر لسعادتها .

- ماهو؟

- اسأل نفسك

- إذن أنت عارف ولاتريد أن تبوح لى ؟

- أنا لا أعرف ولكنى أحدس

- أى حدس ؟

- عزيزى لماذا ترمى بى فى المهالك ؟ هى أمك وتثق فيك .

- اترك هذا وادخل فى صلب الموضوع

- أنا نفسى لم أر شيئا . فى أحد الأيام تركت زوجتى منيجة تقضى بضع ساعات عند أمك . حين ذهبت إليها رأت أمك تقرأ رسالة . وما إن وقعت عيناها على زوجتى حتى أخفت الرسالة

- من الذى يرسل خطابات إلى أمى ؟

- اسأل نفسك

- أنا الذى أسألك

- فى النهاية ليس لأمك أحد غيرك ورقية وهى لاتخفى عنا خطابًا منك .

قطعت الكلام . حين رحل موسى وزوجته وبنته هجمت على أمى :

- أمى ماذا تعرفين عن رقية ؟

- لاعلم لدى بشئ عنها ، لكن خطر بفكرى أنها سرعان ما ستأتى وسوف يلتئم شملنا جميعا أنت ورقية وأنا

- هل كانت رقية ترسل لك خطابات ؟

- ألم ترسل لك أيضا خطاباً ؟

- لم ترسل لى شيئا

- ارسلت إليك رسالة مفادها أترك عملك وأرح نفسك

- من أين علمت هذا؟

- وهل تقول لى كل شئ تعرفه حتى أقول لك أنا كل شئ أعرفه ؟

- أمى إنك تقامرين بروحك وبحياتى وأنا لا أريد أن تتورطى

- فكر أنت فى نفسك . ليس لى أحد بعد موت أبيكما فى الدنيا إلاّ أنت ورقية . وأنا أعرف الآن أنه لم يعد لى أمل آخر حتى موتى إلا أن تجلسا كلاكما أمامى ماذا تساوى حياتى ؟ اذهب وفكر فى نفسك . أنا أيضا جالسة وانتظر رقية وكلما طرقت زوجة موسى الباب ودخلت أشعر بالسعادة لأنها تقرأ لى شعر حافظ وأسعدحين تشرح له قوله : « أبشر أيها القلب فالمسيحى الأنفاس قادم » وأذهب إلى نومى هادئة على أمل أن يطرق الباب علىّ فى الصباح وتدخل أنت ورقية متشابكى اليدين كما كنتما فى عهد صبا كما وتحتضنانى وأموت سعادة . . .

لم تكن تسمح لى بقطع حديثها . كانت تتبختر فى عالم الأحلام . كانت تحكى أحلامها السعيدة . كانت هاتيك الأمانى تستلب لبى بقدر غمضة العين . كنت أرى رقية حبيبتى وأنا جالسين على حافة الحوض لجعل الماء يتلاطم بأقدامنا فتفر الأسماك الحمراء مذعورة ثم تعود . وكان هذا الحلم يفر سريعا لأرى « صورتها المفزعة والمحنقة على الشاشة وهى تتحدث - ويدها فى خصرها - عن التعذيب والضرب والعقاب . كان كل

منا عدو للآخـر ويتعطش لدمـه . أثارت هي الشجار ولم يـكن لدى حيلة سوى الدفاع عن نفسى ولم يعـد أمامى مناص رضيت أم أبيت من أن أخط حولها خطاً وأتجاهل وجودها .

لكن الحيـاة على الصعيـد الآخر لم تكن سـهلة . ففى خضم مـشاكل أسرتى وزحمتها الداخلية ساقونى إلى ميدان كنت جاهلاً كيف امتحن قوتى . فيه كان عـملى إذ ذاك ينحصر فى منع بعض الشباب الأغـرار الباحثين عن الشهرة عن طريق جلبتهم وصياحهم من إدانة سياسة البلاد . كنت أستطيع سد الطريق عليـهم بالوسائل التى لدى . كنت أهددهم . أصـادر جوازات سفرهم لا أعطيهم حقوقهم المالية وأعزلهم بالتقديم إلى المحاكمة فى محاكم البلاد المضيفة . كان الـعمل الأساسى هوأن أوقع المخلصين للشاة فى اتباع الاتحاد أضـبط صور المعارضين وأسـجلها . أبلغ طهـران وآلاف من الحيل الأخرى . حـصلّت التـجارب وكـانت بداية الخط بيدى . كـان يلزم هذه الأفعـال بلاشك الدقـة والدراسة والعـون والإيقاع بين طرفين وألف حـيلة أخرى .لكن كل أمرئ بإمكانه أن يؤدى هذا العمل .

أما العمل والمنصب الذى فـوضوه إلىّ فكان يحتاج إلى العلم والثـقافة والمراسل السياسى والمرونة والأخذ والعطاءوألف فن آخر . و كنت محروما من كل ذلك . لم أكن أفهم مـا هو الغرض من الدخول فى لعـبة الأحزاب التى أعلنها الشاهنشاه بعـد حادثة شهر خرداد (١٣٤٢ هـ / ١٩٦٣م) لم أكن أفهم بالضبط ما مـعنى سياسة التوازن ، فمـثلا حين كنت أشتبك مع اليساريين فى طريق مكافحة الشرعـية وأضيق عليهم الخناق وأذلهم لا أفهم كيـف يقول الشـاهنشاه القـائد العظيم الجاه بلسـانه فى موسكو (لـوكان بإمكاننا اختيار جيراننا لأخترنا الاتحاد السوفيتى)- فلابد من حكمة ولاشك مستترة فى إبدائه هذه النظرية . ثم ما العـلاقة بيننا وبين السياسة الأمريكية

التى صارت فى فيتنام شعثا بلداً بشكل حقيقى حتى يأمر الحضرة العليا بألا يخوضوا فى بحث هذه المشكلة على أوراق الصحف . كان المعارضون يثيرون الصخب والجلبة حول الفائدة التى سيجنيها بلدنا من وراء ازهاق أرواح شبابنا فى ظفار ومساندة بلطجى جلف غير متحضر .

فكيف يمكننى الإجابة على هؤلاء الحضرات ؟ هل المقصود هو أن علينا الحفاظ على المصالح الأمريكية فى الخليج الفارسى ؟ كان اليساريون يقولون أن الحضرة العليا عميل أمريكا ولا يستطيع فعل شئ بدون رغبة أمريكا . وهذا لا يتفق مع سياسة القومية الإيجابية . كنت أنا الحقير مبتدئا جدا ولا أفهم خبايا الأمور وأقرأ خطب الحضرة العليا بكل دقة من الجرائد وأحفظ منها بعض الجمل لكننى كنت أقف عاجزاً كالحمار فى الطين فى حضور رؤساء الجهاز ، ما إن يجرى النقاش حول مشكلة جديدة كنت جاهلا ولا أفهم من خلال التجربة والذكاء غير أن حسادى يراقبون بكل حواسهم كل حرف يخرج من فمى و يفسروه على أنه يخالف أغراض الشاهنشاه . كانت الذات الملكية هى الكل وكل أو امره مطاعة . بدون أى نقاش . والمخزى هو أننى لم أكن أعى بعض الموضوعات . لم يكن هروب الفلاحين من القرى إلى المدن يمثل فى نظرى مشكلة يجلسون من أجلها ويتناقشون فيها بالساعات ويوظفون متخصصاً من أمريكا ويرسلون القرويين الهاربين بالعصا والهراوة إلى الصحارى الجنوبية كنت أقول بعقلى الناقص : ماالضرر فى أن فلانا الفلاح يتجه إلى المدينة بحثا عن عمل أسهل ويصطحب أولاده معه يبنى له سكنا كالكثيرين من هذه المسائل التى لم يكن أحد يجرؤ على إعلان معارضته لها .

لم يكن لدى من أستشيره فى مثل هذه المشكلات . كنت منفتحا على

موسى جون . لكنه أيضا لم يكن يعرف كل شئ . كان متمرسا فى أعمال البنوك من خلال عـمله الذى دام ثمانية عشـر عاما . كمـا أنه حصل على دبلوم متوسط . كـان يفترق عنى مع أنه لم يحط علمًا بالأسرار السـياسية وكان فى الأغـلب يكرر نفس الموضوعـات التى سمـعها من الآخـرين فى البنك أحيانا . كان يقول بشان اندفاع القرويين على المدن :

- هرب نحو ثلاثة ملايين قروى إلى المدن

- لماذا ؟

- السلع التى نستـوردها من الخارج وهى أرخص مما ينتجه الـفلاحون تبـاع فى السوق . فلم يعـد يسـتفـيد الفـلاح من شـرائه للجبن لأن جبن الدنمارك أفضل من جبن نيقوان وأطعم وأرخص .

- حسنا فلماذا نستوردها ؟

- من أين أتيت ؟ مـاذا كنت تفعل إذن فى لندن خـلال هذه السنوات العديدة ؟

- تحدث

- إذا لم تكن سيادتك موجودا لقلت ما فى قلبى

- قل

- سيدى أما أنك غافل أو تـتظاهر بالغفلة . من الذى يستورد ؟ أنهم هم كل أولئك المشاركين فى هذه اللعبة . يتبادلون فيما بينهم المنافع . إنهم هم اتباع البلاط . الحضرة العليـا ذاتها تعلم هذا قلت فى نفسى : ما أشد جرأة موسى هذا . رأيت الأفضل أن أتركه يتحدث سألته :

- حسنا ما الضرر فى هجرة الفلاحين إلى المدينة ؟

- يهاجرون ؟ ماذا يعملون ؟ هؤلاء يريدون الماء والخبز . يريدون العمل .

- إذن لماذا بنينا المصانع ، لمن هى ؟

- مصانعنا يلزمها خمسة آلاف ، عشرة آلاف ، وليس مائه عامل ولاثلاثة ملايين كما أنها تحتاج إلى عمال مدربين على الصناعة تجلبهم من باكستان وغيرها لا الفلاحين الأجلاف

- إذن فالاصلاح الزراعى والشركات التعاونية كلها بلا فائدة ؟

- عزيزى ليس لدىّ رأى أنا نفسى . ولم أسكن أيضا فى القرى . فلا يمكننى أن أدلى برأى . لكن موظفى البنك يقولون أن كل هذا كلام فارغ . أبلغت عشرات المرات عن هؤلاء المعارضين المشفقين . يقبضون عليهم عدة أيام ويدفعون مالا ورشاوى ويطلق سراحهم . ليسوا يساريين ولا اسلاميين أو شيوعيين فماذا يفعلون بهم ؟ يقول هؤلاء الفلاح الذى لديه هكتاران من الأرض وهو بهما أيضاً مرفه لايمكنه أن يؤمن حياة لأسرة مكونة من بضعة أفراد . الأراضى الجيدة يملكها الملاك أنفسهم وأعطوا الأراضى التى لا يصلها الماء إلى الفلاحين بعد ذلك جاءت الحكومة لكى تعالج وضعهم فزادت الأمور سوءاً زجاجة الحليب المقوّمة تجعل رأس الطفل يتقوس مثلها . جاءت الحكومة لكى تثبت أسعار المنتجات الزراعية فصار نتيجة ذلك أن ترك الفلاح أرضه وماشيته وماءه وهاجر وجاء إلى المدينة هنا يعمل فراشا أوخدّاما يتسول أو يسرق لكنه لا يموت من الجوع

- ما معنى كلامك ؟

- (معناه أن الإنتاج الزراعى يقل يوما بعد يوم وتزداد ضرورات المدن يوما بعد آخر فماذا يفعلون ؟ يستوردون البضائع اللازمة من الخارج من ناحية ويقل الإنتاج من ناحية أخرى . سمعت هذا من مدير البنك. كان خبيراً فى الإحصاء . بلغت عنه . كان قد درس بضعة أعوام فى اليابان الإحصاء بالكمبيوتر فنقلوه من قسم الإحصاء إلى قسم آخر)

- الله أكبر أنا لا أفهم شيئا من هذه الموضوعات

- وأنا وحياتك مثلك لكن الأسوء من كل شئ هو التضخم

- ما هذا التضخم هو الآخر ؟

- والله لا أعرف عنه شيئا أيضا . عليك أن تسأل متخصصا

- كيف يتورم المال ؟

- أنا كنت أشترى حذاء مثلاً فلنقل بمائتى تومان وكان يمكننى أن أشترى براتبى الشهرى مائة حذاء . الآن تضاعف مرتبى مرتين ومع هذا فلا أستطيع شراء مائة حذاء ارتفعت أسعار الأحذية أكثر من معدل ارتفاع مرتبى .

- فهمت هذا . كان نفس الوضع كما تقول فى لندن

كنت أريد أن استفسر منه عن سبب استياء العمال . قال :

- والله أنا لا أعرف هذا . عليك أن تسأل للمختصين . يقال أن الشيوعيين هم الذين يحركونهم

- أنا لا أدرى من هؤلاء الشيوعيون أولاد الحرام الذين يستطيعون إبطال جميع خطوات الشاهنشاه أليسوا هم أنفسهم المساهمين فى الشركات ولهم النواب في المجلس النيابي ؟ ماذا يريدون بعد ذلك ؟ إيران الآن أكبر بلد فى الشرق الأوسط من ناحية عدد العمال . خمسة ملايين يتقاضون أجورا من اقتصاد البلاد . هم مؤيدو الشاهنشاه . وإذ ذاك أتى بعض الشيوعيين من طراز أولئك الذين كنت أحرق جلودهم فى لندن ليهزأوا بالجميع .

كانت هذه موضوعات لم أكن أفهمها . ففى ذلك الوقت رأيت أحد أولئك الأطفال المبتدئين الشيوعيين يدّعى فى رسالته للدكتوراه أن الأزمة الاقتصادية سوف تنقلب إلى ثورة اجتماعية . لم اسمح لوزارة التعليم بقبول رسالته . واجهت فى عملى الجديد مثل هذه المسائل المعقدة . كنت إذا قابلت أصدقائى القدامى مثل آهارى وخان على ودماوندى وهم الآن أصحاب مناصب رفيعة أقف أمامهم عاجزا . الحضرة العليا نفسه استقبل نخبة من العلماء من بينهم أصدقائى القدامى فى حضرته المباركة وأمرهم بقوله :- اذهبوا وابحثوا سبب استياء بعض هذه الطبقات وأبلغونى نتيجة دراساتكم وسوف أتخذ قرارى على أساس تلك الدراسات. أشار أحد هؤلاء العلماء إلى أن شخصاً واحداً فقط يحكم البلاد وليس لغيره حق المشورة وهذا سبب الفوضى والقلاقل ويجب انتهاج أسلوب آخر . فأبلغونى وأنا أدير جلساتهم من وراء ستار فأمرت بأن يركلوه خارجاً .

وجدت دراسة أسباب سخط بعض طبقات الشعب أهمية خاصة أيضاً فى مؤتمر رؤساء الأجهزة على مستوى إيران أغلب بلاد أوروبا وأمريكا . رأى واحداً أو اثنان أن النزاع المشتعل بين ممثلى حزب (إيران الجديدة) و (حزب الشعب) يوجه- النقد والشك والريبة إلى - سياسة

الشاهنشاه فيجب قفل هذا المنفذ . ودار جزء هام من المباحثات يدور حول نفس هذه المسائل التى وضعت موضع الدراسة فى مؤتمر (إعادة النظر) . يجب أن تصل الحريات بالتدريج إلى أيدى الشعب لكن ليس بالحد الذى يتجاهل سلطة الشاه .

ودار الحديث عن تعميم اقتصاد البلاد وضرورة مشاركة رؤوس الأموال الصغيرة فى تكوين الصناعات الجديدة . كان شراء جميع المصانع الكبيرة محصوراً بأيدى بضعة أفراد من بينهم أشخاص كانوا يلصقون أنفسهم بالبلاط - بحق وبغير حق ولابد من إزالة هذا الحاجز . من كانوا يُحسنون انتهاز الفرص كانوا يعلمون أن المقصود هم رؤساء الجيش والجهاز الذين و كانوا يعتبرون التجارة فى المعدات الفنية العسكرية والبحرية والجوية حقا مسلماً به لهم . بلا شك كان المتحدث بهذا أكثر تجربة من ألا يفهم أن انتقاده يمكن أن يتحول إلى حلقة مشنقة تحيط بعنقه . ولكى يذر الرماد فى العيون أكد أن الشاهنشاه يحب أن يشجع رأس المال الخاص ولا أحد يعلم إلا أنه بنفسه لا يقصد إلا أن تكون الرفاهية العامة وكل أملاكه هو لصالح الجميع : إذا لم تكن خطواته الجدية ما كانت الرأسمالية أزدهرت فى وطننا مثل هذا الازدهار حتى أصبحت موضع حديث الخاصة والعامة . كان قصد المتحدث أن مجموعة ضئيلة وهى التى استقرت على رأس الاقتصاد والتجارة بإيران لا ينبغى لها أن تعوق الأمور وتمنع عمل التجار الذين لا يملكون رأس المال الضخم حتى يستفيدوا هم أنفسهم فائدة أكبر . على أى حال كان من اللازم أن تبقى قوة الحضرة العليا الهمايونية على المستوى السياسى أو الاقتصادى والاجتماعى مصانة من أى نوع من التعرض . كان هذا خلاصة نتائج المباحثات فى المجلس الأعلى للخطة .

فى نفس الفترة كان ارتفاع اسعار النفط قد زلزل بشدة اقتصاد الغرب وصناعاتهم وكان لدى الشاهنشاه برنامج يغلمه فيصل بقفزة صناعية واحدة إلى (حضارة الدول الخمس العظمى) . كان يوجب هذا الأمر إعادة النظر بشكل متزايد شراء أسهم شركة (كروب الألمانية) وإعطاء الاعتماد للبلاد الأخرى والأرباح الكبيرة التى كانت من نصيب رجال الاقتصاد وسوء استفادة من وضعوا أنفسهم على رأس الدولة وزيادة أسعار ضرورات الشعب .

كل هذه العوامل والمناقشات والمؤتمرات والمنافسات التى لا مبرر لها والثروات الضخمة التى كان يجمعها أصحاب المناصب الكبيرة وخروج كبار رجال القوة والثروة عن الحد حتى وصل الأمر بوزيرين إلى أن أشهر أحدهما مسدسه فى وجه الآخر بسبب القمار . ووصل الأمر بضابط برتبة فريق إلى أن يشترى خاتماً من الألماظ المصقول كان الشاهنشاه يريده للشاهبانو فاشتراه فى السر من بائع المجوهرات بسعر أعلى والفتن الكامنة والنشرات المغرضة ليس فقط فى جرائد الشيوعيين والحزبيين بل فى مطبوعات المشايخ المطبوعة على الحجر . كل هذا كان باعثاً على أن يتأذى بشدة الخاطر المبارك فصمم على الحيلولة دون مثل هذه الممارسات الهوجاء و تحجيم المتمردين لهذا الهدف آمر يوم الحادى عشر من إسفند (١٣٥٣م / ١٩٧٤م) بحل الأحزاب وتأسيس دولة إيران) . وجاء فى الأمر الملكى أن جميع العمال والفلاحين والمتعلمين والتجار فى الدولة وكل من يعتبر نفسه إيرانيا ويجب أن يعامل كإيرانى عليهم جميعاً الانضمام من الآن إلى هذا الحزب ومن يمتنع عن طاعة هذا الأمر إما أن يبقى عضواً فى الأحزاب غير الشرعية أو عليه بالذهاب إلى السجن أو ترك البلاد ، وله حق السفر إلى

حيث يريد بدون دفع رسوم السفر .

وفجاة تبدّل الحال . تنقب الانتهازيون ووجدوا مائدة ذات رواء وبهاء

فهجموا عليها آملاً فى شغل المناصب العليا واكتساب الجاه . أصبح آهارى وزيراً للعدل وخان على رئيس جامعة تبريز ودماوندى وزيراً للبلاط .

تغير رئيس الجهاز . دخل التيمسار الفريق الجهاز مرة أخرى . أتى باشراف وحماية العسكريين له . فوضت رئاسة الجهاز إلى فريق آخر . كل منهم أتى و فى صحبته أعوانه .

كان الحضرة العليا الهمايونية بذاته هو الذى عينني ولم يكن لأحد أن يتجرأ على مساسى . لكن لم يُرجع إلىّ فى عمل . كانت كافة أمور الطلاب فى جميع العالم من الهند حتى أمريكا وكندا فى يدى فى الظاهر . لكنى لم أعد مرجعًا فى أى شأن . لم يكن أحد تحت إمرتى . كان كل واحد من سافاكى بلاد أوروبا وأمريكا وآسيا تابعاً لواحد من السفراء هو موضع ثقة الشاه وحزب البعث الإيرانى ولم يكن هؤلاء يسمحون لأحد بالتدخل فى أمورهم . أقيل بضعة من رؤساء الجهاز تصوراً منهم أنهم مجموعتى وقالوا أثناء موجة ارتفاع الأسعار المفتعلة أن الأسعار ارتفعت إلى حد أنهم لايحتاجون إلى ملاليم مهنة العمل بالجهاز .

وقبل بداية عام (١٣٥٥ هـ ١٩٧٦ م) بأسبوعين أتى آهارى وزير العدل لمقابلتى .

كان الجو لا يزال بارداً ، ولايزال يرى فى حديقة نياوران خطوط من الثلج . عريت الأشجار من أوراقها . كانت زهور البنفسج تطل واحدة بعد الأخرى برأسها من تحت التراب . كانت براعمها الملونة تبشر بقرب حلول الربيع . كانت الساعة هى السابعة بعد الظهر والشمس تختفى تحت أشجار الصنوبر .

سألنى قبل أن يجلس : مـاذا حدث ؟ لماذا ينقلون الناس من مكان إلى آخر ؟ .

- أنت وزير ولابد أنك تعلم ، من أين لى أن أعلم ؟ .

- اترك الدبلوماسية . يقـال أن معالجـة السافـاكيين للأمور كانت مرنة حتى الآن وأدت هذه المرونة إلى خروج المعارضين من جحورهم . إلى

كان يريد أن ينطقنى . سكت . لم أعطه الفرصة .

- قل ، استمر فى كلامك . أنت تعرف أكثر منى .

- أنا أخاف منك .

- تخاف منى وأنت فى بيتى ؟ .

- فى النهاية أنت وكيل الجهاز .

- لكننى لا أضارع من أختاره الشاهنشاه قوة .

- من أين تعلم هذا ؟ بتقرير واحد مثلى تعلق رؤوسهم .

- دعك من هذا ، وقل ما عندك) .

- صدرت الأوامر بأن أحاكم بضعة أشخاص .

- من الجهاز ؟ .

- هم من الجهاز . أحـدهم كان برتبة فريق أول . لابـد أن يعيد دفع حسابه .

- يجوز أن أكون واحداً منهم ؟ .

- لا يا عـزيزى لست منهم . لكنهـمـا الوزيران الذى شـهر أحـدهم مسدسـه فى وجه الآخر . أمر الشاه بضـرورة إثارة جلبة . لابد من تهدئة الناقمين فى نهاية الأمر .

فسألته : ماذا تعرف عنى . نحن على صداقة مشتركة منذ نحو عشرين عـاماً حـتى الآن . من تلك السنة التى كنا مـعا فى الحـزب . صنعت فى حقك معـروفاً كبيـراً . لم أخدعك مرة . كان حبس الأسـاتذة حيلة و لم يكن بدافع عـدائى لك . لم تسئ إلىّ مطلقـا فى حدود علمى . إذا كـان بعضـهم يريد ضربى فـمثلك عليـه أن يرد إلىّ ما صنعـته من مـعروف . التيمسار الفريق الذى تعرفه زوج مونيكا . . .

- ألا تعرف أنهـا لا تزال فاتنة حتى اليوم وتسـتلب القلوب . أقامت دعوى على زوجها بسبب المال . دعوى تطليـقها منه . إمرأة غليظة وصلبة تقول لك « لى نـصف مالديك وإلا فضـحتك » . ملفـاتهما فـى المحكمة تضخمت بالأوراق . ليس له شأن بـك . من يريدون لك الشر لا يتركون قضية رقية . أين أختك ؟ .

- ما أعلمه أنها ليست فى السجن . ربما تكون بالخارج . فى فلسطين . فى أوروبا . ربما لا تكون أيضا على قيد الحياة) .

- (لا ، حتـما هى على قيـد الحيـاة وإلا ما تحرى عنهـا زملاؤك فى الماضى وحاليًا بهذا الشكل . إن أردت الحقـيقة أنا لم آتِ إليك بسبب هذا الموضوع) .

- أصبر .

أمرت (العريس) الذى كـان خادماً لى كما كان يحـرسنى بأن يحضر للسيد الوزير الشاى والحـليب . أظهرنا بعض التـرحـاب والبشاشة وأبعدت

(العريس) بمشوار طويل لكى نبقى بمفـردنا . ولا يستطيع أحد أن يسترق السمع إلينا . من وقت أن اختـرت لوكالة الجهاز وكنـت أعيش فى طهران فى نياوران كـان بضعـة من الحراس يدورون على الدوام حـول منزلى وفى حديقـتى حتى لا أصاب بأذى من المـعارضين . كان (العـريس) أحدهم وكان يتـمتع بالخبـرة والتخصص فى أمـورى وأمور عائلتى . وكـان رجلاً ساذجا برئيا صرنا بعد مراسلته لى فى لندن يثق أحدنا فى الآخر . وكشف لى فى اليوم الأول من عودتى أن جهانجير أمره بأن يبلغه كل يوم تقريرا عن تحركاتى . كان بإمكانه طبعا أن يكتب أن وزير العدل جاء لزيارتى لكنى لم أكن أحب أن يعـرف بخـبـايا أمـورى . قلت للوزير لما خـلا المجلس من الغرباء :

- أفض إلىّ بكل مافى قلبك . لا تخش فلن يسجل كلامنا بأى شكل ولن ينقل قط .

- الموضوع يتـعلق بالفريـق أول هارى ، رجل أحمق لا يخـشى أحداً ولا يتورع عن شئ ، ومع أنه لايزال ينزل بالسجن منذ بضـعة أشهر الا أنه يظن أنه الفريق أول ويصـدر أوامره إلى عدة جـيوش . كان ضـابطا دارساً خبيرا وظل رئيـسا للمدارس العسكرية لسنوات ويعتبـر من فاتحى أذربيجان المشهورين .

- أى تهمة ينسبونها له ؟ .

- لا يوجد دليل . القرائن كثيـرة . كان يتولى لسنوات شراء الأسلحة من أمريكـا ثم بناء على توصيـاته تبادل مقـدار ضخم من النفـط وأسلحة أمريكية من كل نوع إلى حدّ أن الصحف الأجنبية ادعت أن إيران تفوق فى تسلحـها بعـد ألمانيـا وانجلتـرا كل بلاد حلف شمـال الأطلنطى . نشـرت

معلومات حـول هذا الموضوع فى الصحف الفرنسية والروسـية . لم يعرف أحد بهذه الـصفقات غيـره وواحد من زملائه بقى فى فرنسـا ولم يعد إلى إيران . حتى الشـاهنشاه نفسـه . وأدى هذا التجـاهل من جانبه للحـضرة العليا إلى امتياء حضـرته، وعليه وقع هارى موضع الغضب وعليه أن يرفع القصاص منه .

– هل هو متهم بتهمة مالية ؟ .

– من أين له بهذه الأموال الضخمة إذن ؟ إننا نعدم الدليل ، ليس فى أيدينا قرينة وهذا الموضوع من أساسـه لا يتعلق بالمحاكم المدنية ، ولابد أن ينظر ويفـصل فى المحـاكم العسكرية . ولسـوء الحظ فـلأن حضـراتهم لا يصلون إلى قوته ويخافون من أن محاكمته سوف تسبب لهم المشاكل حولوا الموضوع إلى القضاء المدنى ووقعت أنا فى مـشكلة . فى أمريكا نفسها على وجه الدقـة متهـمون زملاء وتابعـون له كذلك . طبيـعى أن صفقـة بمئات الملايين من الدولارات لاتتم بغيـر رشاوى ويستـفيد صناع الأسلحـة بسبب هذه الصفقات أرباحاً عظيمة فلا يحـبون أن تتهدد مصالحهم ولا يجرؤ بعد ذلك أحد على التعامل معهم . نشرت صحيفة أمريكية أن دولارين يعودان على الأمـريكيين عن كل دولار يدفـعـونه للنفط إلى الإيرانيين . ارتفـعت أصوات المعـارضة أيضاً ، فاعـترض سيناتور بقـوله إننا ندخل أنفسنا بدون علم فى مناقشات لا تتصل بنا من الأصل . تتهدد الأخطار المصالح الحيوية للبلاد المنتـجة للنفط بدليل أننا نسلح إيران من أخمص قـدمها حتى مـفرق شعـرها وليس من المستـبعد أن تـصل هذه التجهـيزات إلى قـوة من قوى المعارضة فى الخليج الفارسى أو غير ذلك . يتصور الشاهنشاه أن هذا النواح بهدف الدفاع عن الفـريق أول . وهو نفسه متردد . أمـر ذات مرة بوجوب إنهاء الأمر تماماً فحكمنا عليه بخمس سنوات بتهمة عدم الانضباط .

ثم ثارت جلبة جـديدة من قبل أسرتـه وأصدقائه فى انجلتـرا وأمريكا . فتحـركت فى الشاهنشاه الرأفة والرحـمة فقال قسـوتم عليه جدا وليس من الصلاح أن يعاقب بمثل هذه القسـوة . ترانى وقعت فى مأزق فطرأت فكرة على بالى الآن وأتيت لاستشارة صديق عشرين عاماً .

قال جـملته الأخيرة بلهـجة بريئة ومـخلصة - أتيت لاستشـارة صديق عشرين عاماً .

- تحب أن اصب لك كأساً من الكونياك ؟) .

- لو كـان فى نخب تقوية صـداقتنـا وتشاركنى الشـراب أيضا فـبكل ارتياح .

جئت بزجـاجة الكونياك البللورية وصـببت كأسين وقـرع كل منا كأس الآخر وشربنا معاً .

- حـسناً قل لى الآن رأيك - لم أفـاتح فى هذا الموضـوع إلا وزير البلاط وهو من أصدقائى القدامى وهو أول من يعرف بهذا السر .

أود الاقتراح على الحضرة العليا أن يطلق سـراح مجموعة من السجناء فى عيد أول العام .

ـ هل تريد أن تأخذ من الشاهنشاة عفواً عاماً ؟ .

- وأى ضرر فى هذا . تـصبح سمـعة الشـاهنشاة أفـضل . سواء فى خـارج إيران حيث يدور الـكلام كل يوم عن حقـوق الإنسـان ويكون هذا وسـيلة للدعاية لـهذا الرأى القـائل إن إيران بلد ديمقـراطى وتخطو فى هذا السـبيـل خطوات هامة خـارج أو داخل إيران . لابد فى النهـاية من سـد الطريق على الاسـتيـاء الشعـبى . أنتم بالثـلاثين إلى الستين ألف مـوظف والثلاثة مليون جاسوس ونحن رجال الدولة بإعلان العفو العام الملكى .

– من أين أتيت بهذه الملايين الثلاثة من الجواسيس والستين ألف موظف سافاكى ؟ .

– هذه شائعات تنشر فى الصحافة الأجنبية خاصة عن طريق منظمة العفو الدولية.

– ما هدفك من هذا العفو العام ؟ ماذا تريد فعله ؟ .

– هذا سؤال وجيه . أولاً أن نستريح من شرور من هم قبل الفريق أهارى . ثانيا أن نفهم هؤلاء المشتبه فيهم الذين يعيشون مختفين أن يتخلوا عن الفتن ويقوموا بالتعمير والإصلاح ولن يزعجهم أحد – رقية منهم على سبيل المثال – التى لم يقل أحد حتى الآن إنها مذنبة – لم تقع منها جناية أو على الأقل لا نعلم ذلك . يمنحها العفو العام الفرصة للعودة إلى سابق حياتها وألا تضحى بنفسها من أجل حفنة من الناس . فى رأيى أن هذا العفو العام ماء ينصب على إفساد مشعلى الحرائق) .

– نحن أيضا نفكر فى مناقشاتنا الخاصة والرسمية فى تشجيع الناس على الإخلاص للشاه وإزالة الاستياء العام . لكن لم ير أحد حتى اليوم أنه يمكن الوصول إلى الهدف بهذه الطريقة . أقول لك بصراحة إن هذا العفو العام الذى تنادى به يخالف سياسة الجهاز تماماً إننا نشدد بالمادة رقم ١٣١٠ المعادية للشيوعية ونحدد الحبس المؤبد على الأقل بدل عشر سنوات سجن للمتهم بالعضوية فى حزب (توده) أو اتباع الماركسية اللينينيه . كأنك تابعت بأمر الفريق أول وراعيت فقط خاطر رفاهية رقية وتريد أن تحرق مدينة (قيصرية) من أجل منديل . كأنك لا تعلم أن البلاد فى حال من الاشتعال . ألم تسمع بأن كل مدينة تبريز كان على وشك الانقلاب راساً على عقب فى إضرابات معدّ لها بعناية ؟ ألا تعلم شيئا عن اضرابات مصنع الأسمنت فى صوفيان وإيران ناسيونال هل تعرف يا أهارى أن بضعة أفراد

من الشعب ومثلهم من جنود السافاك قتلوا في المصادمات مع الفدائيين والمجاهدين والماركسيين الإسلاميين ؟ سمعت أيضا وقرأت عن مقتل رئيسهم في الربيع الماضي . سيدى الوزير أنت لست بالمبتدئ ولابد أن وصل سمعك ماذا يجرى في تكية (حسينية أرشاد) . هل تحب أن أسمعك أحد الأشرطة التي تصل يوميا بالمئات من العراق لكي ترى أي تهم ينسبونها إلى الحضرة العليا والأسرة الملكية الشريفة الأصيلة ؟ . .

لم يدعني الوزير أكمل كلامي .

– نعم سمعت . لكنك لا ترى إلا وجهاً واحداً للعملة ، ويجب أن تنظر إلى الوجة الآخر . ففى مقابلهم وقفتم أنتم والشاهنشاه والجيش . قال الشاه بنفسه إن أحداً لا يمكن أن يغاليه قوة . من هم الملاحدة ؟ الشيوعيون لا يرتكبون أدنى غلطة . تتبعت (جبهة الحرية) حتى لم يبق يؤيدهم أكثر من سبعة . عندى سبعمائة ألف جندى . مُرهم يدخلوا الميدان .

– هذا صحيح . لكنك في النهاية تعلم أي أثر تحدثه هذه الأشرطة إذا وقعت في أيدى هؤلاء العوام الذين هم كالأنعام . لابد من الاعتراف بأن هذه الأشرطة تسبب من الاستياء أكثر مما يحاول الصحفيون حقنه للناس . أجل . إذا سقطت في أيدى أتباع مصدق فكم من البلايا تظهر من الغيب . وهم يطالبون بالحرية ويطالبون بحقوق الإنسان . يتحدثون عن حل حزب البعث هذا الذى عقد الشاهنشاه عزمة عليه . هل تفهم معنى هذا ؟ في هذه الحالة لا يصبح بمقدورى أن أمتلك في نياوران منزلاً ولا حديقة وأنت ياسيادة الوزير لا تستطيع أن تتكئ على كرسى الوزارة .

– إذن فما هو الحل في النهاية ؟ كل هذه الأمور التى تحصيها تنتهى

إلى نهـاية هى أن النار تحت الرماد وأن هذه الجـماعـة يثيـرونها بالأشـرطة والخطب والتـوجـيه الدينـى والإعدام ويعدون ألسنـة نيرانهـا بالاضـرابات ومهاجمة المؤسسات الحكومية والمؤسسات الأمريكية .

صـمت قليـلا. رأيت أن هذا الحـديث المنصـب فى غـاية الخطورة فلم أستطع أن أصبر : كأنك أيها الشاب لست راضيا عن عملك وتريد أكثر مما تملك . قل هذا الكلام إن جرأت للتـيمسار الفريـق يفضح أمرك . أنت لا تدرك مبلغ مكره وخداعه . فى كل ليلة تهـاجم جماعات من الجنود بيوت الناس وتقبض عليـهم مذنبين أو أبرياء . يشلهم جـميعا ويعـجزهم . هل تظن أنه لا يتـورع عن إلحاق الضـرر بك وبرئيس وزارتك يضـربكم ويلقى بكم جميعا إلى حيث ينشر الـعرب الحصير أو فى داهية أحبط الوزير ولم ينطق بكلمة . صببت له ولى كاساً آخر من الكونياك وقلت له :

- فى صحتك .

- (بالهناء والشفاء) .

كان يهم بالنهوض والذهاب . ربتُّ على كتفه وقلت :

- كنت بلا قصد قـاسياً . أنا أحبـك مـثل أخى وعلى ثقة من أننى لو وقعـت يوماً فى مـأزق فسوف تنـقذنى منهـا أنت وأصدقـاؤك الآخرون . قصـدى هو ألا تقدم على أمر بدون ترو . العـفو العام فكرة طيبـة جدا . لكن ليس هذا هو الوقت المناسب. يجب أن تنتظر حتى تمر هذه الانتخابات الأمريكية وتنتهى رحلات الشاهنشـاه إلى روسيا والولايات المتحدة ويطمئن من أن أحداً من اليسار لم يقم بأى خدعة . ويحقق النجاح فى توثيق صلته بالقادة الجدد الأمريكيين ، نجلس ثانية إذ ذاك لو سمحت الظروف ونتناقش حول من يجب أن نستشيره ، والأفضل ألا نتـحدث مع أحد مهما كان فى

هذا الموضوع، ويكفى هذا ناديت (العريس) جذب الستارة ما إن وصل . كانت برودة الشتاء لاتزال محسوسة . قلت :- السيد الوزير هو ضيفنا الليلة . مرهم بإعداد عشاء فخم لنا .

لم نتحدث بعد فى أى كلام جاد ولكى أخرجه من حالة اليأس والحزن استفسرت منه عن أحوال أسرته . كنت أعلم أنه تزوج بفتاة شيرازية اسمها (كلندام) سألته :

- لابد أنها من أصدقائك القدامى عهد إقامتك بشيراز .

- لماذا تسالنى وأنت عليم بكل شئ ؟

- هل كانت أيضا تابعة لحزب توده ؟

- لا ياسيدى تعرفت إلى أسرتها فى شيراز . أرسلوا كلندام إلى أوروبا وطلبوا منى بالاهتمام بها . بدأت من هنا صداقتنا .

- هل رزقتم بأطفال ؟

- طفل عمره الآن أربعة أعوام .

- أبقاه الله لكما .

أمضينا بقية السهرة فى هذه التفاهات . رفع سماعة الهاتف وطلب سائقه وأوصلته حتى باب الحديقة سرت بعد ذلك بضع دقائق حول الحوض ودخلت صالون الاستقبال وأدرت المسجل على الشريط الذى سجلته لحديثى معه خفية وقلت لنفسى :

- ما أشد بلاهته إنا فى فكر الكل وفى الكل - وهذا الصبى فى فكر الكحول والياقة المنشاة .

استرخيت نصف ساعة على الكرسي وأخذت التفكير في الموضوعات التي طرحتها مع أهاري . وردت فكرة إلى خاطري ونهضت وعدت إلى الحديقة. رأيت الحراس الثلاثة نائمين في غرفهم. كانت غرفة (العريس) مضاءة . طرقت بابها ودخلت كان جالسًا خلف المكتب يكتب .

- تكتب تقريرك في هذا الوقت من الليل ؟

- هذا واجب ولابد من القيام به :

- أذهب ونم ، هناك متسع من الوقت في النهار :

لا أنا لا أذهب للنوم ما دمت مستيقظًا .

- فماذا يفعل هؤلاء الحراس إذن ؟

- هؤلاء رجال حمقى. يأخذون أجرهم، ولهذا فلا يهتمون بأمورنا . أنا لا أعرف ماذا سيحل بي لو نقصت شعرة من رأسك .

- هل ليس لديك أصلا سرير هنا ؟

- آخر الليل بعد أن تنام أطل على منزلي أيضًا لفترة .

- أنت مكلف بالحراسة هنا وهناك معًا ؟

- أخذ أجرًا مجزيا في مقابل ذلك حين لا تكون في المنزل تأتي أيام رقادي .

- لاتنسى أن تكتب تقريرك منذ متى وحتى متى بقي الوزير في منزلي .

- اطمئن منذ أن لاحت طلعة الدكتور بيجن في الإدارة وهو يحب أن يعرف كل شيء .

- ماذا لديك من الأخبار عن رقية ؟

- اطمئن بالأ من ناحية رقية. ليست هنا ، حتما بالخارج ، يقال إنها

وجدت فى فلسطين . لم يجد جديد فى منزل والدتكم . . لا يطل على المنزل سوى السيد موسى وزوجته وطفلته . أمك تتردد حينا على المسجد ومحل تلاوة الروضة . ومضى أسبوعان لم تخرج فيهما من المنزل . لعلها أن شاء الله بصحة جيدة .

- على الله .

الحقيقة أننى وثبت لتنفيذ فكرة وردت إلى خاطرى لأتحدث مع (العريس).

- هل زوجتك على ما يرام ؟ كم عمر ابنك ؟

- يذهب إلى المدرسة ، يدعون لك .

- أريد أن أدعو ثلاثة من أصدقائى للعشاء هذا الشهر بمجرد أن تنتهى البرودة . هل يمكنك أن تجهز ترتيبات ضيافتهم ؟

- أقوم بتنفيذ كل أمر تأمر به بعينى . أقول لامرأتى أن تأتى إلى هنا قبل الضيافة بيوم وتحضّر كل شىء .

- يمكنك أن تستعين بهؤلاء الحراس .

- ليس من فائدة من هؤلاء الحراس يا سيدى . هم سكارى على الدوام . لا يفهمون إلا فى الخناقات والفتونة . لحسن الحظ أن ليس هنا ما يوجب عليهم إظهار فنونهم .

- مع هذا فالأفضل أن يظل واحد منهم مستيقظا حتى الصباح ليحرس .

- كما تأمرون . أبلغ الدكتور جهانجير أنكم أمرتم بهذا .

كنت أريد أن أدعو إلى العشاء الثلاثة الذين ربيتهم كما حدث منذ عشرين عامًا . ويصطحبون أسرهم معهم أيضا . أسكرهم بالعشاء والخمر

والحلوى .كنت أظن أنى سأحصل على معلومات مهمة من الحديث مع خان على رئيس جامعة تبريز، ودماوندى وزير البلاط كمثل المعلومات التى حصلت عليها من حديثى مع وزير العدل . يجب أن أجد طريقًا بأى حيلة فى النهاية إلى ما بداخل قلب الصديق .

لم تتم هذه الضيافة . لم أجد شيئا لافتا للنظر فى ملفاتهم . كان دماوندى مشغولا فى شراء الأراضى والعقارات فى جيلان ومازندران . كان يتزلج فى الشتاء فى (آب على) . لم ترق له رئاسة جامعة تبريز وكان ينغص عليه حياته أن رفاقه الآخرين وصلوا الوزارة وهو قابع فى زاوية . كان يتمنى أن يصير محافظ خراسان ويتولى أمر الأماكن المقدسة . رأيت أنه لا تظهر كرامات من هؤلاء الأولياء . السبب الآخر لعدم حدوث هذا التجمع كان مرض أمى .

كنت أطل عليها كلما سنحت الفرصة . كنت أصطحب الأطباء إليها . عرضتها على أستاذ أمريكى كان يحاضر فى الجامعة . لم يكشف أى منهم لديها مرضًا محددًا .

أمسكت بذيل موسى جون : ماذا حدث لأمى ؟ يقول الأطباء أنها ليست مريضة بأى مرض وليست مريضة بالشيخوخة . هل عادت رقية إلى الظهور فسببت قلقها ؟

- أنا صديقك المخلص . لا أجرأ على أن أوجه لك النصح لكنى أقول الآن يجب أن تنقذ نفسك من هذه الورطة .

- ماذا تقصد ؟

- أقصد أن تأخذ إجازة شهرين أو ثلاثة وتأخذ معك أمك إلى مكان لا تكون فيه وحيدة وتبقى مستريحة بدون التفكير فى رقية . هنا تموت أما

وتعذب نفسهـا . تظن أنها ابنتها كلما شخص فى الحـارة . لا يفترق الليل عن النهار عندها . تصحو من نفسها وتتلاحق أنفاسها . دائما فى خوف . لا معنى لأى شىء عندها غير رؤية رقية .

- ما قصدك من الشعر الذى رويته ؟

- الوضع فى منتهى السوء يا سيدى .

- عاد موظفوا البنك إلى إثارة القلق .

- أنا لا أتحدث عـن موظفى البنك . الجـميع يتـحدثون بصـراحة عن الأوضاع . يَسُبّون هذا التقـويم الشاهنشاهى الجـديد بآثاره السيئـة جداً . يقول الناس إنه تقويم المجوس يقولون إن الشاه كافر .

لم أرد أن أتركه يتجرأ علىّ ويواجهنى بكل ما آراه .

- موسى أتيت لأطمئن منك عن أحوال أمى .

- أمك متألمة لنفس هذه الأسباب . وصل سمـعها شىء عن رقية حتى مرضت لهذا الحد .

- ماذا سمعت ؟

- فى حدود علمى أن أمك ليست هى تلك السيدة قبل شهر حين كانت سعـيدة هانئة . صـارت فى غاية الاكتـئاب ، ولهذا أقـول لك أن تأخذها وتنقلها من هذه الورطة .

ألقانى فى هم عظيم . لا قدر الله وحدث لها مكروه فسوف يقول كل الناس خاصة رقية إننى أنا الذى رميت بها فى هذه البلية وتسببت فى قتلها .

وحينما وجدتها وحيدة حادثتها : - هلم يا أمي العزيزة نسافر معًا لبضعة أسابيع .

- لن أذهب إلى أي مكان . أنا باقية هنا حتى تأتي رقية .

- ومن أين تعلمين أن رقية آتية .

- أعلم هذا ورقية ستأتي قريبًا .

هذا ما كانت تؤمن به فيما يخص أبناؤها ، لذلك فلن يستطيع أحد قط أن يوهن من عقيدتها . طويت أصابعي داخل كفتيّ وقلت لنفسي هذه البنت سدٌ في طريقي بكل مكان كان موسى صادقًا في قوله ؛ كان الناس قد انفجروا . ولم يعد يفيد القبض عليهم . لم لا يمكن القبض على الجميع وتأديبهم وإطلاق النار عليهم ، قبض على بضعة من الملات وأتباع الجبهة الوطنية ،لم يفِدْ هذا شيئا . كنا نخمد صوتا ليتصاعد مائة صوت من أوروبا وأمريكا . كانت أعصاب الحضرة العليا مشدودة غضبًا منهم .

في أواخر عام (١٣٥٦ هـ/ ١٩٧٧ م) أعلنت الجبهة الوطنية عن نفسها . نشرت برنامجها في ١٢ مادة . كانت تطالب بحل السافاك . وإطلاق سراح جميع المسجونين السياسيين. حرية الأحزاب والصحافة ونقابات العمال.كان من ضمن أهدافهم معاقبة من قاموا بأعمال التعذيب .

إذا كنت وأمثالي لا نثق في حماية الشاهنشاه لنا مائة في المائة لكان علينا في تلك الأيام أن نخلع أخفافنا ونلوذ بالفرار . كان الكثير ينقلون أموالهم إلى البنوك بالخارج . حوّل إلى أوروبا وأمريكا في خلال عام واحد طبقًا لتقرير رئيس بنك الصادرات والواردات حول منه وحده ٢٢٨ مليون دولار . كان هذا المبلغ طبقًا لتقرير سائر بنوك إيران يتجاوز مليارى دولار. فضلاً عن أن مقدار العملة الصعبة التي كان يسرقها حاشية الحضرة

العليا لم يدخل الحساب . كنت فى أواخر ذلك الشهر ليلة أن قصم الزمان ظهرى ولـن أنساها ما حـييت . كـان الثلج قد غطى الشـوارع فى أطراف نياوران ، ولبست أشجار الصنوبر أكفانها البيضاء . كان هدير السيارات قد خفت ولم يعـد يسمع غير الصوت الرقـيق لاحتكاك العجلات بطبـقة تبلغ العشرين حـتى الثلاثين سنتيمتراً من الثلج المجـوف . تريضت نصف ساعة فى الحـديقة . نظرت إلـى مكتب (العريس) فـكان لا يزال مضـاءً . لم أحب أن ينتظـرنى غـيـر قـادر على الخلود إلى النوم ، دخـلت إلى المنزل وأقفلت الباب .

وفى منتـصف الليل نهـضت من نومى بمكالمة هاتفـية من (العـريس) وأخـبرنى بأن زمـيله رأى أمـراة محـجبـة وصلت منزل والدتى من فـوق السطوح وأن (العريس) يحدس من أوصاف قـدها وطولها وطريقة قفزها من جـدار لآخر أن هذه المرأة لا بد أن تكون هى رقـية . ركـبت السيـارة مفزوعا وانطـلقت مسرعًا إلى كلدر كلاتـر ولم تفتح أمى الباب رغم طرقى عليه . فـصعدت السور وقفـزت داخل الفناء وأيقظت أمى التى راحت فى سبات عمـيق لم تظهر أى ارتياع . أخذت تجـيبنى على أسئلتى بهدوء . لم تعترف بما حدث . صممت على اصطحـابها إلى منزلى . لم يفد هذا شيئا بالغريزة ليس هذا المنزل مكانًا مأمونًا فتعالَى معى إلى منزلى . تعالى نرجع سويا إلى مسكنى .

- لا يمكنك إلا أن تحملنى جثة هامدة من هذا المنزل .

- هنا لا أمان لك هنا .

- لماذا هل جئت بمصيبة جديدة ؟ .

- أى مصيبة .

- هذه التى ادعيتموها وذكرتموها فى الصحف ؟

وكانت تعرف المقـالة التى نشرت فى الجرائد ضد آيه اللـه . الشيء الوحيد الذى لم تكن تعرفه هو أن تلك الشـتائم نشرت بتحريض التمـيسار الفريق بقصد ضرب المعارضين .

- أمى ، أى شأن لك بمثل هذه المواضيع ؟ .

- كيف لا يكـون لـى شأن بها ؟ ألست مهتـمًا بها ورقية كذلك ؟ لماذا لا أهتم أنا بها أيضًا ؟

لم تفلح محـاولاتى مع أمى . لم يتبين هل كانت رقـية نفسهـا الشبح الذى رآه زميل (العريس) فوق السطوح أم لم تكن هى. لكن الأمر الذى لا ريبه فـيه هو أن علاقـة كانت موصـولة بين رقيـة ووالدتى. وصل سوء الأوضاع فى البـلاد إلى حد أن ظلال السياسـة اليومية كـانت تمتد إلى كل مكان وتنفذ فى كل فجوة ،كانت أمى تحس بأن أحداثًا على وشك الحدوث غير أنها كانت ترى هـذه الأحـداث فى صورة عودة ابنتها إلى المنزل .

حين كان طلاب المدارس الدينيـة يتجمـهرون فى قم ويهتـفون (الموت للشاه) وكان التيمسار الفريق بنـاء على قول الشيوعين يجرى الدماء سيولا أيضا صار معلومًا أن الحرب اسـتعرت بين الشعب والسافاك . كنا نقف فى ناحـية ، وفى الناحـية الأخـرى وقف مؤيـدو السلطة الدستـورية والملات والمجاهدون والفدائيون والانتحاريون بأرواحهم وملايين الشعب .

كان هذا لعبة قاتلة . حسبت جماعة من المسؤولين حساباتها وفكرت فى حياتها وأموالهـا وجمعت فرشها وهربت . لاذ كثيـر من السافاكين بالفرار ورحلوا بأسرهم إلى أمريكا وانجلترا وفتحوا لهم أرصدة جديدة .

صحيح أننى كنت أفكر فى نفس هذه الفكرة . لم أشـعر بعذاب نفسى فى أن أخلى ظهر الحضرة العليا واتجـه إلى أوروبا مع أن معدل الثروة معى لم يكن بالحد الذى يمكننى من الحياة عمراً بفوائده . لكن الذى منعنى هو أمى

العليلة ورقية الهاربة .

وسرعان ما علمت أن أختى هى رئيسة لإحدى المجموعات الثورية .

كانت مراسم العزاء تقام كل أربعين فـى ذكرى مذبحة قم فى كل مدينة وقـرية ، فكانوا يوصـدون المدارس ويعطلون الأسـواق وكـانت إضـرابات العمال فى المصانع علامة المقاومـة الشعبية . توجه الشعب فى يوم الأربعين لذكرى مذبحـة قم فى مدينة تبريز لإقامة العـزاء . أقفل رئيس شرطة الحى السادس باب المسـجد وفرق جمعـهم . اعترض شاب اسـمه (تاج على) على هذا الاعتداء ، شـهر رئيس الشرطة بسبب حـمقه مسدسـه فى وجهه وارداه فى الحال قتيلاً . واذ ذاك قام الناس بتحطيم زجاج المحلات . مزقوا الوثائق فى البنوك . أطلق الجنود رصاصـاتهم فى الهواء لتفـريق الجموع . كان السـافاكيـون يكمنون فى زقاق وحدبوا إليـهم رشاشاتهم . مـات مائة وجرح أكثر من ستمائة إلى سبعمائة على الأقل .

وفى ربيع عـام (١٣٥٧ هـ / ١٩٧٨ م) أضرب المساجين عـن الطعام وقاسى أربعمائة وخمسون الجوع منهم . مات بضعة منهم . كانت الأشعار البذيئة والكريهة المعادية للشـاهنشاه تنتقل من فم لآخر. حكت أمى بسبب كرهها للشاه عدو ابنتها قصة صياد السمك للطفلة . . التى لم تكن تتحدث إذ ذاك وقصّها علىّ موسى جون ضمن حديثه لىّ. امراته لم يكن لديها أرز ولا زيت ولا فحم لكى تعد عشاءً لزوجها . فـألقى الصياد من فرط غضبه السمـكة فى الماء . ما إن تحركـت السمكة فى الماء حـتى صرخت (يحـيا الملك ، يحـيـا الملك). وهكذا ثارت جـمـوع الشعب . فـلا عـجب أن أشعلت النيران يوم ٢٨ مرداد (١٣٥٧ هـ/ ١٩٧٨ م) فى سينما (ركس) فى مدينة عبدان وأيقن الجميع فى كل مكان بأن هذه الجريمة ارتكبها السافاك . مات ستمائة إنسان خنقـا بدخان الحريق وتفحـمـوا بناره . سألتنى أمـى : هل كنت أيضا فى عبدان ؟ .

كان السافاكيون يطلقون شائعات مفادها أن هذا التخريب قام به اتحاد الحمر والسود أو الشيوعيين ورجال الدين .

بلغ السيل الزبد ووقع ما كان لا بد من وقوعه .

وليلة نفس اليوم الذى وقعت فيه مذبحة تبريز على يد الجنود والسافاكيين ومع أن عدد حراسى زاد من ثلاثة إلى خمسة انفتح بعد منتصف الليل فجأة باب غرفتى وكان (العريس) بصحبة رقية مع بضعة من المسلحين واقفين على رأس سريرى . رأيت (العريس) أولاً . كانت رقية خلفه وبيدها مسدس . ومن ورائها بضعة من لابسى السواد بأيديهم الرشاشات . أمرت أختى من كان زوجها لبضعة أيام (انطق !)

- (سيدى رقية هانم طمأنتنى بأنه لن يرق دم . كنت خارجًا من الحديقة واريد قفل الباب من الخارج حين أمسك شخصان بكتفى . وقع قبلى الحارسان خارج الحديقة أسيرين . فتحوا قفل الباب ودخلوا الحديقة . أمرت الحراس الثلاثة الباقين بناء على أوامر رقية هانم بتسليم أسلحتهم . أنا عبد مأمور أطاعونى . أعتقلوا بعد ذلك الحراس الثلاثة وكانوا أنصاف سكارى فى الجراج وأقفلوا بالقفل الباب عليهم ووقف يحرسهم شخص يحمل رشاشًا أحضرونى معهم لأرشدهم إلى غرفتك .

نظرت مبهوتا مشلولاً من الرعب إلى أختى . لم تكن هى تلك البنت الجميلة اللطيفة التى كنت أعرفها . عيناها حمراوان ذابلتان من السهر، وخداها اللذان برز عظامهما بهت لونهما وشفتاها زرقاوان مشققتان تبعث حالة تفيض غيظا وغضبا إلى وجهها . لم يفقد أنفها الذى فى حد القلم شكله منذ طفولتها . كان التعصب والعناد والجرأة تتضح من كل حركاتها حين أطمأنت من أنى عار من السلاح وأنا فى رداء النوم غمدت المسدس فى غمده المعلق بحزام وسطها .

انتـزع لابس السواد المرافق لهـا مسـدسى من جيب ردائى المعلـق فوق الكرسى

- ألا تدعونى للجلوس ؟

- لم تكن تقصد الاستهزاء والسخرية . قلت :

- البيت بيتك . اجلسى حيثما تريدين

-ليس هذا بيـتى . بيـتى فى كلـر كـلانتـر . لم أرر أمى هذه الليلة . اكنت تريد مقابلتى . ها أنا وأنت .

لم يتبق شيء إلا أن يغلبنى الـبكاء . كل أبهة جاهى ومقـامى ورئاستى كأنه سقط عن جـسدى كالثوب المتسخ . لم أكن أعلم أنى بهـذا العجز . كنت ظالماً وغدوت مظلوما . دار بخلدى أن قلبها يترأف بحالى . لكنى لم أر منها أدنى رأفة . قلت :

- بهذا الشكل ؟

هل كان بإمكانى أن أراك بطريقة أخرى ؟

- كنت أبحث عن أختى التى هى عمرى كله. لم أجدك فى أى مكان .

- لم تكن تبحـث عنى ، كان خفـراؤك هم الذين يبحـثون عنى . لو وجدونى ما وقع نظرك على . أنا مسلحة من مدة ولن استسلم ثانية للخداع والمكر والظلم .

- ماذا ؟ .

- لأنى لن أقبل ثانية الظلم .

- أتيت هنا لمناقشتى فى السياسة ؟

- لا ، أتيت هنا لأعرف منك الإجابة عن رسالتى لك بالفيديو .

- بالمسدس والرشاش بيدك ؟

- وهل كنتم تأتون تبحثون عنا بالنقل وسكر البنات والدلال والنعمة ؟

ـ ماذا تريدين منى ؟ مالا ؟

- لا ، لست بحاجة إلى المال . كانت ألف من القروش لها قيمة لدينا فى ذلك الوقت كألف جنيه ، أما اليوم فنحن نعطى عشرات أضعافها لأمثالك لكن ينضموا إلينا ويشاركونا القتال .

صمت أغمضت عينى . كأن فكرة اختلجت لحظة فى عقلى: استسلم ، من هذا العمود إلى ذلك فرج . فى صفوفهم مثلما هو فى خلقتنا النفاق والتملق والطمع والحسد وسوء الطبع والخداع وطلب الجاه وحب المال . القوة تؤدى إلى هذه المفاسد . وفجأة انبعث فى ناظرى منظر المخربين القتلى فى الصراع مع المجاهدين والفدائيين والماركسيين الإسلاميين . بأى قسوة حصدهم التيمسار الفريق فى قم . لم يقطب جبينه حين هاجم الجنود منزل آية الله العظمى وقتلوا به بضعة أشخاص . تجلط على وجوه القتلى الكره والغضب والحقد . هل يمكن الاطمئنان إلى رفاق هؤلاء الفدائيين وأتباعهم ؟ رقية واحدة من هؤلاء .

أساءت أختى فهم صمتى هذا . ظنت أننى أريد مصالحتها . تحرك فيها عرق المروءة والإنصاف فى النهاية هذه المرأة المسلحة هى من لحمى ودمى وامرأة ولها قلب ولا يزال يجيش فى صدرها حب عهد الطفولة . أمرت الرجل المسلح والعريس بالوقوف عند الباب والانتظار بدأت الكلام بكلمة يا أخى :

- يا أخى لا تتردد . هذه الحكومة زائلة . سوف نتولى الأمر

ونعاملك باللطف ، لا بد أن تقرر الليلة

- اذا لم أقرر الليلة سوف يقتلونني برصاصة ؟

- لا ، إن حياتك لها قيمة عندنا . لا يمكن أن يكون قتلك قصاصًا لمذبحة قم وتبريز . فسوف تذهب ويحل محلك كثيرون آخرون . لكن اذا انضممت إلينا سوف يعيد النظر كثير من الجلادين زملائك ويتركون أعمالهم وهذا فوز لنا . موتك لا يفيدنا مطلقًا ، أما حياتك فهي التي تفيدنا .

- اذا لم استسلم الآن توًا ، إذن فماذا تفعلون بي ؟

- لا شيء ، نغادر هذا المكان ونتركك على حالك. وبعد عدة أيام سوف تنشر جميع الصحف العالمية أننا أسرناك بضع ساعات ولم نأخذ من مالك شيئا ووهبنا لك الحياة وسوف يبينون كرمنا هذا دليلاً على اتباعنا الحق وطلبنا الحرية ويجلونّ أسلوب كفاحنا . أما ما سوف تقوله في دائرتك فليس بذي أهمية . سوف يعتبرك الجميع خائنا ويرتابون فيك كشأن بعض أصحابك المشكوك في أمرهم اليوم وهم يقومون بخدمتنا ، وأنت نفسك أكثر علمًا بمن الذي أعنيه منهم .

وبقصد خداعها وعدتها بالتفكير في اقتراحها الذي أوردته في شريط الفيديو (أخي إن هذا هو آخر شروطي وخطواتي . أنت تعرف بنفسك أنك اذا تنصلت مما قلته وسمعته فوداعًا إلى الأبد. نحن متمسكون بكلامنا. اذا نكصت سوف تكون الحرب بيننا وخيمة العاقبة . أعلم هذا أيضًا ، أقول لك هذا لأننا على انفراد وأتركك . الذي يحترق لأجلك أكثر من الكل هو أنا . اذا كنت لا تسعد بتعذيب الآخرين وإيلامهم فقد تعودت على الأقل وجود التعذيب . لكني لا أعلم إلى متى يمكنني تحمل المصيبة بهذه الفداحة . إني لأرغب في أن أكون بجوارك وجوار أمنا . أخرجتني من منزلنا وهمت على وجهي . . . .

لم تستطع إتمام كـلامها . عـضت شفتهـا السفلى بأسنانها وأغـمضت عينيها . مسحـت بقبضتها دموعها . أردت السقوط علـى قدميها . رفعت يدها اليمنى وأشارت إليَّ بألا أتقدم .

- لن تخرج من غرفـتك حتى انقضاء نصف ساعة . نحـتفظ بالحراس الستـة جميـعًا فى الجراج . نضع قـفلاً على باب المنزل . سنرمى بالمفـتاح بداخل الحديقـة من خلف الباب . وبعد نصف الساعـة تقدم أنت وابحث عن المفتـاح فى المنـزل والحـديقة والجـراج أخرج حراسك وأمر بأن يبلغ (العريس) بما حدث تفصيلاً .

مكثت وحيدا فى مخـدعى لمدة بضع دقائق . ارتديت ملابسى واتجهت إلى النافذة ورأيت فيما وراءها أكثر من خمس عشرة منقبة تحت إمرة رقية . أخلا الجميع بإشارة منها الحديقة . كانت اثنتان منهن تراقبان من فوق حافة السور النوافـذ وباب العمارة ومـا إن وصل سمعى الصوت الخـافت لمحرك الناقلة حتى هبطت المنقبتان من فوق السور ولم يعد يسمع صوت المحرك .

توجهت ليلاً بالسيارة إلى منزل والدتى. فى الطريق كنت مع نفسى فى جدال وأخـذ وردّ . كيف أواجه أمى ؟ اذا لم تكن مـريضة لكنت كلمتـها وكان لى الجرأة على توجيه اللوم لها فلماذا أخفت عنى معلوماتها فلم أقدر على الحيلولة دون وقوف أختى اليوم بمسـدس فى مواجهتى وتهديدها لى . لم يكن اضطرابها ووهن شيخوختها يسمحان بهذا لى . تلكأت ساعتين فى شمـيران وفى المـدينة . طرقت الباب حين أشـرق النهار . كـانت أمى فى بداية الصلاة ، قـالت (الله أكبر) مرتين ثم فـتحت باب المنزل . لم تكن مفزعة قط . كأنها كانت تعلم بكل ما حدث . سألتنى هل رأيت رقية ؟

- من أين علمت بهذا ؟ .

- كانت ذكرت لى هى نفسها أنها ستأتى يوما لرؤيتك .

- اذن كنت ترينها ؟

- أجل ، كانت على اتصال بى ، وحين كانت توقن من أنه ليس بالدار غريب كانت تأتى بنفسها

- وكنت لا تقولين لى شيئا من ذلك ؟

- أمرتنى ألا أبوح بشىء لأى أحد . أشرت لك مراراً بأن رقية آتية .

- ألا تدركين أنك ترمين بنفسك وبها فى الخطر وكنت تفعلين ذلك فيما سبق ؟

- ماذا سيفعل بى أنصار الشاه ؟ أما رقية فهى واعية لنفسها .

- ألم تقدرا موقفى ؟

- بلاشك كنت فى اعتبارنا . كنا ولازلنا نفكر فيك تماماً . كانوا سيخرجونك من عملك فكنت أنا ورقية نبحث لك عن عمل مجز تأكل منه الخبز الحلال

- بهذه البساطة ؟

حقاً رقية استحقت عقلها . رغم إصرار أمى على تناولى الإفطار عندها فلم أرض ، كانت تهم بالذهاب وشراء الخبز الطازج والبيض والجبن والحلوى الطحينية فلم أطعها .

ذهبت إلى مكتبى فى تمام الثامنة والنصف وكتبت تقريراً بما جرى لى بمنتصف الليل وحملت هذا التقرير المكتوب إلى رئيس الجهاز وكان ضابطًا برتبة فريق إذ ذاك .

كان هذا الرجل من أغبياء الزمان . جعله الشاهنشاه على رأس الجهاز ليس لسبب الا لكيلا يتولى رئاسة الجهاز رجل سىء السمعة ولكى تسكن

ثائرة المعارضين . كان أخبر بالهاتف بتقرير (العـريس) . قرأ بدقة ماكتبته وقبل أن يتخذ قرارا اتجه مـباشرة إلى البلاط وأبلغ الشاه بما حدث. أنا على يقين من أن ما حدث كان مبرراً كافيًا كثيرا لاقناع الحضرة العليا بإقالتى من وكالة الجـهاز . أقر هو نفـسه لى بأن التيـمسار الفـريق أصر على أن يحل مـحلى ، لكن الشاه رفض فـبـقيت أنا فى منـصبى . شـاعت الولولة فى الجهاز . لم يصـابوا بمثل هذه الضربة القاصمة من بعد حـادثة (سياهكل) حتى وقتذاك . اشتعلت الاعتقالات . كانوا يجدون فى إثر النساء فى بداية الأمر. لم يفصحوا عن أى معلومة بهذا الشأن للجرائد .

الأكثـر إثارة للعجب أنه لم ينتـشر خبـر عن هذه الحادثة فى الصحـافة الأوروبية والأمريكية وفى رسائل الحـزبيين ونشراتهم أيضًا . ربما كان سبب ذلك أن جمـيع البلد كان يعيش فى حـالة من الغليان وكـانت تولد أحداثا تجعل تهـديد أحد الوكـلاء بمنزله اعوجاج ضـئيل فى العـجلات الضخـمة لسيارة جهاز استخـبارات إيران وأمنها ولم يكن بإمكانها اجتـذاب اهتمـام قواد البلد إليها .

استنبطت بعد مكالمة قـصيرة أجريتهـا مع أهارى وزير العدل ودماوندى أنهما يجهلان أيضًا الواقعة حتى (العريس) عاد إلى عمله فى اليوم التالى وتولى حراسـتى بمنزلى . غيروا حـراس منزلى وزادوا من عددهم أعطونى سيارة مدرعة وصديريًا يقى من الرصاص وأحكموا جميع نوافذ بيتى بأسياخ حديدية وتمتع أغلب قواد الجهاز بنفس ترتيبات الحراسة هذه .

ومع هذا فلم تكن تتخذ إجراءات تحول دون الثورة والفتن .

فى ١٩ أردى بهـشت (١٣٥٧ / ١٩٥٨ م) قـام الشعب بـالمسيـرات المعادية للحضـرة العليا الشاهنشاهيـة ، مارسوا أعمال التـخريب ، أشعلوا النار فى السـيـارات . هاجم الجنود منزلـى رجلى دين بدرجـة (آية الله)

وقتلوهما . انتزعت الحرية من أيدى أتباع السلطة الدستورية وكانوا يطالبون بالإصلاحات ووقعت قيادة الثورة فى أيدى الأصوليين .

قام الملات والجبهة الوطنية وجميع المعارضين بالإضراب العام وأصدروا أوامرهم باعتصام الناس بمنازلهم وفى المساجد . ظهرت المدن فى صورة المقابر . فهم الشاه بحكمته تردى الأوضاع فأمر بعزل رئيس الوزراء وأحل مكانه واحداً آخر لاهمة له .

أخذ حزب البعث الموافقة على أن ينقسم إلى شعبتين .

دخل الحلبة أعداء إيران الخارجيون الذين كانوا يتربصون بها . شجع عملاء الأجانب المعارضين على الثورة والفتنة . ألقيت الخطب فى المجلس النيابى . انتقدت الجرائد علنا دكتاتورية الشاه . كتبت إحدى الجرائد بالخط العريض : لا بد أن يطلق سراح السجناء السياسيين . المهاجرون السياسيون يجب أن يكون بإمكانهم العودة إلى إيران . لابد من حل السافاك . عقد زعماء الجبهة الوطنية الذين كانوا حتى ذلك الوقت صامتين لقاءات صحفية علنية مع الصحافة الأجنبية وكانوا يعتبرون من اللازم تعاون كافة الجماعات حتى الشيوعيين .

وعد الشاهنشاه بعقد انتخابات حرة فى العام التالى .

تجاوزت الاضطرابات والفوضى كل حد ومقياس . أطلق ضابط أبله النار على الناس فى أصفهان . أتى رؤساء الوزارة ورحلوا ولم يأتوا معهم بتحفة . لم يكن لدى رئيس الوزراء شىء يعرضه أمام أعضاء المجلس النيابى إلا اعترافه بأنه لم يكن يعرف أصلاً وزراءه بل إنه لم يشرب معهم فنجانًا من الشاى .

كل هذه الممارسات الجاهلة زادت الشعب جرأة وشملت مظاهرات

الشـوارع مئـات الآلاف من المتظاهرين فى كل ركن من البـلاد ، واشتـرك مليون شـخص فى الاضرابات وفى النهاية تولت الحكومة العـسكرية الأمر فى مدن إيران الإحدى عشرة .

وصلت الفوضى حد أن (الحمار لم يعـد يعرف من هو صاحبه) ، لم يأبه الشعب بالقادة العسكريين وبدأت الاضرابات العامة .

فى يوم الجمـعة السابع عـشر من شهـر يور قام أكثـر من مليون إيرانى بمظاهرة عظمى فى ميدان (حالة). فك التيمسار الفريق الذى كان يظن أنه سيقـفز بوثبة واحدة إلى رئاسة جـهاز الأمن والاستخبـارات الإيرانى لجامه وأصـدر أوامره بإطلاق النار على النـاس فقـتل نحو أربعـة آلاف إيرانى . سمى هذا اليـوم (بالجمعـة السـوداء) . شب العصـيان بكل معناه ، فـقد الشاه والحكـومة السيطرة عـلى الأمور توقف عمـال النفط عن أعمـالهم ، جف معين دخل الحكومة . انضم إلى عمال النفط أيضًا العاملون بالوزارات تصور الحضـرة العليا أن العلاقة بين الشعب وآية اللـه الخمينى إذا انقطعت فسوف تدار أمور الدولة . نصحه المستشارون الأغبياء هذه النصيحة وهى أن ينفى هذا المعظم من العراق . سـافر الخمينى إلى فـرنسا واستقـرت جميع وسائل الإعـلام لسائر بلاد العـالم تحت تصرفه. أعلنـت الجرائد العصـيان بدورها . خرج من إيران أكثر من مليارى دولار من العملة الصـعبة خـلال شهـرى مهر وآبان . كما أنه لم يعد أحد يدفع ضرائبه .

خلال هذا الهـرج والمرج كان بعضـهم يهمهم بتـجميل نفـسه . أهارى بدوره يكد ويكدح ويطبخ لنفسه حلواه ويعـرض على المجلس النيابى قانون حرية الأحزاب وينصب الفخ . يدعو الشباب والطلاب الإيرانيين المهاجرين للعودة إلى الوطن بلا أدنى اهتمام بجـرائمهم . لم يأخذ مشورتى هذه المرة كانت القطة السارقة قد حسبت حساب أفعالها . علمت أنه يجمع متعلقاته

ليهرب من إيران . كان قد تذكر وقتها أن عليه أن يقلد طلاب الحرية .

لم يقعد التيمسار الفريق عاطلاً . حرض عددا من الأوباش على إشعال النار في دور السينما والبنوك والمؤسسات الاقتصادية حتى يلقى بتبعة ذلك على أعناق الثوار . لم يكن لطموحات التيمسار الفريق حد ولا حصر . بعد استقالة رئيس الوزراء الذى لم يشرب فنجان الشاى كان يتصور أن الشاهنشاه سوف يجعله خليفه له . والمعظم كان أعقل من أن يفوض الصلاحيات لسفاك دم غبى .

حين رأى كبار الضباط أن رئيس الجهاز ورئيس الوزراء حكم عليهما بالسجن لمدة سبع عشرة سنة آثروا الفرار على القرار وكانت الطائرات تمتلىء يوميا بالمسافرين الأثرياء والسافاكيين الذين كانوا يقومون بأعمال التعذيب .

كان بحوزتى نحو عشرين مليون تومان قبل أن يقال رئيسى وكنت استطيع أن أؤمن مستقبلى بالاستيلاء على هذا المبلغ وتغييره إلى دولارات . كنت مصمماً علاوة على هذا المبلغ على بيع منزلى وحديقتى فى نياوران واصطحب أمى إلى مكان آمن فى العالم اعتزل فيه . كنت مستريحاً من الناحية النفسية . دخلت أولاً هذه المعركة بتأييد الشاهنشاه والآن ولم يعد بمقدوره الوفاء بعهوده فأنا بدورى ليس لدى وعد بأن اظل وفياً له . لم يظهر مشتر لمنزلى . من الذى كان خلال هذه الظروف العصيبة مستعداً لشراء منزل وفى حى نياوران أيضا .

لسوء الحظ صار تخطيطى هذا كله نقشاً على الماء ، فحين فاتحت أمى بخطتى هذه دون أن أذكر لها إشارة للعشرين مليون تومان ، بدا عليها أولاً السعادة ، يجوز ذلك ، وهذا ما أنقله بناء عن كلام موسى جون ، كانت تتصور أن بإمكانها السفر إلى كربلاء والإقامة بها . سألتنى إلى أين تريد السفر بى ؟

- إلى أى مكان تحبينه أنت

- هل تريد أن تسافر بى إلى فرنسا وتعيش بها حياتك ؟ بم أفيدك ؟ أحب أن أتشرف بزيارة ضريح حضرة الإمام الرضا

- لا يا أمى البلاد يعمها الاضطراب . صارت بلا صاحب ، ونفس الحال فى كل مكان تذهبين إليه ولا تفترق خراسان عن طهران

- اذن أذهب لزيارة قبر الإمام الحسين .

- حسنًا ، إذن استعدى للسفر ، أسافر بك إلى كربلاء وآتى لرؤيتك وقتما تريدين

- وماذا نفعل مع رقية ؟

- تأتى إلينا رقية بعد نهاية الثورة

- ما معنى هذا ؟ تقول نحن نسافر ونتركها فى النار ؟

- هى تعرف الطريق جيدا وستصل إلينا .

- لا يا ولدى العزيز لن أخطو قدمًا واحدة خارج هذه الدار بدون رقية .

- هل لك اتصال بها ؟

- أجل . لكنى لا أحب أن تأتى إلى فى كل وقت . حين تجد هى فرصة تأتى لتطل علىّ

- لا بد من وجود من يبلغها رسالتك .

كانت أمى مرتابة . كانت تتصور أنى أريد العثور على رقية .

- لا ، ليس لدى من يبلغها رسالتى .

كان عناد أمي يعـــرقل أموري . تصمم على ألا تتـحرك خطوة بدون رقية .

- اذهب أنت بنفسك واعـثر على رقيـة وليس وراءك الآن أى عمل . تخبّط شاهكم في أمره فكان إذن كل تكبركم وغروركم هذا بلا مبرر .

سكبت شـقائي عـلى رأس (العريس) حين كـان يقـوم بالحراسـة في الزقاق .

- إذن فماذا تفعلون هنا ؟ رقية تأتى إلى هنا وتذهب وأنتم نائمون

- سيدى ليس الذنب ذنبى . لم يعد أحـد يعبأ بالأمر . منذ أن طالبوا بحلّ السافاك في الصـحف ولا يعبأ أحد بعمـله. كلهم يخشون الموت . انقلب الدكتـور بيجين إلى الحاج على ساوجى ، ارتدى ثيـاب عريف أول كما كـان وانضم إلى الثوار . الدكتور جـهانجير . إختـفى تمامًا . يقال إن خاطى قتله الناس حين خرج مرة من داره . وفوق هذا فكل هؤلاء المخربين مسلّحون . من الذى يجرؤ على التصدى لهم .

كل هذه المعلومـات كـانت ضمن التـقـارير التى لم تكن لدىّ فـرصـة لأقرأها . كان الجهاز نفسه في حال من الحل .

خطرت لى فكرة جديدة :

- إذا عثرت على رقـية ، سوف أعطيك جائزة كـبرى ، لكنى أريدها حية ، هى أختى ولا يجب أن تصاب بسوء .

- سيدى أنا خادمك ، نعم أعثر عليها فرصة

أتانى (العريس) تلك الليلة : سيدى اجـعلنى مأموراً على السـجن . فأدخله وأنظر ضمن أى جماعة هى .

- ليست فكرة سيئة .

- نحن يا سيدى لا نعـرف حتى الآن أين نبحث عنها . كـما لا نعرف ما هى الجماعة التى تنتمى إليها

- ما الذى تريد القيام به ؟

- أحاول بصـفتى حـارسا أن اشتـرى ثلاثة من المجرمين لكى يتـسللوا داخل صـفوف المجـاهدين أو الفـدائيين أو الـشـيوعـيين . ثـم نرى مـاذا سيحدث .

استمر تحري (العريس) هذا ثلاثة أسابيع ، وكانت أوضاع البلاد تزداد سوءاً يوما بعـد يوم . وكانت الفرص الثمـينة تضيع هباء . كنت مـشغولاً بكل أمور حـياتى ، كانت أمى ورقيـة رهينتان فى شباكـهما . وبعد شـهر اتصل (العريس) بى هاتفيا :

رقية ليست من بين أى جـماعة مخربة نحتجـزها فى السجن . لم نعثر على أثر لها بين الجماعات التى أطلـق سراحها . لم يكشف رجالنا عن أثر لها أيضا . فلا بـد أن تكون رقية من جماعة (الفدائـيين) وهذه الجماعة مسلحة وتقودها إمرأة لم يأت كلام (العريس) بأى جديد .

لم يعـد عـندى أمـل فى أن أصـل إلى نتيـجة من هـذا الطـريق . لكن (العريـس) كان متـحمـسًا وصـمم بسبب الجـائزة التى وعدته بهـا على الاستـمرار فى مساعـيه . فطلبتـه وأعطيته مبلـغا من المال وشجعتـه على الاستمرار فى عمله

كان الاضطراب يزيد مع كل يوم يمر. كنت أرى من حولى يتناقصون . كان فى كل يوم أحـد قواد البلاد يضع ذيله على كـاهله ويهرب . لم يبق أحـد من الأسـرة الملكية . كـانت البـلاد أصيبـت بالشلل التـام بسـبب الإضـرابات . لم يعـد الشاه يسـتطيع إصـدار أمـر . بـقى الوزراء

والمديرون العموميون عاطلين بلا عمل . كان الفراغ يبتلع كل مسعى . كانت الجماعات الكبرى والجماعات الأقل عدداً تتحد احداها مع الأخرى . صار الشعار اليومى هو الوحدة . اتفقت الجبهة الوطنية ورجال الدين على حل الملكية وإقامة حكومة إسلامية وعلى الاستفتاء العام بعد زوال الملكية .

قتل فى هذه الشهور من الفوضى والثورة عشرات الآلاف . كان جنونى وخوفى يزيدان هولاً مع كل طلقة تنطلق فى أى ناحية فى شهر المحرم تظاهر أكثر من ثلاثة ملايين فى طهران . كان الجنود ينضمون إلى المتظاهرين وكان المثقفون المترددون يهتفون (الحرية الاستقلال . الجمهورية الاسلامية) . انقسم قواد الجيش فرقتين بسبب ما يتوجب اتخاذه أهو الشدة أم اللين . أعلن أيضا الخلاف فى الرأى فى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية . كان كل منهم يرى وجهة مختلفة . بعضهم كان يؤيد الشاه وآخرون كانوا يجهدون فى البحث عن وسيط إلى الثوار . كان السفير يجيب بالإثبات وكان الوزير يجيب بالنفى والجميع فى دوار وذهول كانت جماعة سعيدة بأن النظام الجديد سوف يصيب الشيوعيين بإحباط عظيم وكانت أخرى ومن ضمنها الحضرة العليا تعتبر الشيوعيين مسئولين عن كل هذه الحوادث وأن وكالة الاستخبارات الأمريكية تحميهم . حين اعتصم ثلاثون ألفا من عمال مصنع الحديد بدأت حرب جديدة أيضا وأيدتهم الصحف الهامة . لم يكن باستطاعه أحد الهروب من هذه الفوضى . قتل عديد من قواد الجيش برتب عالية . حل الفزع بأسرهم . كان انهيار الجيش قد بدأ . كان يعد تأييد النظام الملكى ذنبًا كبيراً . أخذ الجنود فى الهرب من معسكراتهم والانضمام أفواجًا إلى الثوار . فى أوائل شهر (دى) انضم إليهم فريق من القوات الجوية خاصة وأن الطيارين أعلنوا عن تأييدهم للثوار حتى أن مطار (مهر آباد) العسكرى أقفل ولم يعد يستفاد به .

كان يمكن لتأييد الأمريكيين وعرب الخليج للشاه أن يواسى حضرته بأن قواعد سلطته لم تتزلزل بعد لكن أنى لهذه القطرة الضئيلة أن تؤثر فى أمواج الثورة المتلاطمة العاتية .

لم يعالج الأمر بالقبض على رئيس الوزراء الذى كان يعتبره الملات أساس جميع المصائب والإهانات التى لحقت برجال الدين والقبض على الرئيس السابق للسافاك .

فهم إطلاق سراح عدد من رجال الدين من السجن على أنه دليل على ضعف الشاهنشاه وأدى إلى تدعيم القوة المعادية للشاه . كانت فى كل يوم تخرج مليارات العملة الإيرانية إلى الغرب . كم من فرصة ضاعت هباءً !

حين اتجهت ذات صباح إلى الإدارة رأيت رئيسى الفريق الغبى الذى كان يتحكم معى فى مفتاح خزانة العشرين مليونًا من التومانات قد لاذ بالهرب وليس فى الخزانة شيك واحد . من يستطيع أن يصدق بأننى لم أحصل على نصيب من هذا النهب ؟ بعد ذلك حين كانت رقية تحاسبنى تيقنت من أننى لم أستفد من هذا المال قرشًا واحدًا .

فكر الحضرة العليا فى أن يفوض إلىّ رئاسة الجهاز . كان (المعظم) أدرك أن بعض رؤساء الجيش يتلاعب بالحبلين معًا . كانوا يضربون ويلاقون معًا كان يتملقون الشاه ، واذا خلا بعضهم إلى بعض كانوا يفعلون عكس ما يقولون. فى مثل هذه الأحوال وقعت قرعة الفأل على اسمى أنا المسكين.

استدعانى الشاهنشاه وكلفنى بأن أتولى هذا التكليف . كنت أشد جبنا من أن أقطع بإجابة شافية على هذا الفخار . وبما أن رئيس الوزارة العسكرية قد استقال من قبل وكان الشاهنشاه يبحث عن شخص يتولى الوزارة من الجبهة الوطنية فقد علقت قبولى لهذا التكليف على تولى رئيس الوزراء الجديد .

فهم حضرته بنفسه بأن هذا المنصب الجديد ليس عملاً مغريًا لىّ فلم يصر عليه .

فى يوم ١١ شـهردى ١٣٥٧ فـوضت الحكومة الجـديدة إلى أحد قـواد الجبهة الوطنية وكان من منجزاتها الهامة حل السافاك فنجوت من شر مهلك مؤلم .

ثم حسمت عزمى على الرحيل مـع أمى أو بدونها . مع رقية أو بدونها بعت منزلى أو لم أبعـه . قفلت حسابى بالبنك أو لم أقـفل . تصل إلىّ مدخراتى أو لا تصل : حين أعلمت أمى بهذا الأمر فـقدت وعيها . غشى عليهـا .كانت تضيع من يدى . لم اسـتطع التحمل . كنت عقـدت العزم على الرحـيل من ايران إلى المطار . لم يحـدث هذا . بحثت عن مـوسى جـون . طلبت مسـاعدته . ذهبت أبـحث عن طبيب . حـملت أمى إلى المسـتشـفى . ضغطت على (الـعريس) انسـدت أمامى الطرق من فـرط عجزى .

حين علم موسـى بقرارى أنّبنى بشدة وزاد جـرأته فقـال لى كل ما أراد قوله :

(عجـبًا ما أغـربكم من أشخـاص . تهربون أنتم أنفـسكم واحدًا وراء الآخر وتـتركونا جـميعـا ليقتـل بعضنا بعضـا . أمك تموت ورقيـة تحارب والرشـاش فى يدها وأنت تهرب وتجـرى . فـأين أذهب أنا ؟ وماذا أفـعل بزوجـتى وابنتى ؟ ليس فـيك أدنى نخـوة . أنا لا أسـتطيع بعـد أن أرعى أمك. حيـاتى فى خطر . لا بد أن أتوارى . أنت تعرف جيدا مـاذا تفعل عجـزت عن الرد . لم أكن أتخيل فى أى يـوم مضى أنى سابلـغ مثل هذا العجـز . كان مـعه الحق . قـال ما قال وأراد الخـروج من منزل والدتى . وقفت أمامه :

-أجلـس إذن ولنفكر مـعًا . هـل تعـلم أنهم سـيقـتلوننى اذا قبـضوا علىّ ؟

– وهل سيسعدون بىّ ؟

- سوف يستغرق الأمر طويلا حتى يصلوا إليك فى النهاية .

- لا ، ليس الأمر كما تتصور . أنت عندك سيارة مدرعة ويمكنك الهروب بها . لكنهم يستطيعون التخلص برصاصة واحدة منى وأنا بسيارتى البيكان المتهالكه .

- أولاً ليس لدى سيارة مدرعة . .

- عندك المال بدلاً منها ويمكنك شراء سيارة جديدة . لم تفكر قط كم كانوا يعطونك من مرتب ضخم وأنا لم أكن أتقاضى أجراً يذكر

- ليس الآن وقت هذا الكلام يا موسى . ماذا يتحتم فعله ؟

باح بغضبه ثم هدأ : يجب أن نجد رقية ثم عليك الاستعانة بها

- وكيف نجدها ؟

- (كنت زميلاً لاحد الطيارين . فأذهب وأبحث عنه اذهب لا بد أن واحداً منهم على اتصال بهذه الجماعات . هل رقية تعلم أنك وأنا كنا زملاء فى العمل ؟)

- من أين لى أن أعلم ؟

- لافائدة . لا بد من المخاطرة .

الاضطرابات والفوضى والفزع وعدم الاستعداد أمام حوادث الهروب شتت كل ذلك حواس الجميع . أمى بالمستشفى تموت . يأس الأطباء . كانوا يوصون بنقلها إلى منزلها . يسيطر عليها قلقها على ابنتها . ليس فيها علة كبرت ويجب تركها لتمضى هادئة إلى نومها الأبدى . كيف أستطيع نقلها إلى منزلها ؟ لم يعد منزلى آمنًا هو الآخر . كان نفس الحراس السابقون يأتون ويطلبون منى الهبات . كأنى كسبتها من موائد القمار .

كل يـوم وكـل سـاعة وكل ليـلـة كنت منتظراً أن يصلنى خبـر من (العريس) وموسى جون لـكنهما فشلا هما أيضاً بدورهـما . قتل الطيار صديق موسى فى الاشتـباكات بين مؤيدى الثورة ومعارضيهـا . فابتعد عن الموضوع وأخذ يجمع بساطه لكى يذهب بزوجـته وطفلته إلى أحد الأقاليم ويتـوارى فيـه فتـرة .كان العـريس وحده الذى يسـعى إلى أن يجد طريقـا إلى الفدائيين. كان يدرك أنه يخاطر بحياته لكنه كان مطمئنا إلى أن رقية لن تقتله .

كانت يدى معـقودة . وكانت أحوال أمى تسـير من سىء لأسوأ . فى مثل هذه الأحـوال ظهرت يد من الغيب وفـتحت بارقة أمل لى ولو لفـترة سريعة على الأقل .

قـبل تولى الوزارة الجـديدة بثـلاثة أسـابيع عـاد مع آلاف المهـاجـرين السياسيين إلى إيران فرزان الذى كان على أتصال برقية بالهاتف والمراسلات . كان هو يبـحث أيضًا عن رقية . عـثر العريس على فرزان . أخـبره بمرض أمى التى تموت ولا بد من نقلها إلى منزلها وليس لديها من يعتنى بتمريضها وبأنى فى فزع شديد .

كانت حالة أمى فـى هذه الأسابيع الأربعة تسوء بشـدة . وتتقدم خطوة خطوة مع الاضطرابات العامة . كان الثوار يهيئون أنفسهم ببرنامج من عشر مـواد لتأليف جـهاز حكومى . فى مظـاهرة مكونة من بضعـة مئـات من الآلاف صـدر قـرار بأن يسـلم المجلس النيـابى والجـيش والمجـلس الملكى أنفسهم إلى الثوار. ذكر فى هذا الإعـلان أن الحكومة الجديدة استقرت على هذا الهدف وهو إفساح الطريق أمام حكومة عـسكرية من زعماء الجيش تؤيد الشـاه . تهيـأ رئيس الوزراء إلى السفـر إلى فرنسـا للتفـاوض مع آية الله الخمينى فى هذا الشأن . لم يتم هذا الهدف . كـان الخلاف يستعر كل يوم بين الضباط الكبـار . أحد (البلطجية) الأمريكيين كـان قد أتى إلى إيران مكلفًا

بمأمورية اصلاح أحوالها وإزالة الخلافات بين قواد الجيش من قبل رئيس الجمهورية الأمريكى ومع أن الشاهنشاه أصدر أمره بأن يطيع الجميع الأوامر الأمريكية ، إلا أنه لم يحقق شيئًا فوضع ذيله على كتفه ووقف موقفاً صعباً .

اتحد اثنان من الضباط برتبة الفريق مع الثوار وعلى الفور ظهر المجاهدون والفدائيون والجماعات المسلحة الأخرى ومن بينهم الانتحاريون من مخابئهم وبدأت مذبحة ثورية وفى نفس ذلك اليوم هبط المطار آيه الله . اشتعل الضرب بين الطيارين الذين كانوا يرقبون الأحداث على شاشة التليفزيون فاستغل معارضو الثورة الحرس الثورى ، فاشتعل القتال بين جميع الطيارين والحرس الثورى . كان الثوار على وشك الهزيمة حين فتحوا مخازن الأسلحة وسلحوا العامة وخلال يومين استولى الشعب على معسكر حربى وقسم شرطة ونقطة حراسة . فى يوم ٢٢ شهر بهمن أعلن الجيش وهو فى حالة من التفسخ عن حياده وسقطت الوزارة الجديدة .

فى نفس تلك الليلة ونفس ذاك اليوم كنت مع أمى بالمستشفى اتصل فى كل لحظة بالعريس وفرزان لكى أعرف متى سوف تأتى رقية لزيارة أمها . كانت أمى فى حالة الاحتضار . كانت تفتح عينيها حينا وتحرك شفتيها بدون أن تخرج منهما صوت ، كأنها تسلم روحها . كلما كانت تغمض عينيها كنت أدفع نفسى هارباً لكى أتمشى فى فناء المستشفى . كنت أظن أن المستشفى هو أكثر المواضع أمنًا ولم يعد لى غيره . كان (العريس) قد أنبائى بأنهم هاجموا منزلى فى نياوران واحتلوه . لم يعد فى حوزتى شىء . ليس أمامى أى موضع أتجه إليه . كان كل أتباعى قد ركنوا إلى الفرار . ألغى البنك كافة الحسابات الرسمية والشخصية لرجال السافاك . هرب أهارى ودماوندى إلى أوروبا وأمريكا . قيل إن خان على اختفى . فروا جميعا قبل رحيل الشاه . جميعهم الآن يهتفون بشعارات حب الوطن .

أمضيت ليلى ونهارى بجانب أمى . كنت حينا استسلم لسنة من النعاس فوق الكرسى بجوار سرير والدتى ، فانهض مذعوراً من النوم ، ثم تعود عيناى إلى الإغماض .

يوم ٢٣ بهمن الساعة الخامسة صباحًا اقتربت إلى المستشفى سيارة جيب عسكرية واريت نفسى خلف الباب معتقداً أنهم الجنود الثوار . هبط منها فرزان ورقية . كان أحد الطيارين من فترة مدرسة الشرطة يجلس وراء عجلة القيادة . احتضنتنى رقية وهى تبكى ، صافحت فرزان ، جرت أختى إلى حجرة أمى، بقيت أنا وفرزان بمفردنا .كان أول كلمة خرجت من فمه : لا يجب أن تبقى هنا ، قتل الناس بالأمس ضابطًا برتبة فريق بالجهاز فى الشارع بقبضاتهم وركلاتهم وخناجرهم وهراواتهم قلت : لا باس .

كذبت . وحزن قلبى ، لم أكن أحب أن انهار .

ذهبت فى أثر رقية عند أمى . استردت أمى فجأة قوتها . كانت تريد النهوض من رقدتها أنت ممرضة وقالت : ماذا تفعلين يا أختى ؟

أسندت رأسها على صدر أمى قبلتها وشمتها . خرجت أنا وفرزان من الحجرة . بلغ منا العجز مبلغه بسبب عدم نومنا . ذهبنا إلى الفناء ووقفنا لحظة نستنشق الهواء . وفجأة نزل رجل مسلح من سيارة الجيب التى أتت برقية . أصاب قدمى برصاصة . أخرجت مسدسى ، انطلقت رصاصة أخرى بالقرب من أذنى جرى الطيار ناحية الحارس وأمر بإيقاف إطلاق النار. إذا لم يجر نحوه ما كنت عشت . سحبنى فرزان إلى داخل المستشفى . أحاط بى الممرضون والأطباء . فرّق الطيار جمعهم ، مدّونى على سرير متحرك . كان الدم يجرى من فخذى . قلت لفرزان : لا تقل شيئا لرقية اتركها عند أمها بضع لحظات .

كان قد وصل إلى مسامعها صوت إطلاق النار وجلبة المستشفى . كانت

امها تجود بآخر أنفاسها سبّلت عينيها وأتت إلىّ . أخرج الطبيب الرصاصة من فخذى وربط الجرح حين فتحت عينى بعد ساعتين أو ثلاث من نومى وإغمائى كانت رقية لا تزال بالمستشفى . لم تعد تحمل المسدس بوسطها . أمسكت يدى بيدها النحيفه والدافئة وكانت تنظر إلى حائرة . كانت تحادث نفسها ، كانت تظن أننى لازلت فى حالة إغمائى .

– الثورة لها ضحايا . ضحينا نحن أيضا ، وثب أخى من القصر إلى هذه الوهدة .

فتحت عينى وقلت :

– هل صرت مشلولاً للأبد ؟

– لا ، يمكنك السير ولكن بعصا .

– من أين عرفت ؟

– تحدثت أنا وفرزان مع رئيس المستشفى . طلبنا . تمزقت أعصاب فخذك ولا يمكن التئامها بعد هذا

– هل سأمكث إذن فترة هنا مقعداً ؟

– هنا لا ، يرى رئيس المستشفى أنك لست فى أمان هنا . كل المرضى والمرضين يعلمون أنك كنت سافاكيا ، نشرت الصحف أسمك بالأمس . يمكن أن يقع المستشفى موضع هجوم الهائجين فى أى لحظة .

– إذن فماذا أفعل ؟

– ذهب فرزان وصديقه الطيار لكى يجدا لك مكانًا فى مستشفى « دوشان تبه » وهما على أمل أنهما سوف يسكنانك فيه

صمت كلانا . لم تكن رقية تعرف ماذا تفعل معى رغم أن حب

طفولتهـا لى كان ملتهبا . كيف كنت اسـتطيع أن أطلب من أمى الميتة هذه المساعـدة . أخذت يدها وقبلتهـا . لمست رقية بيدها وجـهى ونهضت من مكانها . كان الوقت قـبل الظهر ، أتت الممرضة بالغذاء إلىّ . كـان حساء الأرز ولـم أشعر بشهية . لـم تكن قدمى اليسرى تتحرك وكان موضع الجرح يؤلمنى بشدة ، تجاوزت الساعة الرابعة بعد الظهر. مضت ١٤ساعة من وقت إصابتى بالرصـاصة. أتى فرزان وكـان يريد نقلى بسيـارة نقل المرضى كان يجلس بها السـائق والطيار . قبلّت رقية وجهى وكانت تودعنى ، سألتها :

- رقى حبيبتى هل سنلتقى ثانية ؟

- لا أعرف . اذا شاء الله

أخذت يدها وضغطت عليها .

حملونى إلى مستشفى دوشان تبه . فى الطريق أيأسنى فرزان تمامًا :

- لا بد من أن تمكث عدة أسـابيع فى المستـشفى . سوف تخـتفى فى غرفة . يمكنك أن تمارس السير فى الليل فقط حين يسمح الطبيب ، وعدت رقية بأن أساعدك واتخذ من التدابير لتهجيرك من هذه الديار . أمضيت عدة سنوات فى المنفى وعشت مشـردًا . وجاء الآن دورك ، الله هو الذى يعلم كم عليك أن تعيش فى المهجر اذا نجوت من هذه الرصاصة ، فقط بشرط . هذا عهد قطعته لرقية وعليك أنت أيضا أن تقطعه لىّ .

-- (اى عهـد ووعد ؟ ألا يكفى أنى أصـبت بالشلل وصرت عـاجزاً أسيراً لديكم ؟

- لا ، ما زالت ديونك كثيرة أمام الجرائم المنسوبة إليك .

- ماذا تريدون ؟ لا أملك مالاً ، خذوا روحى أيضًا وأريحونى .

- (يقـولون أن عشريـن مليونًا مـعتمـدة وسرية للـجهاز كـانت تحت سيطرتك)

أقنعت فرزان بأننى لم أنهب من هذا المبلغ تومانًا .

- (أى شرط ؟)

- (عليك أن تعدنى بأن تعتزل فى ناحيـة من العالم اذا نجوت بحياتك وأن تكتب بالتفـصيل ما حلّ بك وكـافة المصائب التى أنزلتـها على رؤوس الآخرين وتضع ذلك تحت تصرف رقية)

- (هل سوف أرى رقية ثانية ؟)

- (لنر ماذا كتب على جبينك)

هذا هو مصيرى .

المشروع القومي للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت: أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت. أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت: شوقي جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت: أحمد الحضري
٥ – ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت: محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت: سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت: يوسف الأنطكي
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت: مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودي	ت: محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت: هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت: أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت: عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت. حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت. أشرف رفيق عفيفي
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت: بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت: محمد مصطفى بدوي
١٨ – الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت: طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت. نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت: ماجدة العناني
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت: سيد أحمد علي الناصري
٢٣ – تجلي الجميل	هانز جيورج جادامر	ت: سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت. بكر عباس
٢٥ – مثنوي	مولانا جلال الدين الرومي	ت. إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت: أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت: نخبة
٢٨ – رسالة في التسامح	جون لوك	ت: منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت: بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت: أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت: عبد الستار الحلوجي / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت: مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ – التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت: أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر ألن	ت: حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت: خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت . حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت . محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت . أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف . محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت . عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت . أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت حسين محمود

٧٢ – السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت فؤاد مجلي
٧٣ – نقد استجابة القارئ	جين . ب . توميكنز	ت حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت حسن بيومي
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت أحمد درويش
٧٦ – جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة . النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت مكارم الغمري
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت محمد طارق الشرقاوي
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت محمود السيد علي
٨٣ – مختارات	جوتفريد بن	ت خالد المعالي
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقي	ت أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت ماجدة العناني
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية	ت محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا	ت محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجل	ت نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صموئيل بيكيت	ت فوزية العشماوي
٩٥ – مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو بابيخو	ت سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت بشير السباعي
٩٨ – الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت إبراهيم فتحي
١٠١ – النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣ – قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت عبد الغفار مكاوي
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	ت عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسي	د. ماريا خيسوس روبييرامتي	ت أشرف علي دعدور
١٠٧ – صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت محمد عبد الله الجعيدي

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ - حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادي پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ -نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣-الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وفنادولينا	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ - قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت علي عبد الرؤوف البمبي
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت علي إبراهيم علي منوفي
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت . أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت . بشير السباعي
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت محمد محمد الخطابي
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت . فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت أحمد مرسي
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جي إسال والاس وأودبت فيرمو	ت مي التلمساني
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامي الكنجوي	ت عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برودل	ت بشير السباعي
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت إبراهيم فتحي
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت حسين بيومي
١٦١ – من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوي	ت صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت مجموعة من المترجمين
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت شكري محمد عياد
١٦٨ – دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت شكري محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت شكري محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت محمد محمد الخطابي
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنري ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوءة	و . ب . بيتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحي العشري
١٨٤ - القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بزرج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت محمد عبد الواحد محمد

(تحت الطبع)

الجانب الديني للفلسفة
الولاية
تاريخ النقد الأدبى الحديث (الجزء الرابع)
الإسلام في السودان
العربى فى الأدب الإسرائيلي
ضحايا التنمية
المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر
فن الرواية
ما بعد المعلومات
علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
المهلة الأخيرة
عن الذباب والفئران والبشر
العولمة والتحرير
علم اجتماع العلوم
قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان
شتاء ٨٤
الشعر والشاعرية
ديوان شمس
مصر أرض الوادى
الدرافيل أو الجيل الجديد
سحر مصر
الهيولية تصنع علمًا جديدًا
مختارات من النقد الأنجلو - أمريكى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤١٢٨ / ١٩٩٩

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 176 - 5)